

د. إنعام فوّات

الأدب الصغير والأدب الكبير
لابن المقفع

دار الكتاب العربي

الأدب الصغير والأدب الكبير لابن المقفع

تحقيق ودراسة
د. إنعام فوّال

الناشر
دار الكتاب العربي

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتاب العربي
بيروت

الطبعة الثالثة

١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

دار الكتاب العربي

بيروت - شارع فردان - بناية بنك بيلوس - الطابق الثامن - تلفون ٨٠٠٨١١ - ٨٦١١٧٨ - ٨٦٢٩٠٥
فاكس: ٨٠٥٤٧٨ (٠٠٩٦١١) برقية: الكتاب - بيروت - ص.ب. ٥٧٦٩ - ١١ بيروت - لبنان

المقدمة

ذكر ابن المقفّع في هذا المجلد الثمين «الأدب الصغير والأدب الكبير» الذي بيّن فيه أهمية الأدب في تنمية العقول ومعرفة طبيعياتها وغرائزها والتي بها تحرز الأدب وبه تزهر العقول وتزكو: فهو ثمارها وحياتها ونتائجها. ونحن نعلم أنّ جُلّ الأدب هو المفهوم المنطقي، ومعظم هذا المفهوم ينمى بالتعلم، ولم يكن منه كلمة من قاموسه الكبير إلّا وهو مستخرج من عالم سابق، وما ذلك إلّا إقامة الحجة على أنّ البشر لم يخترعوا أصولها وفروعها إلّا من قبل العلامة الكريم.

وقد جعل ابن المقفّع رائد أسلوبه المثل، إذ هو أوضح وأفصح للمنطق السليم في كلام البشر المحفوظ حكماً ونصائح، وفي هذا الكتاب القيم ذكر ابن المقفّع أقوال العلماء في تمام حسن الكلام، والمعرفة على تسليّة الهموم والتي نحن اليوم أحوج ما يكون إلى الكثير منها بين شبابنا الغض، وبيّن لنا تقلب الأحوال وتعاقبها، وفي اعتبار الموت راحة من كل شقاء، وأرشدنا إلى كيفية محاربة الفقر لأنّه بؤرة البلاء، ومجمع الرذائل، وعمل على توجيهنا اقتداءً بالصالحين، ومن هنا نحسن وضع أنفسنا في مكانها اللائق بعد محاسبتها محاسبة دقيقة خالصة، فنذكر المساوئ والخصال الحميدة الصالحة، التي بها نعلّم أنفسنا قبل غيرنا، مستأنسين بنوحي الألباب في اعتبار الرأي والهوى عدوّان، وأنّ الدّين أفضل المواهب، والعُجب آفة العقل، والعلم زين لصاحبه، ومن وحيه يُدرك طالب الأدب شؤون الحياة إذا ما ابتلاه ربّه بمصاحبة أرباب الحكم والسلطة، وتحمله لرأيهم المخالف لرأيه ولمصلحة العامة من الناس ويُدرك أنّ لا خلاص له من مصاحبتهم إلا بتعويذه بالعلماء طريقه الوحيد إلى النجاة وهو تمام إصابة الرأي والقول،

وبالإضافة إلى ذلك عَرَّفنا بأسلوب شيق كيف نُحسِّن اختيار الأصدقاء ومعاملتهم، والأعداء ومجالستهم ومعاملتهم بالحسنى والعدل، وإيثار الرضى للصديق على القاضي النبيل.

وابن المقفَّع في كتابه هذا يعترف بعلم السابقين، إذ لهم الفضل في تعليمه والأخذ عنهم بقوله: «وقد وضعت في هذا الكتاب من كلام الناس المحفوظ حروفاً فيها عَوْنٌ على عِمارة القلوب وصقالها وتجليه أبصارها، وإحياء للتفكير وإقامة للتدبير، ودليل على محامد الأمور ومكارم الأخلاق إن شاء الله. ولكن لا نبخس الأديب حقه إذ كان أول من أدخل الحكمة على العربية، الحكمة الفارسية والهندية بالإضافة إلى المنطق اليوناني وعلم الأخلاق وسياسة الاجتماع، وهو أول من ألف وترجم، وسما في كتبه النثر العربي إلى أرفع درجات الفن.

وقد تأثر ابن المقفَّع في تلك الدراسة الخصبة التي نجدها في «الأدب الصغير والأدب الكبير» بعاملين مهمين هما: العصر الذي عاش فيه، والفن الذي اشتغل به حتى وصل إلى ما كان يشتهي من المنصب والجاه مستقراً ذلك من التاريخ الإسلامي والعباسي. بهذه الثقافة التي حصلها، والعقول التي سبر أغوارها، اقتحم ابن المقفَّع ميدان البحث الأدبي، فكان كتابه مجموعة من الأفكار الماثورة والحكم البليغة - عن أولئك العلماء - ومزجها بأفكاره، فبدت شخصيته واضحة مستقلة بين سمات غيرها من الشخصيات، ولم يكتف بأن يكون جامعاً أو ناقلاً، بل أراد أن يكون مؤلفاً لامعاً في الأدب.

لذلك عملنا على تحقيق هذا الكتاب للناشئة العربية وطلاب هذا اللسان الذين يريدون الوقوف على الإفادة من «الأدب الصغير والأدب الكبير» لما فيه من تحليل قيّم لمشاكل جيلنا في هذه الظروف العصيبة التي مرت بهم، وبالتالي هم أخرج إليها في هذا الوقت بعينه، حتى يظل الإنسان مميزاً عن سائر الكائنات الحيّة بالعقل الذي هو أدواته لحسن التدبير الذي يؤدي به إلى العمران فالحضارة التي تقوم على العدل.

ابن المقفع

مولده وهويته

هو عبد الله بن المقفّع، ولد في العراق مجوسياً (١٠٦ - ١٤٢/٧٢٤ - ٧٥٩ م): أصله من الفرس، وكان اسمه روزبه وكنيته أبا عمرو قبل إسلامه، اتهم بالزندقة، وفي هذا المجال قال ابن خلكان^(١): «كان يجتمع هو ويحيى بن زياد الحارثي وحماد الراوية وابن المقفع ووالب بن الحباب ويتنادمون لا يفتررون ولا يستأثر أحد منهم على صاحبه بمال؛ وكان يُرمَى الجميع بالزندقة»^(٢). وقيل^(٣): «ما وجد كتاب زندقة إلا وأصله من ابن المقفّع»^(٤).

إسلامه

أسلم ابن المقفّع على يد عيسى بن علي عمّ السفاح والمنصور الخلفيتين الأولين من خلفاء بني العباس، فسَمِيَ نفسه عبد الله بن المقفّع. وقد حكى الهيثم بن عديّ قال: «جاء ابن المقفّع إلى عيسى بن عليّ فقال له: «قد دخل

(١) هو أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان قاضي القضاة شمس الدين أبو العباس البرمكي الشافعي الإربلي (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢ م) انظر السبكي، الطبقات، ج ٥، ص ١٤؛ وابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج ٧، ص ٣٥٣؛ وابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، ج ٥، ص ٣٧١.
(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥١؛ وابن شاکر الکتبي، الوافي بالوفيات، ج ٤، ص ١٤٥؛ والأصفهاني، الأغاني، تحقيق لجنة من الأدباء، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط ٦، ١٩٨٣/١٤٠٤.

(٣) المهدي بن المنصور الخليفة العباسي.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٩٦؛ طبعة مصر، ١٣٥١ - ١٣٥٨ هـ. والقفاة جمع الففغة، وهي هنة تتخذ من خوص تشبه الزبيل ليس بالكبير لا عرق لها، يجنى فيها الثمر، والخوص: أوراق النخيل.

الإسلام في قلبي، وأريد أن أسلم بين يديك؛ فقال له عيسى: ليكن ذلك بمحضر من القواد ووجوه الناس فإذا كان الغد فأحضر؛ ثم حضر طعام عيسى عشية ذلك اليوم، فجلس ابن المقفع يأكل ويؤمِّم على عادة المجوس، فقال له عيسى: أترمز وأنت على عزم الإسلام؟ فقال: أكره أن أبيت على غير دين، فلمَّا أصبح أسلم على يده^(١). ثم كتب له واختص به. بعد أن كتب لداود بن هبيرة، ثم لسليمان بن علي أيام ولايته على البصرة، وذكر الزركلي فقال: إنَّه ولي كتابة الديوان للمنصور العباسي^(٢).

أسرته ووالده

لم يعرف من أسرته غير والده، وهو المُقَفَّع بضم الميم وفتح القاف وتشديد الفاء وفتحها وبعدها عين مهملة، وأسمه داذويه. كان الحجاج بن يوسف الثقفي في أيام ولايته العراق وبلاد فارس، قد ولَّاه خراج فارس، فمَدَّ يده وأخذ الأموال، فعذَّبه فتَقَفَّعت يده، فقبل له المقفع. وقيل^(٣): المقفع - بكسر الفاء - لأن أباه كان يعمل القَفَّاع^(٤) ويبيعها.

نشأته وصفاته

نشأ ابن المقفع في ولاء بني الأهم، وهم أهل فصاحة وبلاغة فكان لهذه

(١) ابن خلكان. وفيات الأعيان. ج ٢، ص ١٥١؛ مارون عبود، أدب العرب، دار مارون ودار الثقافة ص ١٠٥.

(٢) الزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٤٠؛ والقالي، الأمالي، دار الأفاق الجديدة، بيروت ص ٩٢، والثعالبي، يتيمة الدهر، ص ٦٣؛ والمسعودي، مروج الذهب، ص ٦٠؛ وابن الأثير، الكامل في التاريخ، ص ٥٣؛ والبلاذري، فتوح البلدان. ص ٣٤؛ والحنبلي، شذرات الذهب في أخبار من ذهب. ج ١، ص ٥٠.

(٣) هو ابن مكي صاحب كتاب تنقيف اللسان.

(٤) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ١٠، ص ٩٦، والبغدادى، خزنة الأدب، ج ٣، ص ٤٥٩. والقفَّاع من فعل قَفَعَ قَفْعاً، والقَفْعَةُ: هنةٌ تتخذ من خوص تشبه الزُّبيل ليس بالكبير، لا عرق لها يجني فيها الثمر، والخوص أوراق النخل.

النشأة تأثير عظيم فيه وفيما وصل إليه من درجة رفيعة في الأدب. أدب نفسه فأحسن تأديبها. قال الأصمعي: «قيل لابن المقفع: من أدبك؟ فقال: «نفسي. إذ رأيت من غيري حسناً أتيته، وإن رأيت قبيحاً أبَيْته:». كما اشتهر ابن المقفع بذكائه وسعة أفقه العلمي، فذاع صيته وقيل فيه كثير من المدح والثناء ومما قيل فيه: «إنه لم يكن من العجم أذكى منه». وعُرف بحبه للصديق وبكرمه وبجوده ومروءته؛ وحادثته مع عبد الحميد بن يحيى كاتب الخليفة الأموي مروان بن محمد مشهورة، إذ قال: «أبذل لصديقك دمك ومالك».

إلا أنه أتهم بالزندقة من قبل حساده، وأن شيئاً من هذا لم تُثبت كُتبه المعروفة لدينا.

مقتله

قتل سفيان والي البصرة ابن المقفع بأمر من الخليفة المنصور، وذلك لأن ابن المقفع كان يتنوق^(١) في شروط الأمان التي قطعها عمه عبد الله بن علي^(٢) عليه بقوله: «ومتى غدر أمير المؤمنين بعمه عبد الله بن علي، ففساؤه طوالق، ودوابه حُبس وعبيده أحرار، والمسلمون في حلٍّ من بيعته»^(٣). وكذلك روى المدائني مقتله فقال: «لما دخل ابن المقفع على سفيان قال له: أتذكر ما كنت. تقول في أمي؟ فقال: أنشدك الله أيها الأمير في نفسي، فقال: أمي مغتلمة^(٤) إن لم أقتلك

(١) النوق من فعل ناق وتنوق الرجل في ملبسه وأموره تجوّد، وهو يضرب للذي يكون في حديث ثم يخلطه بغيره.

(٢) هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس الهاشمي العباسي: أمير عم الخليفة أبي جعفر المنصور قتل ١٤٧ هـ/ ٧٦٤ م انظر ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة. ج ٢، ص ٧؛ وابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج ٥، ص ٢١٥؛ والطبري. تاريخ الطبري، ج ٩، ص ٢٦٤؛ والحصري، زهر الآداب وثمر الألباب، ص ٣٢؛ الأصبهاني عماد الدين، فريدة القصر، ص ٦٣.

(٣) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٢؛ وشوقي ضيف، التطور والتجديد. دار المعارف بمصر، ص ٤١.

(٤) الغلم من فعل غلِمَ وإغْتَلَمَ: كان منقاداً للشهوة فهو مَغْتَلِمٌ وهي مغتلمة. اللسان. (غلم).

قتلة لم يُقتل بها أحدٌ وأمر بتَنُور فَسُجِّر، ثم أمر بابتن المقفَّع فقطعت أطرافه عضواً عضواً، وهو يلقيها في التنور وهو ينظر، حتى أتى على جميع جسده، ثم أطبق عليه التنُور. وقال: ليس عليّ في المثلة^(١) بك حرج، لأنك زنديق، وقد أفسدت النَّاسَ^(٢). وكان ذلك سنة ١٤٢ هجرية وبذلك يكون قد عاش ستاً وثلاثين سنة. وقيل: «سنة خمس وأربعين ومائة»^(٣).

نقلًا عن شمس الدين أبو المظفر يوسف الواعظ سبط الشيخ جمال الدين أبي الفرج ابن الجوزي الواعظ المشهور في تاريخه الكبير الذي سمّاه «مرآة الزمان».

مؤلفاته

كُتِبَ ابن المقفَّع الأدبية كثيرة حيث جمع فيها أدب الفرس إلى أدب العرب. وابن المقفَّع من أئمة الكتاب، وهو أول من عَنَى في الإسلام بترجمة كتب المنطق، حيث ترجم للخليفة العباسي المنصور «كتب أرسطاطاليس» الثلاثة في المنطق وكتاب المدخل إلى علم المنطق «المعروف بإيساغوجي» وترجم عن الفارسية كتاب «كليلة ودمنة» وهو أشهر كتبه، يرمي إلى إصلاح الأخلاق وتهذيب العقول. وقد صنف كذلك كتاب «مَزْدَك» وكتاب «التاج» في سيرة أنوشروان وكتاب «جوامع كليلة ودمنة» إلّا أن الأخير عزاه إلى الهند وكتاب «خداي نامه» في السير وكتاب «أئين نامه»^(٤). وأنشأ رسائل غاية في الإبداع منها «الأدب الصغير» و«الأدب الكبير» ورسالة الصحابة «واليتيمة» وله شعر في كتاب الحماسة^(٥).

(١) مَثَلٌ بِهِ: نَكَلٌ بِهِ. اللسان، مادة: (مثل).

(٢) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٢...

(٣) م. ن، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٣.

(٤) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٣.

(٥) م. ن، وفيات الأعيان، ج ٢، ص ١٥٥؛ والزركلي، الأعلام، ج ٤، ص ١٤٠.

عاش عبد الله بن المقتفع في عهد أبي جعفر المنصور^(١) عبد الله بن محمد بن علي بن العباس (٩٥ - ١٨٥ هـ / ٧١٤ - ٨٠١) وهو ثاني خلفاء بني العباس، إذ بايعه السفاح سنة ١٣٦ هجرية عند وفاته (١٣٦ هـ / ٧٥٤) وبدوره الخليفة المنصور أخذ البيعة لابنه المهدي^(٢) بالخلافة من بعده. وبدأ هذه العصر بسقوط الأمويين سنة ٧٥٠ ميلادية عندما قامت ثورة عسكرية ضد السلطة الأموية تجند لها الفرس تحت لواء الشيعة والعباسيين لذلك قامت هذه الدولة في أول عهدها على الموالي فأصبحت فارسية النفوذ والسياسة والحضارة ولم يبق للعرب يومها إلا اللغة التي دخلتها أساليب إنشائية وتراكيب جديدة نظراً لاختلاط العرقين الحضاري والدموي أي الفارسي والعربي. وفي الوقت نفسه صارت لغة السياسة والتخاطب الأدبي في أقطار مترامية الأطراف تمتد من أواسط آسية إلى شمال افريقية فالأندلس فيما بعد، وقد تم ذلك بفضل توفّر جيش قوي قضى على الفوضى واستطاع قمع الثورات التي قامت في الشام وفارس وأواسط آسيا إذ جهزت لغزو الفرس، ويعود بعث الرعب في نفوس أعدائهم إلى كثرة عددهم وسرعة انتقالهم العجيبة^(٣). وفي رسالة في الأساليب الحربية منسوبة إلى الإمبراطور ليو السادس الحكيم (٨٨٦ - ٩١٢) قال: «وإن العرب أمهر الشعوب الأجنبية وأبرمها على

(١) أصل اللقب «المنصور بالله» والواقع أن الخلفاء العباسيين جميعاً تلقبوا بهذا فيما بعد بهذا اللقب الوريث. ومن أراد التوسع فليرجع لابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ١٧٢؛ والطبري، تاريخ الأمم والملوك، ج ٩، ص ٢٩٢؛ أحمد بن سهل البلخي. والصحيح أنه لمظهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ. ج ٦، ص ٩٠؛ واليعقوبي، تاريخ اليعقوبي، ج ٣، ص ١٠٠، والمسعودي، أخبار الأمم من العرب والعجم، ج ٢، ص ١٨٠؛ والبغدادى تاريخ بغداد، ج ١٠، ص ٥٣. وابن الساعي، الجامع المختصر من عنوان التواريخ وعيون السير، «أخبار الخلفاء»، ج ١١، ص ٢٣؛ والكتبي، قوات الوفيات، ج ٢، ص ٢١٦؛ وحسين بن محمد بكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، ج ٢، ص ٣٢٤؛ والزركلي. الأعلام، ج ٤، ص ١١٦.

(٢) م. ن، اليعقوبي، ج ٧، ص ٤٣٧؛ وابن الطقطقي. الفخري في الأدب السلطانية والدول الإسلامية، طبع في مصر، سنة ١٣٤٠ هـ، ص ٢٣٦.

Omam. Art of War, 2nd Ed, vol 7, p.209

(٣)

الإطلاق في العمليات الحربية»^(١) ومن أفضل الصفات التي يتحلى بها هذا الجيش روح الوحدة والتعاون مما يقوي معنويات عناصره ويدفعها إلى النصر، الذي وصفه الإمبراطور قسطنطين برفو غتش في كتابه نظراً للأثر الفعال الذي أحدثه العرب في نفوس أعدائهم فقال: «إنهم أقوياء ورجال حرب، فإذا اتفق لألف منهم فقط أن احتلوا معسكراً فليس هناك من قوة تستطيع أن تزيحهم عنه وهم لا يركبون الخيل بل الجمال»^(٢).

وليس من شك في أن انتصارات الجيوش الإسلامية أيام السفاح والمنصور والمهدي والرشيد على الفرس والبيزنطيين أعدائهم المعهودين كانت سبباً في تألق نجم هذا العصر. وكذلك الثروة حيث لعبت دورها إذ سهّلت للخلفاء سبيل الترف والبذخ اللذين اتصفوا بهما ورفعت شأن العصر في التاريخ والقصص، على أن سبب عظمته الحقيقية راجع إلى اليقظة الفكرية التي لم يعد لها مثيل في تاريخ الإسلام، والتي تعتبر من النهضة الهامة في تاريخ التقدم الفكري في كل العالم. وتعدّ فترة الحكم العباسي أخصب فترة أدبية عرفها الشرق العربي وكذلك تمتعت المرأة في العصر العباسي الأول بحظ كبير من الحرية ونفوذها وظهورها في أوائل هذا العصر، وهذه الحرية لم تكن مقصورة على نساء الطبقة العالية بل تعدتها إلى نساء العامة حيث نَظُمْنَ وناظرن الرجال في ألوان الأدب ولطالما ازدهرت المجالس بمواهبهن الأدبية والموسيقية. فكانت بيوت اللهو تصدح بالموسيقى والغناء في الكوفة خاصة أيام المنصور إذ غنّت سلامة الزرقاء كثيراً وهذه البيوت لا تختلف عن بيوت اللهو اليوم. وتبع أيضاً في هذا العصر عدد كبير من المترجمين لأن المنصور أول من عنى بالعلوم من ملوك العرب، واهتم بالمترجمين وأولهم ابن المقفع الذي ترجم له كتب المنطق، وأبو يحيى بن البطريق (ت ٧٩٦ هـ / ١٣٩٣ م) وقيل أنه ترجم للمنصور أهم تأليف جالينوس وإبقراط، وأنه نقل أيضاً كتاب الأربعة

«Tactica» Constitutio XVIII & 123, in Migne Patrologia Graeca. Vol. CVII. (١)

Constantine. Porphyrogeniteres De Administrando imperio. Caput, XV in Migne Patrologia Graeca vol CXIII. (٢)

لبطليموس، وإن صَحَّ ما رواه المسعودي فإن ترجمة كتاب اقليدس وكتاب المجسطي (بفتح الميم وكسرهما) وهو أعظم تأليف لبطليموس في الفلك قد تمَّ في هذه الفترة من الزمن إلى جانب معرفة المنصور بالعلم والأدب والفقه والفلسفة والفلك، وهو الذي عمل أول أسطرلاب^(١) في الإسلام فضلاً عن حبه للعلماء، وعرف ببعده عن العبث واللغو واهتمامه بالجدِّ والتفكير. إلى جانب تواقيع غاية في البلاغة، لهذا اعتبر المنصور والد الخلفاء العباسيين جميعاً وأفلحهم حيث صرَّف الآفاق إلى الحيرة والعراق وأصبهان وفارس وكذلك كان المنصور أبو جعفر من أفراد الدهر حزماء ودهاء، وكان ممن له فضل في حث العلماء المسلمين في تدوين الحديث والفقه والتفسير القرآني. فصنَّف ابن جريح بمكة، ومالك «الموطأ» بالمدينة، والأوزاعي بالشام، وابن أبي عَرُبة وحماد بن سَلَمَة بالبصرة، ومعمر باليمن، وسفيان الثوري بالكوفة، كما صنَّف أبو حنيفة الفقه والرأي، ثم صنَّف ابن وهب، وابن مبارك. وكذلك كثر تدوين العلم وتبويبه، فدوَّنت كتب العربية واللغة والتاريخ وأيام الناس، كما دَرَسَ العرب علوم الفرس واليونان. وتبع هذا حركة النقل الذي ازدهر في هذه الحقبة، وترجمة وإنشاء اللغة العربية تلك اللغة التي استعملها العرب في الجاهلية أداة للشعر ثم عرفها النبي محمد ﷺ لغة الوحي والدين. فأصبحت لغة حَيَّة قوية، دقيقة البناء سهلة المنال تطاوع لغة الكتاب والشعراء للتعبير عن الفكر العلمي والآراء الفلسفية العليا والتي أصبحت لغة السياسة والتخاطب الأدبي في كافة أقطار العالم العربي. وكلمة حقَّ يقال يُعتبر العصر العباسي العصر الذهبي للحياة الأدبية والسياسية عند العرب، فهو بمثابة القرن السابع عشر في أوروبا، وسبب ذلك أنَّ مدة الحكم العباسي كانت طويلة. مما سمح لها أن تجني ثمار ما غرست، كما ساعد انتشار العربية وتعطش القلوب إلى الرقي وانفتاح النفوس على المعارف في ازدهار هذا العصر.

(١) الأسطرلاب: آلة رصد قديمة لقياس مواقع الكواكب وساعات الليل والنهار وحلَّ شتى القضايا الفلكية (يوناني)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأدب الصغير

قال ابن المقفع:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنْ لَكُلِّ مَخْلُوقٍ حَاجَةٌ. وَلِكُلِّ حَاجَةٍ غَايَةٌ، وَلِكُلِّ غَايَةٍ سَبِيلٌ^(١).
وَاللَّهُ وَقْتُ^(٢) لِلْأُمُورِ أَقْدَارُهَا، وَهَيَأُ إِلَى الْغَايَاتِ سُبُلَهَا، وَسَبَبُ^(٣) الْحَاجَاتِ
بِبِلَاغِهَا.

فَغَايَةُ النَّاسِ وَحَاجَاتُهُمْ صَلَاحُ الْمَعَاشِ^(٤) وَالْمَعَادِ^(٥)، وَالسَّبِيلُ إِلَى ذِكْهَا^(٦)
الْعَقْلُ الصَّحِيحُ. وَأَمَارَةٌ^(٧) صِحَّةِ الْعَقْلِ اخْتِيَارُ الْأُمُورِ بِالْبَصَرِ^(٨)، وَتَنْفِيزُ الْبَصَرِ
بِالْعَزْمِ.

(١) السبيل: جمع سُبُل: الطريق أو ما وضع منها والسبيل هنا: الحجة التي تَعْتَلُّ بها، والذريعة التي يتوصل بها إلى غاية مطلوبة.

(٢) وَقْتُ: الوقت المضروب للفعل إذا بَيَّنَّ له وقتاً محدداً.

(٣) سَبَبٌ: أحيا بالوصل والمودة صلة وعلاقة الحاجة لتحصل ما يحتاج إليه من أمر المعيشة.

(٤) الْمَعَاشُ وَالْمَعِيشُ: يصلح أن يكون مصدراً وأن يكون اسماً وهو ما يتسبب به أي ما يتوصل به إلى المعيشة في الحياة اليومية.

(٥) الْمُوعِدُ: موضع التواعد وهو الميعاد. ومنه قوله عز وجل: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾. قال: وما توعدون: الجنة واليوم الموعود والمعاد: إنه يوم القيامة.

(٦) الدَّرَكُ: اللِّحَاقُ، وقد أدركه، ورجل دَرَاكَ: كثير الإدراك والاتباع.

(٧) الأمانة والأمار بفتح الميم: الوقت والعلامة وجمعها أمارات.

(٨) الْبَصَرُ: العلم ومنه قوله تعالى: ﴿بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ﴾. من التَّبَصُّرِ والتأمل والتعرف بالأمور والتدبير بعواقبها.

الأدب ينمي العقول

وَلِلْعُقُولِ سَجِيَّاتٌ^(١) وَغَرَائِزُ^(٢) بِهَا تَقْبَلُ الْأَدَبَ، وَبِالْأَدَبِ تَتَمَّى الْعُقُولُ وَتَرْكُؤُ^(٣).

فَكَمَا أَنَّ الْحَبَّةَ الْمَدْفُونَةَ فِي الْأَرْضِ لَا تَقْدِرُ أَنْ تَخْلَعَ بَيْسَهَا وَتُظْهِرَ قُوَّتَهَا وَتَنْطَلِعَ فَوْقَ الْأَرْضِ بِزَهْرَتِهَا وَرَبِيعِهَا^(٤) وَنَضْرَتِهَا وَنَمَائِهَا إِلَّا بِمَعُونَةِ الْمَاءِ الَّذِي يَغُورُ إِلَيْهَا فِي مُسْتَوْدَعِهَا^(٥) فَيُذِيبُ عَنْهَا أَذَى الْيَبْسِ وَالْمَوْتِ وَيُحْدِثُ لَهَا بِإِذْنِ اللَّهِ الْقُوَّةَ وَالْحَيَاةَ، فَكَذَلِكَ سَلِيقَةُ^(٦) الْعَقْلِ مَكْنُونَةٌ فِي مَغْرِزِهَا مِنَ الْقَلْبِ: لَا قُوَّةَ لَهَا وَلَا حَيَاةَ بِهَا وَلَا مَنَفَعَةً عِنْدَهَا حَتَّى يَعْتَمِلَهَا^(٧) الْأَدَبُ الَّذِي هُوَ ثِمَارُهَا وَحَيَاتُهَا وَلِقَاحُهَا^(٨).

وَجُلُّ الْأَدَبِ بِالْمَنْطِقِ وَجُلُّ الْمَنْطِقِ بِالتَّعَلُّمِ. لَيْسَ مِنْهُ حَرْفٌ مِنْ حُرُوفٍ مُعْجَمِهِ، وَلَا اسْمٌ مِنْ أَنْوَاعِ أَسْمَائِهِ إِلَّا وَهُوَ مَرْوِيٌّ، مُتَعَلِّمٌ، مَأْخُودٌ عَنْ إِمَامٍ سَابِقٍ، مِنْ كَلَامٍ أَوْ كِتَابٍ.

- (١) السَّجِيَّاتُ: جَم سَجِيَّةٍ: الطَّبِيعَةُ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ. وَفِي الْحَدِيثِ: «كَانَ خُلُقُهُ سَجِيَّةً أَيْ طَبِيعَةً مِنْ غَيْرِ تَصْنَعٍ أَوْ تَلَوْنٍ.
- (٢) الْغَرَائِزُ جَمْعُ غَرِيزَةٍ: السَّجِيَّةُ وَالْخَلْقُ وَالطَّبِيعُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَقِيلَ: هِيَ الْأَصْلُ وَالطَّبِيعَةُ.
- (٣) تَرْكُؤُ: مِنْ فَعَلَ ذَكَأَ ذَكَأً: اشْتَدَّ وَقَوِيَ بِالْأَدَبِ الَّذِي أَلْقَى إِلَيْهِ فَتَدَكَّى بِهِ لِيَنْمُو وَيُسْتَدَّ عَلَى الْآخَرِينَ بِالْفِطْنَةِ وَالْبَرَاعَةِ.
- (٤) رَيعُهَا مِنْ فَعَلَ رَاعَ: نَمَا وَزَادَ وَظَهَرَ طَلْعُهُ وَثَمَرُهُ بِفَعْلِ الرِّيِّ، وَبَانَ نَضْرَتُهُ.
- (٥) مُسْتَوْدَعُهَا: مِنْ فَعَلَ وَدَعَ بِمَعْنَى سَكَنَ الْحَبُّ وَاسْتَقَرَّ فِي مَكَانِهِ وَقَصْدُهَا تَرْبَتُهُ الْخَصْبَةُ الصَّالِحَةُ لِلزَّرَاعَةِ وَالَّتِي وَصَلَ إِلَيْهَا الْمَاءُ وَغَارَ فِي أَعْمَاقِ الْأَرْضِ.
- (٦) السَّلِيقَةُ: السَّجِيَّةُ، يُقَالُ: فَلَانٌ يَقْرَأُ بِالسَّلِيقَةِ أَيْ بِطَبِيعَتِهِ لَا بِالتَّعَلُّمِ، وَهِيَ مَنْسُوبَةٌ إِلَى الْفَصَاحَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَلَقُوكُمْ وَقِيلَ: بِطَبِيعِهِ وَلُغَتِهِ.
- (٧) يَعْتَمِلُهَا: يَأْخُذُهَا مِهْنَةً وَيَفْعَلُهَا، وَأَعْتَمَلَ الرَّجُلُ: عَمِلَ بِنَفْسِهِ. وَبِهَذَا الْمَعْنَى أَنْشَدَ سَيَّوِيهِ: إِنَّ الْكَرِيمَ وَأَبِيكَ يَغْتَمِلُ إِنَّ لَمْ يَجِدْ يَوْمًا عَلَى مَنْ يُتَكَلَّمُ فَيُكْتَسِبِي مِنْ بَعْدِهَا وَيُكْتَمِلُ
- (٨) اللَّقَاحُ: مَا تَلْقَحُ بِهِ النَحْلَةُ وَغَيْرُهَا وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ تَأْثِيرَ عَمَلِ الْأَدَبِ فِي عَقْلِ وَفِكْرِ الْإِنْسَانِ كَلْقَاحِ النَحْلَةِ الْمُؤَلِّفِ مِنْ خَلَيَاتٍ مُولَّدةٍ فَكَمَا تَنْتِجُ النَحْلَةُ كَذَلِكَ يَدْعُ الْمَفْكَرُ وَالْأَدِيبُ انْتِاجًا عِلْمِيًّا وَعَمَلِيًّا فِي آنٍ وَاحِدٍ.

وذلك دليل على أن الناس لم يبتدعوا أصولها ولم يأتهم علمها إلا من قبل
العليم الحكيم^(١).

فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولوا قولاً بديعاً فليعلم
الواصفون المخبرون أن أحدهم، وإن أحسن وأبلغ، ليس زائداً على أن يكون
كصاحب فصوص^(٢) وجد ياقوتاً وزبرجداً ومرجاناً، فنظمه قلائد وسموطاً^(٣)
وأكاليل، ووضع كل فص موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه وما يزيده بذلك
حسناً، فسمي بذلك صانعاً^(٤) رقيقاً^(٥)، وكصاغية الذهب والفضة، صنعوا منها ما
يُعجب الناس من الحلي والآنية، وكالنحل وجدت ثمرات أخرجهما الله طيبةً،
وسألت سبلاً جعلها الله ذللاً^(٦)، فصارت ذلك شفاء وطعاماً، وشراباً منسوباً إليها،
مذكوراً به أمرها وصنعها.

فمن جرى على لسانه كلام يستحسنه أو يستحسن منه، فلا يعجب إعجاب
المخترع المبتدع، فإنه إنما اجتأه كما وصفنا.

الاقتداء بالصالحين

ومن أخذ كلاماً حسناً عن غيره فتكلم به في موضعه وعلى وجهه، فلا تَرَيْنَ

(١) العليم من صفات الله عز وجل العليم والعالم، ومنه قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ وهو المقصود.

(٢) فصوص: جمع فص وفص الخاتم وفصه بالفتح والكسر: ما يُركَّب في الخاتم من الحجارة الكريمة، والفتح فيه أعلى، والمولدون يسمونه قلب الخاتم.

(٣) السموط: جم سَمَط والسَمَط: خيط النظم لأنه يُعلَّق، وقيل: هي قلادة أطول من المِخْنَقَةِ، وقيل: السلك ما دام لم يخرز فيه لؤلؤ ولا مرجان.

(٤) صانعاً: الصانع الماهر الحاذق. ورجل صنع اليدين بكسر الصاد: الماهر.

(٥) الرقيق: جمع رُقَقَاء المرافق ويطلق على الواحد والجمع فنقول هم رقيقي كما نقول هو رقيقي والمقصود هنا اللطيف وحسن الصنيع إذا كان رقيقاً بالعمل.

(٦) ذللاً: جمع الذل بالكسر: الليل وهو ضد الصعوبة، وقيل: ذل ذلولاً في معنى رقيق ورؤوف.

عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ ضُؤُولَةٌ^(١). فَإِنَّهُ مَنْ أَعْيَنَ عَلَى حِفْظِ كَلَامِ الْمُصِيبِينَ، وَهُدِيَ لِلْإِقْتِدَاءِ بِالصَّالِحِينَ، وَوَقَفَ لِلْأَخْذِ عَنِ الْحُكَمَاءِ، وَلَا عَلَيْهِ أَنْ يَزْدَادَ، فَقَدْ بَلَغَ الْغَايَةَ. وَلَيْسَ بِنَاقِصِهِ فِي رَأْيِهِ وَلَا غَامِطِهِ^(٢) مَنْ حَقَّ أَنْ لَا يَكُونَ هُوَ اسْتَحْدَثَ ذَلِكَ وَسَبَقَ إِلَيْهِ. فَإِنَّمَا إِحْيَاءُ الْعَقْلِ الَّذِي يَتِمُّ بِهِ وَيَسْتَحْكَمُ^(٣) خِصَالُ^(٤) سَعْيٍ: الْإِشَارُ بِالْمَحَبَّةِ، وَالْمُبَالِغَةُ فِي الطَّلَبِ، وَالتَّشَبُّتُ فِي الْإِخْتِيَارِ، وَالْإِعْتِيَادُ لِلْخَيْرِ، وَحُسْنُ الرَّعْيِ^(٥)، وَالتَّعَهُدُ لِمَا اخْتِيرَ وَاعْتُقِدَ، وَوَضْعُ ذَلِكَ مَوْضِعَهُ قَوْلًا وَعَمَلًا.

أَمَّا الْمَحَبَّةُ فَإِنَّهَا تُبَلِّغُ الْمَرْءَ مَبْلَغَ الْفَضْلِ فِي كُلِّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ حِينَ يُؤَثِّرُ بِمَحَبَّتِهِ. فَلَا يَكُونُ شَيْءٌ أَمْرًا^(٦) وَلَا أَحْلَى عِنْدَهُ مِنْهُ.

وَأَمَّا الطَّلَبُ، فَإِنَّ النَّاسَ لَا يُغْنِيهِمْ حُبُّهُمْ مَا يُحِبُّونَ وَهَوَاهُمْ مَا يَهْوُونَ عَنْ طَلَبِهِ وَابْتِغَائِهِ^(٧). وَلَا تُدْرِكُ لَهُمْ بُغْيَتُهُمْ وَنَفَاسَتُهَا^(٨) فِي أَنْفُسِهِمْ، دُونَ الْجَدِّ وَالْعَمَلِ.

وَأَمَّا التَّشَبُّتُ وَالتَّخَيُّرُ، فَإِنَّ الطَّلَبَ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مَعَهُ وَبِهِ. فَكَمْ مِنْ طَالِبٍ رُشِدٍ وَجَدَهُ وَالْغَيِّ مَعًا، فَاصْطَفَى مِنْهُمَا الَّذِي مِنْهُ هَرَبَ، وَأَلْغَى الَّذِي إِلَيْهِ سَعَى، فَإِذَا

(١) الضُّؤُولَةُ: والضَّئِيلُ: الصغير الدقيق الحقيق، وتَضَاعَلَتِ الرَّجُلُ: أَخْفَى شَخْصَهُ قَاعِدًا وَتَصَاغَرَ أَيِ يَدْقُ حَقَارَةً.

(٢) الْغَمُطُ: الاستهانة والاستحقار، وفي الحديث إِنَّمَا ذَلِكَ مَنْ سَفِهَ الْحَقَّ وَغَمَطَ النَّاسَ يَعْنِي أَنْ يَرَى الْحَقَّ سَفَهًا وَجَهْلًا.

(٣) يَسْتَحْكَمُ مِنْ فِعْلِ حَكَمَ، وَاسْتَحْكَمَ الْأَمْرُ وَيَسْتَحْكَمُ: يَتِمُّكَ مِنْهُ أَيِ صَارَ مُحْكَمًا مُتَقَنًا.

(٤) خِصَالُ جَمْعُ الْخِصْلَةِ وَالْخِصْلَةُ: الْخَلَّةُ فَضِيلَةٌ كَانَتْ أَوْ رَذِيلَةٌ، وَقَدْ غَلَبَتْ عَلَى الْفَضِيلَةِ وَهِيَ الْمَقْصُودَةُ هُنَا.

(٥) الرَّعْيُ: مَنْ فِعْلُ رَعَى الْأَمِيرَ رَعِيَّتَهُ: سَاسَهَا وَتَدَبَّرَ شُؤْنَهَا، وَقَصْدُ هُنَا حَسَنَ التَّدْبِيرِ وَالتَّصَرُّفِ لِلْأُمُورِ الَّتِي يَسْعَى فِي طَلَبِهَا تَحْقِيقًا لِلْخَيْرِ.

(٦) أَمْرًا: مَنْ فِعْلُ مَرَأَ وَمَرَّؤُ الطَّعَامَ، وَمَرَأً: صَارَ مَرِيئًا، وَمِنْهُ فِي حَدِيثِ الْإِسْتِمَاءِ: «إِسْقِنَا غَيْثًا مَرِيئًا» يُقَالُ مَرَأَنِي الطَّعَامَ: إِذَا لَمْ يَثْقُلْ عَلَى الْمِعْدَةِ وَانْحَدَرَ عَنْهَا طَبِئًا.

(٧) الْبَغْيَةُ: الطَّلْبَةُ وَيُقَالُ: بَغَيْتِي عِنْدَكَ وَبَغَيْتِي الْبَغْيَةُ: الضَّالَّةُ الْمُبْغِيَةُ أَيِ الْحَاجَةُ.

(٨) نَفْسُ الشَّيْءِ بِالضَّمِّ فَهُوَ نَفْسٌ: رَفَعَ وَصَارَ مَرْغُوبًا فِيهِ، وَهَذَا أَنْفُسُ مَالِي أَيِ أَحَبَّهُ.

كَانَ الطَّالِبُ يَحْوِي غَيْرَ مَا يُرِيدُ، وَهُوَ لَا يَشْكُ فِي الظُّفْرِ، فَمَا أَحَقُّهُ^(١) بِشَدَّةِ التَّبَيِّنِ وَحُسْنِ الْإِبْتِغَاءِ!

وَأَمَّا اعْتِقَادُ الشَّيْءِ بَعْدَ اسْتِبَانَتِهِ، فَهُوَ مَا يُطْلَبُ مِنْ إِحْرَازِ الْفَضْلِ بَعْدَ مَعْرِفَتِهِ.
وَأَمَّا الْحِفْظُ وَالتَّعَهُدُ، فَهُوَ تَمَامُ الدَّرَكِ^(٢). لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مُوَكَّلٌ بِهِ النَّسْيَانُ وَالْغَفْلَةُ. فَلَا بُدَّ لَهُ، إِذَا اجْتَبَى^(٣) صَوَابَ قَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ مِنْ أَنْ يَحْفَظَهُ عَلَيْهِ ذَهْنُهُ لِأَوَانِ حَاجَتِهِ.

وَأَمَّا الْبَصَرُ بِالْمَوْضِعِ، فَإِنَّمَا تَصِيرُ الْمَنَافِعُ كُلُّهَا إِلَى وَضْعِ الْأَشْيَاءِ مَوَاضِعَهَا، وَبِنَا إِلَى هَذَا كُلِّهِ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ. فَإِنَّا لَمْ نُوَضِّعْ فِي الدُّنْيَا مَوْضِعَ غِنًى وَخَفْضٍ^(٤) وَلَكِنْ بِمَوْضِعٍ فَاقَةٍ وَكَدٍّ، وَلَسْنَا إِلَى مَا يُمْسِكُ أَرْمَاقَنَا^(٥) مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ بِأَحْوَجَ مِنَّا إِلَى مَا يُثَبِّتُ عُقُولَنَا مِنَ الْأَدَبِ الَّذِي بِهِ تَفَاوُتُ الْعُقُولِ. وَلَيْسَ غِذَاءُ الطَّعَامِ بِأَسْرَعَ فِي نَبَاتِ^(٦) الْجَسَدِ مِنْ غِذَاءِ الْأَدَبِ فِي نَبَاتِ الْعَقْلِ. وَلَسْنَا بِالْكَدِّ فِي طَلَبِ الْمَتَاعِ الَّذِي يُلْتَمَسُ بِهِ دَفْعُ الضَّرَرِ وَالْغَلْبَةُ بِأَحَقَّ مِنَّا بِالْكَدِّ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ الَّذِي يُلْتَمَسُ بِهِ صَلَاحُ الدِّينِ وَالْدُّنْيَا.

(١) حَقُّ الْأَمْرِ يَحُقُّهُ: كَانَ مِنْهُ عَلَى يَقِينٍ وَتَقُولُ الْعَرَبُ: حَقَّ عَلَيَّ أَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ، وَحَقٌّ وَهُوَ حَقِيقٌ بِهِ أَيْ خَلِيقٌ لَهُ وَجَدِيرٌ.

(٢) الدَّرَكُ: اللَّحَاقُ وَالْوَصُولُ إِلَى الشَّيْءِ، وَالدَّرَكُ: إِدْرَاكُ الْحَاجَةِ وَالْمَقْصُودِ هُنَا الدَّرَكُ بِسُكُونِ الرَّاءِ وَتَحْرِيكِهَا: التَّبَعِيَّةُ وَاللَّحَاقُ.

(٣) الْجَبِي: مَنْ فَعَلَ جَبَى يَجْبَاهُ وَيَجْبِيهِ بِمَعْنَى جَمْعِهِ وَحَصْلَهُ وَالْمَقْصُودُ الثَّانِي.

(٤) الْخَفْضُ: لَبِنُ الْعَيْشِ وَسَعَتُهُ. وَيُقَالُ عَيْشٌ خَافِضٌ وَخَفِضُ: خَصَبٌ فِي دَعَاةٍ وَلَيْنٍ. وَمِنْهُ قَوْلُ هَمِيَانَ بْنِ قُحَافَةَ: «بَانَ الْجَمِيعُ بَعْدَ طَوْلٍ مَخْفِضَةٍ».

(٥) أَرْمَاقٌ: جَمْعُ رَمَقٍ. وَالرَّمَقُ: بَقِيَّةُ الْحَيَاةِ. وَقِيلَ: بَقِيَّةُ الرُّوحِ.

(٦) النَّبَاتُ: نَبَتَ النَّبَاتُ فَهُوَ نَبَتٌ وَالنَّبَاتُ فِعْلُهُ وَيَجْرِي مَجْرَى اسْمِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا». قِيلَ نَبَتَ الشَّيْءُ نَبَاتًا فِي الْجَسَدِ وَالْعَقْلِ عَلَى حِدِّ سَوَاءٍ، وَجَاءَ هُنَا نَبَاتًا عَلَى لَفْظِ نَبَتَ أَيْ نَمَا وَكَبُرَ.

ما وضع في هذا الكتاب

وَقَدْ وَضَعْتُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ كَلَامِ النَّاسِ الْمَحْفُوظِ حُرُوفاً فِيهَا عَوْنٌ عَلَى عِمَارَةِ^(١) الْقُلُوبِ وَصِقَالِهَا^(٢) وَتَجْلِيَةِ أَبْصَارِهَا، وَإِخْيَاءِ لِلتَّفَكِيرِ وَإِقَامَةِ^(٣) لِلتَّنْذِيرِ، وَذَلِيلٌ عَلَى مَحَامِدِ^(٤) الْأُمُورِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ!

انظر أين تضع نفسك

الْوَاصِفُونَ^(٥) أَكْثَرُ مِنَ الْعَارِفِينَ، وَالْعَارِفُونَ أَكْثَرُ مِنَ الْفَاعِلِينَ.

فَلْيَنْظُرِ أَمْرُؤُ أَيَّنَ يَضَعُ نَفْسَهُ. فَإِنَّ لِكُلِّ أَمْرِيءٍ لَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ آفَةٌ نَصِيْباً مِنَ اللَّبِّ يَعِيشُ بِهِ، لَا يُحِبُّ أَنْ لَهُ بِهِ مِنَ الدُّنْيَا - ثَمَناً - وَلَيْسَ كُلُّ ذِي نَصِيْبٍ مِنَ اللَّبِّ^(٦) بِمُسْتَوْجِبٍ أَنْ يُسَمَّى فِي ذَوِي الْأَلْبَابِ؛ وَلَا يُوصَفُ بِصِفَاتِهِمْ. فَمَنْ رَامَ أَنْ يَجْعَلَ نَفْسَهُ لِذَلِكَ الْأَسْمِ وَالْوَصْفِ أَهْلاً، فَلْيَأْخُذْ لَهُ عَتَادَهُ^(٨) وَلْيُعِدْ لَهُ طَوْلَ أَيَّامِهِ، وَلْيُوَثِّرْهُ عَلَى أَهْوَائِهِ. فَإِنَّهُ قَدْ رَامَ أَمراً جَسِماً^(٩) لَا يَصْلُحُ عَلَى الْغَفْلَةِ، وَلَا يُدْرِكُ بِالْمَعْجَزَةِ، وَلَا يَصِيرُ عَلَى الْأَثَرَةِ^(١٠). وَلَيْسَ كَسَائِرِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَسُلْطَانِهَا وَمَالِهَا

(١) العِمَارَةُ: ما تُعْتَمَرُ بِهِ الْقُلُوبُ، وَأَغْمَرَ عَلَيْهَا: أَغْنَاهَا.

(٢) صِقَالُهَا مِنَ الصَّقْلِ: الْجَلَاءُ صَقْلَ الشَّيْءِ يَصْقُلُهُ صَقْلاً وَصِقَالاً: جَلَّاهُ وَنَقَّاهُ مِنْ كُلِّ مَا يَشِينُهُ وَيَعِيبُهُ.

(٣) إِقَامَةُ لِلتَّنْذِيرِ: الْعَزْمُ عَلَى تَصَرُّفِ الْأُمُورِ بِحِكْمَةٍ وَتَعْقُلٍ.

(٤) الْمُحَامِدُ مِنَ الْحَمْدِ نَقِيضُ الذَّمِّ، وَالتَّحْمِيدُ كَثْرَةُ حَمْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ بِالْمَحَامِدِ الْحَسَنَةِ، وَالتَّحْمِيدُ أَبْلَغُ مِنَ الْحَمْدِ.

(٥) الْوَاصِفُونَ مِنَ الْوَصْفِ وَالْوَاصِفُ: الْمُنْعَوَتُ بِالْكَلَامِ الْكَثِيرِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿رَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾.

(٦) اللَّبُّ: لُبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلُبَّابُهُ: خَالِصُهُ وَخِيَارُهُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ.

(٧) اللَّبُّ: الْعَقْلُ. جَمْعُ أَلْبَابٍ وَأَلْبَبٍ. وَبِهَذَا الْمَعْنَى قَالَ الْكُمَيْتُ: [الطَّوِيلُ].

إِلَيْكُمْ بَنِي آلِ النَّسَبِ، تَطَلَّعْتُ نَوَازِعَ مِنْ قَلْبِي طِبَاءَ وَالْبَبِّ

(٨) الْعَتَادُ: مَا أَعَدَّ لِأَمْرٍ مَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعْتَدْتُ لَهُنَّ مَثَاقِمْ أَيِّ هَيَّاتُ.

(٩) الْجَسْمُ: الْأُمُورُ الْعِظَامُ، وَالْجَسْمُ: رُكُوبُ أَجْسِمِ الْأُمُورِ وَتَعْظِيمُهَا.

(١٠) الْأَثَرَةُ: بَفَتْحِ الْهَمْزَةِ وَالثَاءِ، الْأَسْمُ مِنْ أَثَرٍ يُؤَثِّرُ إِشَاراً: إِذَا أُعْطِيَ. وَفِي الْحَدِيثِ: وَأَنْكُمْ سَتَلْقَوْنَ =

وزيبتها التي قد يدرك منها المتواني^(١) ما يفوت المثابر؛ ويصيب منها العاجز ما يخطيء الحازم.

جماع الصواب وجماع الخطأ

وَلْيَعْلَمْ أَنَّ عَلَى الْعَاقِلِ أَمْوَرًا إِذَا ضَيَّعَهَا حَكَمَ عَلَيْهِ عَقْلُهُ بِمُقَارَنَةِ الْجُهَالِ.

فَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ مُشْرِكُونَ مُسْتَوُونَ فِي الْحُبِّ لِمَا يُوَافِقُ وَالْبُغْضِ لِمَا يُؤْذِي، وَأَنَّ هَذِهِ مَنَزِلَةٌ اتَّفَقَ عَلَيْهَا الْحَقْمَقِيُّ^(٢) وَالْأَكْيَاسُ^(٣)، ثُمَّ اخْتَلَفُوا بَعْدَهَا فِي ثَلَاثِ خِصَالٍ هُنَّ جَمَاعُ الصَّوَابِ وَجَمَاعُ الْخَطَا، وَعِنْدَهُنَّ تَفَرَّقَتِ الْعُلَمَاءُ وَالْجُهَالُ، وَالْحَزْمَةُ^(٤) وَالْعَجْزَةُ.

الباب الأول من ذلك^(٥)

أَنَّ الْعَاقِلَ يَنْظُرُ فِيمَا يُؤْذِيهِ وَفِيمَا يَسْرُهُ، فَيَعْلَمُ أَنَّ أَحَقَّ ذَلِكَ بِالطَّلَبِ، إِنْ كَانَ مِمَّا يُحِبُّ، وَأَحَقُّهُ بِالِاتِّقَاءِ^(٦)، إِنْ كَانَ مِمَّا يَكْرَهُ، أَطْوَلُهُ وَأَدْوَمُهُ وَأَبْقَاهُ، فَإِذَا هُوَ قَدْ أَبْصَرَ فَضْلَ الْآخِرَةِ عَلَى الدُّنْيَا، وَفَضْلَ سُرُورِ الْمُرُوءَةِ عَلَى لَذَّةِ الْهَوَى، وَفَضْلَ الرَّأْيِ الْجَامِعِ الَّذِي تَصْلُحُ بِهِ الْأَنْفُسُ وَالْأَعْقَابُ عَلَى حَاضِرِ الرَّأْيِ الَّذِي يُسْتَمْتَعُ

= بَعْدِي أَثَرُهُ فَاصْبِرُوا». أَرَادَ أَنَّهُ يُسْتَأْثَرُ عَلَيْكُمْ فَيُفْضَلُ غَيْرُكُمْ مِنْ نَصِيهِهِ مِنَ الْفِيءِ.

(١) التواني من ألونا: التعب والضعف، وتواني في حاجته: قصّر. وفي حديث عائشة تصف أباهما رضي الله عنهما: «سَبَقَ إِذْ وَبَيْتِهِمْ» أَي قَصُرْتُمْ وَفَتَرْتُمْ.

(٢) الحَمَقِيُّ: مِنَ الْحَمَقِ ضِدُّ الْعَقْلِ الْحَقِّقِ: قَلَّةُ الْعَقْلِ وَأَنْحَمَقَ الرَّجُلُ إِذَا فَعَلَ الْحَمَقَى.

(٣) الْأَكْيَاسُ جَمْعُ الْكَيْسِ: الْعَقْلُ. وَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ» أَي الْعَاقِلُ.

(٤) الْحَزْمَةُ: ضَبْطُ الْإِنْسَانِ أَمْرَهُ وَالْأَخْذُ فِيهِ بِالثِقَةِ. وَرَجُلٌ حَازِمٌ مِنْ قَوْمِ حَزْمَةٍ وَحُزْمٍ: الْعَاقِلُ الْمُمِيزُ ذُو الْحُنْكَ. وَالْعَجْزَةُ: نَقِيضُ الْحَزْمِ.

(٥) قَوْلُهُ مِنْ ذَلِكَ: مِنَ الْخِصَالِ الثَّلَاثِ الَّتِي ذَكَرْتَ أَعْلَاهُ عَلَى التَّفْصِيلِ الْبَابُ الْأَوَّلُ يَعْنِي الْخِصْلَةَ الْأُولَى وَالْبَابُ الثَّانِي الَّذِي يَلِي الْخِصْلَةَ الثَّانِيَةَ وَالْبَابُ الثَّلَاثُ الْخِصْلَةَ الثَّلَاثَةَ.

(٦) الْإِتْقَاءُ مِنْ فَعَلَ وَقَاهُ اللَّهُ: صَانَهُ، وَقَدْ تَوَقَّيْتُ الشَّيْءَ: حَذَرْتُهُ وَرَجُلٌ تَقِيٌّ أَي مَوْقٍ نَفْسَهُ مِنَ الْعَذَابِ وَالْمَعَاصِي بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالْمَقْصُودِ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ.

بِهِ قَلِيلًا ثُمَّ يَضْمَجِلْ، وَفَضَّلَ الْأَكْلَاتِ عَلَى الْأَكْلَةِ وَالسَّاعَاتِ عَلَى السَّاعَةِ^(١).

الباب الثاني من ذلك

أَنْ يَنْظُرَ فِيمَا يُؤْثِرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَضَعِ الرَّجَاءَ وَالْخَوْفَ فِيهِ مَوْضِعَهُ، فَلَا يَجْعَلَ اتِّقَاءَهُ لِغَيْرِ الْمَخَوْفِ وَلَا رَجَاءَهُ فِي غَيْرِ الْمُدْرَكِ. فَيَتَوَقَّى عَاجِلَ^(٢) اللَّذَاتِ طَلِبًا لِأَجْلِهَا، وَيَحْتَمِلُ قَرِيبَ الْأَذَى تَوَقُّيًا لِبَعِيدِهِ. فَإِذَا صَارَ إِلَى الْعَاقِبَةِ^(٣)، بَدَأَ لَهُ أَنْ فِرَارَهُ كَانَ تَوَرُّطًا^(٤) وَأَنْ طَلَبَهُ كَانَ تَنَكُّبًا^(٥).

الباب الثالث من ذلك

هُوَ تَنْفِيزُ الْبَصَرِ^(٦) بِالْعَزْمِ بَعْدَ الْمَعْرِفَةِ بِفَضْلِ الَّذِي هُوَ أَذْوَمُ، وَبَعْدَ التَّثَبُّتِ فِي مَوَاضِعِ الرَّجَاءِ وَالْخَوْفِ. فَإِنَّ طَالِبَ الْفَضْلِ يَغْيِرُ بَصَرَهُ تَائِهَ حَيْرَانٍ، وَمُبْصِرُ الْفَضْلِ يَغْيِرُ عَزْمَهُ ذُو زَمَانَةٍ^(٧) مُحْرُومٍ.

(١) قصد ابن المقفع بأنَّ العاقل عرف كيف يعزف عن ملذات الدنيا الزائلة المعبر عنها بالساعة لاضمحلال سرورها ولذتها إلى نعيم الآخرة الدائم الأبدى، والذي كَتَى عنه بالساعات.

(٢) العاجل: نقيض الآجل، وقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾، العاجلة الدنيا، والآجلة الآخرة. والمقصود هنا أنه يتعد عن ملذات الدنيا ويتوقاها طلباً لملذات الآخرة الدائمة.

(٣) العاقبة من عَقَبَ وَعَقَبَ كُلُّ شَيْءٍ وَعَقَبَهُ وَعَاقَبَتْهُ: آخِرُهُ. وفي التنزيل: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾. أي لا يخاف الله عَزَّ وَجَلَّ عاقبة ما عَمِلَ أَنْ يَرْجِعَ عَلَيْهِ فِي الْعَاقِبَةِ كَمَا نَخَافُ نَحْنُ.

(٤) تورطاً من فعل وَرَطَ، والورطة: الهلكة، وتورط وقع في حادث مهلك غامض يصعب عليه النجاة منه بسلام.

(٥) تَنَكُّبًا من فعل نَكَبَ عن الشيء: عَدَلَ، وَنَكَبَ عَنِ الصَّوَابِ تَنَكُّبًا وَنَكَبَ غَيْرَهُ بِمَعْنَى مَالَ وَاعْتَزَلَ وَتَجَنَّبَ. وفي الحديث: «نَكَبُوا عَنِ الطَّعَامِ» يريد الأكلة وذوات اللبن أي أعرضوا عنها.

(٦) الْبَصَرُ: العلم بالثبات على الأمر بحذر شديد.

(٧) زمانة: آفة في الحيوان، ورجل زَمَنَ أي مُبْتَلَى بَيْنَ الزَّمَانَةِ. وَزَمَنَ زَمَانَةً فَهُوَ زَمِنٌ وَالْجَمْعُ زَمَنُونَ لِأَنَّهُ جَنَسٌ لِلْبَلَايَا الَّتِي يَصَابُونَ بِهَا.

وَعَلَى الْعَاقِلِ مَخَاصِمُهُ^(١) نَفْسِهِ وَمُحَاسَبَتُهَا وَالْقَضَاءُ عَلَيْهَا وَالْإِثَابَةُ وَالتَّنْكِيلُ^(٢)

بِهَا.

أَمَّا الْمُحَاسَبَةُ، فَيَحَاسِبُهَا بِمَا لَهَا، فَإِنَّهُ لَا مَالَ لَهَا إِلَّا أَيَّامُهَا الْمَعْدُودَةُ الَّتِي مَا ذَهَبَ مِنْهَا لَمْ يُسْتَخْلَفْ^(٣) كَمَا تُسْتَخْلَفُ النَّفَقَةُ، وَمَا جُعِلَ مِنْهَا فِي الْبَاطِلِ لَمْ يَرْجَعْ إِلَى الْحَقِّ، فَيَتَنَبَّهُ لِهَذِهِ الْمُحَاسَبَةِ عِنْدَ الْحَوْلِ إِذَا حَالَ^(٤)، وَالشَّهْرُ إِذَا انْقَضَى، وَالْيَوْمُ إِذَا وَلَّى^(٥)، فَيَنْظُرُ فِيمَا أَفْنَى مِنْ ذَلِكَ، وَمَا كَسَبَ لِنَفْسِهِ، وَمَا اكْتَسَبَ عَلَيْهَا فِي أَمْرِ الدِّينِ وَأَمْرِ الدُّنْيَا. فَيَجْمَعُ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ فِيهِ إِحْصَاءٌ، وَجَدُّ^(٦)، وَتَذْكِيرٌ لِلْأُمُورِ، وَتَبْكِيتٌ لِلنَّفْسِ وَتَذَلِيلٌ لَهَا حَتَّى تَعْتَرِفَ وَتُذْعِنَ.

وَأَمَّا الْخُصُومَةُ، فَإِنَّ مِنْ طِبَاعِ النَّفْسِ الْآمِرَةَ بِالسُّوءِ أَنْ تَدْعِيَ الْمَعَاذِيرَ فِيمَا مَضَى، وَالْأَمَانِي فِيمَا بَقِيَ، فَيَرُدُّ عَلَيْهَا مَعَاذِيرَهَا وَعِلَلَهَا وَشُبُهَاتِهَا^(٧).

وَأَمَّا الْقَضَاءُ، فَإِنَّهُ يَحْكُمُ فِيمَا أَرَادَتْ مِنْ ذَلِكَ عَلَى السَّيِّئَةِ بِأَنَّهَا فَاضِحَةٌ مُرْدِيَةٌ مُوَبِّقَةٌ^(٨)، وَلِلْحَسَنَةِ بِأَنَّهَا زَائِنَةٌ مُنْجِيَةٌ مُرَبِّحَةٌ.

(١) مخاصمة من خصم خصاماً غلبه بالحجة، ومخاصمة النفس: محاورتها بالجدل المقرون بالبرهان. وفي التنزيل العزيز: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخُسُفِ إِذْ تُسَوِّرُوا الْعُرَابَ﴾. جاءت هنا الخضم جمعاً لأنه سَمَى بالمصدر.

(٢) الإثابة: ثواب الطاعة ومكافأة المرء في الخير، والتنكيل: معاقبة الإنسان على ضيع شيء ليحذر غيره ويكون عبرة له.

(٣) يستخلف من فعل خلف: وخلف فلان والده جعل مكانه بدلاً عنه.

(٤) الحَوْلُ: سَنَةٌ بِأَسْرَهَا، والجمع أحوالٌ وحوُولٌ، وحَالٌ عليه الحَوْلُ حَوْلًا: أَتَى، وحَالُ الْغُلَامِ: أَتَى عَلَيْهِ حَوْلٌ.

(٥) وَلَّى الأمر عنه أَعْرَضَ عنه وَتَرَكَ هَارِبًا، وَالْيَوْمُ إِذَا وَلَّى: ذَهَبَ وَانْقَضَى.

(٦) جَدُّ: الْجَدُّ بَيَانُ الْجَهْدِ فِي كُلِّ عَمَلٍ وَأَمْرٍ.

(٧) الْمُتَشَابِهُ: مَا لَمْ يُتْلَقْ مَعْنَاهُ مِنْ لَفْظِهِ وَهُوَ عَلَى ضَرِبَيْنِ: أَحَدُهَا إِذَا رُدَّ إِلَى الْمُحْكَمِ عَرَفَ مَعْنَاهُ، وَالْآخَرُ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى مَعْرِفَةِ حَقِيقَتِهِ فَالْمُتَّبِعُ لَهُ مُتَّبِعٌ لِلْفِتْنَةِ، لِأَنَّهُ لَا يَكَادُ يَتَهَيَّ إِلَى شَيْءٍ تَسْكُنُ نَفْسُهُ إِلَيْهِ.

(٨) الْمُوَبِّقَةُ مَنْ وَبَّقَ الرَّجُلُ: هَلَكَ وَالْمُوَبِّقَةُ مَفْعَلَةٌ مِنْهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «وَلَوْ فَعَلَ الْمُوَبِّقَاتِ». أَيِ =

وَأَمَّا الْإِثَابَةُ وَالتَّنْكِيلُ، فَإِنَّهُ يَسِّرُ نَفْسَهُ بِتَذَكُّرِ تِلْكَ الْحَسَنَاتِ وَرَجَاءِ عَوَاقِبِهَا وَتَأْمِيلِ فَضْلِهَا، وَيُعَاقِبُ نَفْسَهُ بِالتَّذَكُّرِ لِلْسَّيِّئَاتِ وَالتَّبَشُّعِ بِهَا وَالْاِقْشِعْرَارِ مِنْهَا وَالْحُزْنَ لَهَا.

فَأَفْضَلَ ذَوِي الْأَلْبَابِ أَشَدُّهُمْ لِنَفْسِهِ بِهَذَا أَخْذًا^(١)، وَأَقْلَهُمْ عَنْهَا فِيهِ فِتْرَةً.

ذكر الموت

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَذْكُرَ الْمَوْتَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مِرَارًا، ذِكْرًا يُبَاشِرُ بِهِ الْقُلُوبَ وَيَقْدَعُ^(٢) الطَّمَاحَ^(٣)، فَإِنَّ فِي كَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ عِصْمَةً مِنَ الْأَشْرِ^(٤)، وَأَمَانًا، بِإِذْنِ اللَّهِ، مِنَ الْهَلَعِ^(٥).

إحصاء المساويء

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُحْصِيَ عَلَى نَفْسِهِ مَسَاوِيَهَا فِي الدِّينِ وَفِي الْأَخْلَاقِ وَفِي الْأَدَابِ، فَيَجْمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ فِي صَدْرِهِ أَوْ فِي كِتَابٍ، ثُمَّ يُكَثِّرَ عَرْضَهُ عَلَى نَفْسِهِ، وَيُكَلِّفَهَا إِصْلَاحَهُ، وَيُؤَظِّفَ ذَلِكَ عَلَيْهَا تَوْظِيفًا مِنْ إِصْلَاحِ الْخَلَّةِ وَالْخَلَّتَيْنِ وَالْخِلَالِ فِي الْيَوْمِ أَوْ الْجُمُعَةِ أَوْ الشَّهْرِ،

= الذنوب المهلكات. وأَوْبَقُهُ غَيْرُهُ فَهُوَ مُوبِقٌ وَهِيَ مُوبَقَةٌ.

(١) الأخذ بعمل الإثابة أي الأمر الذي يسر نفسه بتذكر تلك الحسنات ورجاء عواقبها وتأميل فضلها، والأخذ من جهة أخرى بالابتعاد عما يتكل بنفسه ويهلكها.

(٢) القَدْعُ: الكفّ والمنع، وقيل: «أَقْدَعُوا هَذِهِ النَّفُوسَ فَإِنَّهَا طُلَعَتْ» وقيل: «أَقْدَعُوا هَذِهِ الْأَنْفُسَ فَإِنَّهَا أَسَالَ شَيْءٌ إِذَا أُعْطِيتْ، وَأَمْنَعُ شَيْءٌ إِذَا سُئِلَتْ» أي كَفُّوا عَمَّا تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ فِي السَّيِّئَاتِ.

(٣) الطَّمَاحُ: المقصود شroud النفس عن الخير واتباعها الشهوات والرغبات والملذات.

(٤) الْأَشْرُ: المَرُحُ وَالْأَشْرُ: الْبَطْرُ. وجمعه أشرون، وأشرون.

(٥) الْهَلَعُ: الْجَزَعُ وقلة الصبر، وقيل هو أسوأ الْجَزَعِ وَأَفْحَشُهُ. ومنه قول هشام بن عبد الملك لِشَبَّةَ بْنِ عَقَّالٍ حِينَ أَرَادَ أَنْ يَقْبَلَ يَدَهُ: مَهْلًا يَا شَبَّةُ فَإِنَّ الْعَرَبَ لَا تَفْعَلُ هَذَا إِلَّا هُلُوعًا، وَأَنَّ الْعَجَمَ لَمْ تَفْعَلْهُ إِلَّا خَضُوعًا.

فَكُلَّمَا أَصْلَحَ شَيْئًا مَحَاهُ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى مَحْوٍ اسْتَبَشَرَ، وَكُلَّمَا نَظَرَ إِلَى ثَابِتٍ اِكْتَابَ^(١).

الخصال الصالحة

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَفَقَّدَ مَحَاسِنَ النَّاسِ وَيَحْفَظَهَا^(٢) عَلَى نَفْسِهِ، وَيَتَعَهَّدَهَا بِذَلِكَ مِثْلَ الَّذِي وَصَفْنَا فِي إِصْلَاحِ الْمَسَاوِي.

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يُخَادِنَ^(٣) وَلَا يُصَاحِبَ وَلَا يُجَاوِرَ مِنَ النَّاسِ، مَا اسْتَطَاعَ، إِلَّا ذَا فَضْلٍ فِي الْعِلْمِ وَالدِّينِ وَالْأَخْلَاقِ فَيَأْخُذُ عَنْهُ، أَوْ مُوَافِقًا لَهُ عَلَى إِصْلَاحِ ذَلِكَ فَيُؤَيِّدُ مَا عِنْدَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْهِ فَضْلٌ.

فَإِنَّ الْخِصَالَ الصَّالِحَةَ مِنَ الْبِرِّ^(٤) لَا تَحْيَا وَلَا تَنُمِي إِلَّا بِالْمُؤَافِقِينَ وَالْمُؤَيِّدِينَ. وَلَيْسَ لِذِي الْفَضْلِ قَرِيبٌ وَلَا حَمِيمٌ^(٥) أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِمَّنْ وَافَقَهُ عَلَى صَالِحِ الْخِصَالِ فَرَادَهُ وَثَبَّتَهُ.

وَلِذَلِكَ رَعِمَ بَعْضُ الْأَوَّلِينَ أَنَّ صُحْبَةَ بَلِيدٍ نَشَأَ مَعَ الْعُلَمَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ صُحْبَةِ لَبِيبٍ نَشَأَ مَعَ الْجُهَالِ.

من نسي وتهاون خسر

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَحْزَنَ عَلَى شَيْءٍ فَاتَهُ^(٦) مِنَ الدُّنْيَا أَوْ تَوَلَّى، وَأَنْ يُنْزِلَ مَا

(١) اِكْتَابَ من فعل كَتَبَ: حَزَنَ وَاعْتَمَ وانكسر فهو كَتِيب، والكآبة: تغير النفس بالانكسار من شدة الهم والحزن وهو كَتِيب وهي كَتِيبَة.

(٢) يحفظها على: يحصنها ويرعاها ويُدَبُّ بها عن المحارم والمساوئ والمتع.

(٣) يُخَادِنُ من الخَذَن والخَدِين: الصديق والصاحب والجمع أخدان، والخَذَن الذي يُخَادِنُكَ فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن فيصاحِبُكَ ويصَادِقُكَ.

(٤) الْبِرُّ: من فعل بَرَّ يَبْرُّ إِذَا صَلَحَ، وَبَرَّ فِي يَمِينِهِ يَبْرُّ إِذَا صَدَقَهُ وَلَمْ يَخْنَثْ، وَيُقَالُ: فَلَانُ يَبْرُّ رَبَّهُ أَيِ يَطِيعُهُ وَيَصْدَقُهُ.

(٥) الْحَمِيمُ: الْقَرَابَةُ يُقَالُ: مُحِمٌّ مُقَرَّبٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ أَيِ لَا يَسْأَلُ ذُو قَرَابَةٍ عَنْ قَرَابَتِهِ، وَحَمِيمُكَ قَرِيبُكَ الَّذِي تَهْتَمُّ لَأَمْرِهِ.

(٦) الْفَوْتُ وَالْفَوَاتُ: الْذَهَابُ، وَقِيلَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يُفَاتُ وَلَا يُلَاتُ». وَفَاتَنِي الْأَمْرُ فَوْتًا وَفَوَاتًا. =

أَصَابَهُ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ انْقَطَعَ عَنْهُ مَنَزَلَةٌ مَا لَمْ يُصِْبْ، وَيُنْزَلَ مَا طَلَبَ مِنْ ذَلِكَ ثُمَّ لَمْ يُدْرِكْهُ مَنَزَلَةٌ مَا لَمْ يَطْلُبْ، وَلَا يَدْعُ حَظَّهُ مِنَ السَّرُورِ بِمَا أَقْبَلَ مِنْهَا، وَلَا يَبْلُغَنَّ ذَلِكَ سُكْرًا^(١) وَلَا طُغْيَانًا، فَإِنَّ مَعَ السُّكْرِ النِّسيَانَ، وَمَعَ الطُّغْيَانِ التَّهَاؤُنَ، وَمَنْ نَسِيَ وَتَهَاوَنَ خَسِرَ.

إيناس ذوي الألباب

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يُؤْنِسَ ذَوِي الْأَلْبَابِ بِنَفْسِهِ وَيَجَرِّئَهُمْ^(٢) عَلَيْهَا حَتَّى يَصِيرُوا حَرَسًا عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَرَأْيِهِ، فَيَسْتَنِيمَ^(٣) إِلَى ذَلِكَ وَيُرِيحَ لَهُ قَلْبَهُ، وَيَعْلَمَ أَنَّهُمْ لَا يَغْفُلُونَ عَنْهُ إِذَا هُوَ غَفَلَ عَنْ نَفْسِهِ.

ساعة عون على الساعات

وَعَلَى الْعَاقِلِ، مَا لَمْ يَكُنْ مَغْلُوبًا^(٤) عَلَى نَفْسِهِ، أَنْ لَا يَشْغَلَهُ شَغْلٌ عَنْ أَرْبَعِ سَاعَاتٍ: سَاعَةٍ يَرْفَعُ فِيهَا حَاجَتَهُ إِلَى رَبِّهِ، وَسَاعَةٍ يُحَاسِبُ فِيهَا نَفْسَهُ، وَسَاعَةٍ يُقْضِي فِيهَا إِلَى إِخْوَانِهِ وَثِقَاتِهِ الَّذِينَ يَصْدُقُونَهُ^(٥) عَنْ عُيُوبِهِ وَيَنْصَحُونَهُ فِي أَمْرِهِ، وَسَاعَةٍ

= ذهب عني.

(١) سُكْرًا مِنَ السُّكْرِ بِمَعْنَى الْخَمْرِ وَالنَّبِيذِ وَالسُّكَّرِ بَفَتْحِ السِّينِ وَالْكَافِ: الْخَمْرُ الْمَغْتَصَرُّ مِنَ الْعَنْبِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَرُوبِهِ بِضَمِّ السِّينِ وَسُكُونِ الْكَافِ أَيْ حَالَةَ السُّكْرَانِ، فَيَجْعَلُونَ التَّحْرِيمَ لِلسُّكْرِ لَا لِنَفْسِ الْمُسْكِرِ فَيِيحُونَ قَلِيلَهُ الَّذِي لَا يَسْكُرُ. وَهَذَا مَا قَصَدَهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ فِي حَالَةِ السُّكْرَانِ الَّذِي يَصِلُ بِهِ إِلَى النِّسيَانِ وَالْخُسْرَانِ.

(٢) يُجَرِّئُهُمْ: مِنَ الْجَرِّئِ بِالتَّشْدِيدِ: ضَرْبٌ مِنَ السَّمَكِ الْمَعْرُوفِ يُقَالُ لَهُ الْجَرِّيُّ وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنْ الْعَاقِلَ الَّذِي يُؤْنِسُ ذَوِي الْعُقُولِ بِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُمْ بِمَا لَدَّ مِنَ الطَّعَامِ الشَّهِي كَيْ يَصِيرُوا حَرَسًا عَلَى سَمْعِهِ وَبَصَرِهِ وَرَأْيِهِ، فَيُطْمِئِنُّ قَلْبُهُ وَيَرْتَاحَ.

(٣) السَّيِّمُ: بِالسِّينِ وَالنُّونِ وَهُوَ الْمَاءُ الْمَرْتَفِعُ الظَّاهِرُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ الْمُسْتَقَرِّ الْمَطْمَئِنِّ وَيُرْوَى بِالشِّينِ وَالْبَاءِ أَيْضًا فَهُوَ كُلُّ شَيْءٍ عَلا شَيْئًا فَقَدْ تَسَنَّمَهُ وَيُقَالُ لِلشَّرِيفِ سَنِيمٌ وَلِلْعَاقِلِ.

(٤) مَغْلُوبًا فِي غَلَبِ الْمُغْلَبِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمَحْكُومِ لَهُ بِالْغَلْبَةِ عَلَى قِرْنِهِ كَأَنَّهُ غَلَبَ عَلَيْهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ الضُّعَفَاءُ الْمَغْلُوبُونَ»، وَالْمُغْلَبُ: الَّذِي يُغْلَبُ كَثِيرًا.

(٥) يَصْدُقُونَهُ عَنْ: يَنْصَحُونَهُ بِالْإِبْتِعَادِ عَنْ عُيُوبِهِ الْقَبِيحَةِ.

يُخْلِى فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا مِمَّا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ، فَإِنَّ هَذِهِ السَّاعَةَ عَوْنٌ عَلَى السَّاعَاتِ الْآخِرِ، وَإِنَّ اسْتِجْمَامَ^(١) الْقُلُوبِ وَتَوْدِيعَهَا^(٢) زِيَادَةُ قُوَّةٍ لَهَا وَفَضْلٌ بُلْغَةٌ^(٣).

الرغبات الثلاث

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَكُونَ رَاغِبًا إِلَّا فِي إِحْدَى ثَلَاثٍ: تَزَوُّدٍ لِمَعَادٍ^(٤)، أَوْ مَرَمَةٍ لِمَعَاشٍ^(٥)، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ.

الناس طبقتان متباينتان

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَجْعَلَ النَّاسَ طَبَقَتَيْنِ مُتَبَايِنَتَيْنِ^(٦)، وَيَلْبَسَ^(٧) لَهُمُ لِبَاسَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، فَطَبَقَةٌ مِنَ الْعَامَّةِ يَلْبَسُ لَهُمُ لِبَاسَ انْقِبَاصٍ^(٨)، وَانْحِجَازٍ^(٩) وَتَحْفَظُ فِي كُلِّ

(١) اسْتِجْمَامٌ مِنَ الْجَمَامِ بِالْفَتْحِ: الرَّاحَةُ. وَيُقَالُ: أَجِمَ نَفْسَكَ يَوْمًا أَيِ أَرْحَهَا، وَقِيلَ إِنِّي لَأَسْتَجِمُّ قَلْبِي بِشَيْءٍ مِنَ اللَّهِوْ أَقْوَى بِهِ عَلَى الْحَقِّ.

(٢) تَوْدِيعُهَا مِنْ وَدَّعَ، وَالْوَدَّعُ: الدُّعَاةُ وَالسُّكُونُ. وَمِنْهُ قَوْلُ سُورِدِ بْنِ كِرَاعٍ (تَ نَحْوُ ١٠٥ هـ/ ٧٢٣ م) مِنْ بَحْرِ [الْكَامِلِ]:

أَرْقَ الْعَيْنَ خَيَالًا لَمْ يَدَّعْ لِسُلَيْمَى ففَوَّادِي مُنْتَزَعٍ
وَرَجُلٌ مُتَّبِعُ أَيِّ صَاحِبٍ دَعَاةٍ وَرَاحَةٍ.

(٣) الْبُلْغَةُ: مَا يُتَبَلَّغُ بِهِ مِنَ الْعَيْشِ، وَقِيلَ: تَبَلَّغَ بِكَذَا أَيِ أَكْتَفَى بِهِ.

(٤) لِمَعَادٍ: قَصْدُ هَذَا ابْنِ الْمُقَفَّعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٥) مَرْمَةٌ لِمَعَاشٍ أَيِ مَرْمَةٌ مِنَ الْعَيْشِ بِمَعْنَى الْحَيَاةِ، وَالْمَعَاشُ مَا يُعَاشُ بِهِ مِنَ الْغَدَاءِ وَالْقَوْتِ الضَّرُورِيِّ اللَّازِمِ لِمَعَادِ الْجِسْمِ الْيَوْمِيِّ.

(٦) مُتَبَايِنَتَانِ: مُخْتَلِفَتَانِ غَيْرِ مُتَجَانِسَتَيْنِ وَمُفْتَرَقَتَيْنِ مِنْ فِعْلِ بَانَ يَبِينُ عَنْهُ: فَارَقَهُ وَتَبَايَنَ الشَّيْئَانِ: تَفَاوَتَا، وَالْبَيْنُ الْفَرْقَةُ.

(٧) يَلْبَسُ مِنْ فِعْلِ لَبَسَ الثَّوْبَ عَلَى الْأَصْلِ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَحْسَنَ التَّكْيِيفَ مَعَ طَبَقَاتِ الْبَشَرِ فَيَخَاطِبُ كُلَّ مِنْهَا عَلَى قَدْرِ إدْرَاكِهَا وَعَقْلِهَا، فَكَأَنَّهُ يَلْبَسُهَا هَذَا الْأَمْرَ مِنَ التَّدْبِيرِ لِبُوسِ الْجِسْمِ مِنَ الثَّوْبِ.

(٨) انْقِبَاصٌ فِي الْأَصْلِ: خِلَافُ الْإِنْبِطَاسِ، قِيلَ: إِنَّهُ لِيَقْبِضُنِي مَا قَبِضَكَ أَيِ يُحْشِمُنِي مَا أَحْشَمَكَ مِنَ الْكَلَامِ أَوْ الْخَطَوَاتِ وَالشَّرِّ.

(٩) انْحِجَازٌ مِنْ فِعْلِ حَجَزَ وَحَجَزَ الْكَلَامُ: أَخَذَ بَعْضُهُ بِحِجْزَةٍ بَعْضُ أَيِ مُتَنَازِلٍ مُتَنَاسِقٍ الظُّرُوفِ وَالْأَشْخَاصِ فِي آنٍ وَاحِدٍ.

كَلِمَةٍ وَخَطْوَةٍ؛ وَطَبَقَةٌ مِنَ الْخَاصَّةِ يَخْلَعُ عَنْهُمْ لِبَاسَ التَّشَدُّدِ وَيَلْبَسُ لِبَاسَ الْأَنَسَةِ وَاللَّطْفَةِ وَالْبَذَلَةِ^(١) وَالْمُفَاوَضَةِ^(٢). وَلَا يُدْخِلُ فِي هَذِهِ الطَّبَقَةِ إِلَّا وَاحِدًا مِنَ الْأَلْفِ وَكُلُّهُمْ ذُو فَضْلٍ فِي الرَّأْيِ، وَثِقَةٌ فِي الْمَوَدَّةِ، وَأَمَانَةٌ فِي السَّرِّ، وَوَفَاءٌ بِالْإِحَاءِ.

الصغير يصير كبيراً

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا يَسْتَصْغِرَ شَيْئًا مِنَ الْخَطَا فِي الرَّأْيِ، وَالزَّلَلِ فِي الْعِلْمِ، وَالْإِغْفَالِ فِي الْأُمُورِ. فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَصْغَرَ الصَّغِيرَ أَوْشَكَ أَنْ يَجْمَعَ إِلَيْهِ صَغِيرًا وَصَغِيرًا، فَإِذَا الصَّغِيرُ كَبِيرٌ. وَإِنَّمَا هِيَ ثَلَمٌ^(٣) يَثْلُمُهَا الْعَجْزُ وَالتَّضْيِيعُ. فَإِذَا لَمْ تُسَدَّ أَوْشَكَتْ أَنْ تَتَفَجَّرَ بِمَا لَا يُطَاقُ. وَلَمْ نَرَ شَيْئًا قَطُّ إِلَّا قَدْ أَتَى مِنْ قَبْلِ الصَّغِيرِ الْمُتَهَاوِنِ بِهِ، قَدْ رَأَيْنَا الْمُلْكَ يُؤْتَى^(٤) مِنَ الْعَدُوِّ الْمُحْتَقِرِ بِهِ، وَرَأَيْنَا الصَّحَّةَ تُؤْتَى مِنَ الذَّاءِ الَّذِي لَا يُحْفَلُ بِهِ، وَرَأَيْنَا الْأَنْهَارَ تَنْبِقُ مِنَ الْجَدُولِ الَّذِي يُسْتَخَفُّ بِهِ.

وَأَقْلُ الْأُمُورِ احْتِمَالًا لِلضَّيَاعِ الْمُلْكُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يَضِيعُ، وَإِنْ كَانَ صَغِيرًا، إِلَّا اتَّصَلَ بِآخِرٍ يَكُونُ عَظِيمًا.

الرأي والهوى عدوان

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَجْبُنَ عَنِ الْمُضِيِّ عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي لَا يَجِدُّ عَلَيْهِ مُوَافِقًا وَإِنْ ظَنَّ أَنَّهُ عَلَى الْيَقِينِ.

(١) البَذَلَةُ مِنَ الْبَذَلِ: ضِدُّ الْمَنْعِ، بَذَلَ بَذْلًا: أَعْطَاهُ وَجَاءَ بِهِ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا إِفْشَاءُ سَرِّ الْعَاقِلِ لِمَنْ هُمْ أَهْلُ ثِقَتِهِ، وَإِعْلَانُ عَمَّا فِي قَلْبِهِ مِنْ أُمُورِهِ تَنْقِلُ كَاهِلِهِ.

(٢) الْمِفَاوَضَةُ مِنْ فَعَلَ فَاوَضَ. وَفَاوَضَهُ فِي أَمْرِهِ أَيَّ جَارَاهُ فَافْضُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَفِي حَدِيثٍ مَعَاوِيَةَ قَالَ لِدَغْفَلِ بْنِ حَنْظَلَةَ: «بِمَا ضَبَطْتَ مَا أَرَى؟» قَالَ: بِمِفَاوَضَةِ الْعُلَمَاءِ، قَالَ وَمَا مِفَاوَضَةُ الْعُلَمَاءِ؟ قَالَ: كُنْتُ إِذَا لَقِيتُ عَالِمًا أَحْذَتُ مَا عَنْدهُ وَأَعْطَيْتُهُ مَا عِنْدِي. وَالْمِفَاوَضَةُ: الْمَشَارَكَةُ وَالْمَسَاوَاةُ.

(٣) ثَلَمٌ مِنْ فَعَلَ ثَلَمَ الْإِنَاءَ وَالسِّيفَ وَالْجِدَارَ: كَسَرَ حَرْفَهُ الْوَاحِدَةَ الثَّلَمَةُ: الْخَلْلُ فِي الْحَائِطِ وَغَيْرِهِ وَقِيلَ: فُرْجَةُ الْجُرْفِ الْمَكْسُورِ.

(٤) يُؤْتَى أَيُّ يُؤْخَذُ عَلَى حِينِ غَرَّةٍ مِنَ الْعَدُوِّ الصَّغِيرِ، فَإِذَا بِهِ كَبِيرٌ يَسْتَوْلِي عَلَى مَلِكٍ الَّذِي اسْتَهَانَ بِهِ وَاحْتَقَرَهُ. وَهَكَذَا تَصِيرُ الْأُمُورُ إِلَى الضَّيَاعِ وَالْخُسْرَانِ.

وَعَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ أَنَّ الرَّأْيَ وَالْهَوَى مُتَعَادِيَانِ، وَأَنَّ مِنْ شَأْنِ النَّاسِ تَسْوِيفَ^(١) الرَّأْيِ وَإِسْعَافَ الْهَوَى، فَيُخَالِفَ ذَلِكَ وَيَلْتَمِسَ أَنْ لَا يَزَالَ هَوَاهُ مُسَوِّفًا وَرَأْيُهُ مُسَعَفًا.

وَعَلَى الْعَاقِلِ إِذَا اشْتَبَهَ^(٢) عَلَيْهِ أَمْرَانِ فَلَمْ يَدْرِ فِي أَيِّهِمَا الصَّوَابُ أَنْ يَنْظُرَ أَهْوَاهُمَا عِنْدَهُ، فَيَحْذَرُهُ.

عَلَّمَ نَفْسَكَ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِكَ

وَمَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَامًا فِي الدِّينِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَبْدَأَ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ وَتَقْوِيمِهَا فِي السَّيْرِ وَالطَّعْمَةِ^(٣) وَالرَّأْيِ وَاللَّفْظِ وَالْأَخْدَانِ، فَيَكُونَ تَعْلِيمُهُ بِسِيرَتِهِ أَتْلَغَ مِنْ تَعْلِيمِهِ بِلِسَانِهِ. فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّ كَلَامَ الْحِكْمَةِ يُونَقُ^(٤) الْأَسْمَاعَ، فَكَذَلِكَ عَمَلُ الْحِكْمَةِ يَرُوقُ^(٥) الْعُيُونُ وَالْقُلُوبَ. وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالْإِجْلَالِ وَالتَّفْضِيلِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ.

أَعْمَدَةُ السُّلْطَانِ

وَلَايَةُ النَّاسِ بِلَاءٌ عَظِيمٌ. وَعَلَى الْوَالِيِّ أَرْبَعُ خِصَالٍ هِيَ أَعْمَدَةُ السُّلْطَانِ^(٦)

(١) التسويف: من فعل سَوَّفَ وَسَوَّفْتُ الرَّجُلَ أَمْرِي تَسْوِيفًا أَي أَخَّرْتَهُ، وَالتَّسْوِيفُ: التَّأْخِيرُ مِنْ قَوْلِكَ سَوْفَ أَفْعَلُ وَالتَّسْوِيفُ الْمَطْلُ.

(٢) اشْتَبَهَ عَلَيْهِ وَتَشَابَهَ الشَّيْئَانِ: أَشْبَهَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، وَالْمَشَبَهَاتُ مِنَ الْأُمُورِ الْمَشْكَلَاتُ، وَشَبَّهُ عَلَيْهِ: خَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ حَتَّى اشْتَبَهَ بغيره وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا خَلَطَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ فِي أَمْرَيْنِ فَلْيَحْذَرْ أَكْثَرَهُمَا مِيلًا لِأَنَّهُ أَخْطَرُهُ عَلَى نَفْسِهِ.

(٣) الطَّعْمَةُ: بِالضَّمِّ: شِبْهُ الرِّزْقِ وَالْكَسْبِ وَالْمَالِ، يَرِيدُ بِهِ مَا كَانَ لَهُ مِنَ الْفَقْرِ وَغَيْرِهِ، وَيُقَالُ: «فُلَانٌ يَجِبِي لَهُ الطَّعْمُ أَيِ الْخَرَجِ وَالْإِتَاوَاتِ».

(٤) يُونَقُ وَالْأَسْمُ الْأَنْقُ: الْإِعْجَابُ بِالشَّيْءِ، أَقُولُ أَنْقْتُ بِهِ، وَأَنَا أَنْقُ بِهِ، وَأَنْقُ: مُعْجَبٌ، وَأَنَّهُ لَا يَنْقُ مَوْنَقُ: لِكُلِّ شَيْءٍ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُ، وَأَنْقَنِي الشَّيْءَ يُؤْنَقُنِي: يَعْجِبُنِي.

(٥) يَرُوقُ الْأَسْمُ مِنَ الرُّوقِ: الْمَعْجَبُ، يَقَالُ رَوْقٌ وَرَيْقٌ وَالرُّوقُ: رَوْقًا وَرَوْقَانًا: أَعْجَبَنِي فَهَوْرَاتِي وَاشْتَقْتُ مِنْهُ الرُّوقَةَ وَهُوَ مَا حَسَّنَ مِنَ الْوَصَائِفِ وَالْوُصَفَاءِ.

(٦) السُّلْطَانُ: قُدْرَةُ الْمَلِكِ وَتَسْلُطُهُ، قِيلَ: «يَذْكُرُ وَيُؤَنِّثُ»، قِيلَ: «وَقُدْرَةُ مَنْ جُعِلَ لَهُ ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ =

وَأَرْكَانُهُ الَّتِي بِهَا يَقُومُ وَعَلَيْهَا يُثَبَّتُ: الاجْتِهَادُ فِي التَّخِيرِ، وَالْمُبَالَغَةُ فِي التَّقَدُّمِ،
وَالْتَّعَهُدُ^(١) الشَّدِيدُ، وَالْجَزَاءُ الْعَتِيدُ^(٢).

فَأَمَّا التَّخِيرُ لِلْعَمَالِ وَالْوُزَرَاءِ فَإِنَّهُ نِظَامُ الْأَمْرِ وَوَضْعُ مَوْنَةٍ^(٣) الْبَعِيدِ الْمُتَّشِرِ.
فَإِنَّهُ عَسَى أَنْ يَكُونَ بِتَخْيِيرِهِ رَجُلًا وَاحِدًا قَدْ اخْتَارَ أَلْفًا. لِأَنَّهُ مَنْ كَانَ مِنَ الْعَمَالِ
خِيَارًا فَسَيَخْتَارُ كَمَا اخْتِيرَ. وَلَعَلَّ عُمَالَ الْعَامِلِ وَعُمَالَ عَمَالِهِ يَبْلُغُونَ عَدَدًا كَثِيرًا،
فَمَنْ تَبَيَّنَ التَّخِيرَ فَقَدْ أَخَذَ بِسَبَبٍ وَثِيقٍ، وَمَنْ أَسَّسَ أَمْرَهُ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ لَمْ يَجِدْ لِبَنَائِهِ
قَوَامًا.

وَأَمَّا التَّقْدِيمُ وَالتَّوَكُّيدُ، فَإِنَّهُ لَيْسَ كُلُّ ذِي لُبٍّ أَوْ ذِي أَمَانَةٍ يَعْرِفُ وَجْهَ الْأُمُورِ
وَالْأَعْمَالِ. وَلَوْ كَانَ بِذَلِكَ عَارِفًا، لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ حَقِيقًا أَنْ يَكْبَلَ ذَلِكَ إِلَى عِلْمِهِ
دُونَ تَوْقِيفِهِ عَلَيْهِ وَتَبْيِيسِهِ لَهُ وَالْاِخْتِجَاجِ عَلَيْهِ بِهِ.

وَأَمَّا التَّعَهُدُ، فَإِنَّ الْوَالِي إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا، وَإِنَّ الْعَامِلَ إِذَا فَعَلَ
ذَلِكَ بِهِ كَانَ مُتَحَصِّنًا حَرِيزًا^(٤).

وَأَمَّا الْجَزَاءُ فَإِنَّهُ تَثْبِيتُ الْمُحْسِنِ وَالرَّاحَةِ مِنَ الْمُسِيءِ.

= مَلِكًا، وَالنُّونُ فِي السُّلْطَانِ زَائِدَةٌ لِأَنَّ أَصْلَ بَنَائِهِ السَّلِيطُ، وَاسْمُ السُّلْطَانِ كَذَلِكَ لِتَسْلِيطِهِ، وَقِيلَ:
«سُمِّيَ سُلْطَانًا لِأَنَّهُ حُجَّةٌ مِنْ حُجَجِ اللَّهِ».

(١) التَّعَهُدُ: التَّحْفِظُ بِالشَّيْءِ وَتَجْدِيدُ الْعَهْدِ بِهِ وَالْمُعَاوَدَةُ وَالْاِغْتِهَادُ وَالتَّعَاهُدُ وَالتَّعَهُدُ وَاحِدٌ. وَهُوَ
إِحْدَاثُ الْعَهْدِ بِمَا عَهْدَتْهُ.

(٢) الْعَتِيدُ مِنْ عَتَدَ الشَّيْءُ فَهُوَ عَتِيدٌ، وَفَرَسٌ عَتَدَ وَعَتَدَ بَفَتْحِ التَّاءِ وَكسرها: شَدِيدٌ تَامَ الْخَلْقُ سَرِيعَ الْوُثْبَةِ
مُعَدٌّ لِلْجَرِيِّ لَيْسَ فِيهِ اضْطِرَابٌ وَلَا رَخَاوَةٌ. وَقِيلَ: هُوَ الْعَتِيدُ الْحَاضِرُ الْمَهْيَأُ.

(٣) الْمَوْنَةُ: الشَّدَّةُ وَالثَقْلُ.

(٤) حَرِيزًا مِنَ الْجُرُزِ: الْمَوْضِعُ الْحَصِينُ، يُقَالُ: هَذَا جِرْزٌ حَرِيزٌ. تَقُولُ: هُوَ فِي جِرْزٍ لَا يَوْصَلُ إِلَيْهِ،
وَأُخْرِزْتُ الشَّيْءَ أُخْرِزُهُ إِذَا حَفَظْتَهُ وَضَمَمْتَهُ إِلَيْكَ وَضَمَّتَهُ عَنِ الْاِخْذِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا
فِي جِرْزٍ حَارِزٍ» أَيِ كَهْفٍ مَنِيعٍ.

بماذا يُستطاع^(١) السلطان

لا يُستطاعُ السلطانُ إلا بالوُزراءِ والأَعوانِ، ولا يَنْفَعُ الوُزراءُ إلا بالموَدَّةِ والنَّصِيحَةِ، ولا المَوَدَّةُ إلا مَعَ الرَّأيِ والعَفافِ^(٢).

وأَعْمَالُ السُّلْطَانِ كَثِيرَةٌ، وَقَلِيلٌ مَا تُسْتَجْمَعُ الْخِصَالُ الْمُحْمَوَدَةُ عِنْدَ أَحَدٍ، وَإِنَّمَا الْوَجْهُ فِي ذَلِكَ وَالسَّبِيلُ الَّذِي بِهِ يَسْتَقِيمُ الْعَمَلُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ السُّلْطَانِ عَالِماً بِأُمُورٍ مَنْ يُرِيدُ الاسْتِعَانَةَ بِهِ وَمَا عِنْدَ كُلِّ رَجُلٍ مِنَ الرَّأْيِ وَالْغِنَاءِ^(٣)، وَمَا فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ. فَإِذَا اسْتَقَرَّ ذَلِكَ عِنْدَهُ عَنْ عِلْمِهِ وَعِلْمِ مَنْ يَأْتِيهِ وَجْهٌ لِكُلِّ عَمَلٍ مَنْ قَدْ عَرَفَ أَنَّ عِنْدَهُ مِنَ الرَّأْيِ وَالنَّجْدَةِ^(٤) وَالْأَمَانَةِ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِيهِ، وَأَنْ مَا فِيهِ مِنَ الْعُيُوبِ لَا يَضُرُّ بِذَلِكَ، وَيَتَحَفَّظُ مِنْ أَنْ يُوجَّهَ أَحَدًا وَجْهًا لَا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى مُرُوءَةٍ، إِنْ كَانَتْ عِنْدَهُ، وَلَا يَأْمَنُ عُيُوبَهُ وَمَا يَكْرَهُ مِنْهُ.

ثُمَّ عَلَى الْمُلُوكِ، بَعْدَ ذَلِكَ، تَعَاهُدُ عُمَالِهِمْ وَتَفْقُدُ أُمُورِهِمْ، حَتَّى لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ إِحْسَانُ مُحْسِنٍ وَلَا إِسَاءَةُ مُسِيءٍ.

ثُمَّ عَلَيْهِمْ، بَعْدَ ذَلِكَ، أَنْ لَا يَتْرَكُوا مُحْسِنًا بِغَيْرِ جَزَاءٍ وَلَا يُقَرِّوا^(٥) مُسِيئًا وَلَا عَاجِزًا عَلَى الْإِسَاءَةِ وَالْعَجْزِ. فَإِنَّهُمْ إِنْ تَرَكُوا ذَلِكَ، تَهَاوَنَ الْمُحْسِنُ، وَاجْتَرَأَ الْمُسِيءُ، وَفَسَدَ الْأَمْرُ، وَضَاعَ الْعَمَلُ.

(١) يستطاع: من الاستطاعة بمعنى القدرة على الشيء وهي استفعال من الطاعة.

(٢) العَفَّةُ: الكَفُّ عما لَا يَحِلُّ وَيَجْمَلُ عَفٌّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالْأَطْمَاعِ الدِّينِيَّةِ، وَالِاسْتِعْفَافُ: طَلَبُ

العَفَافِ، وَهَذَا عَنْ أُمُورِ الدَّوْلَةِ وَالشَّعْبِ.

(٣) الْغِنَاءُ: مِنَ الْغِنَى الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ فِي شَيْءٍ وَقِيلَ: الْغِنَى مَقْصُورٌ: ضِدُّ الْفَقْرِ فَإِذَا فَتَحَ مُدَّ لِقَوْلِ بَعْضِهِمْ: [الْمَدِيدُ].

سَيُغْنِيَنِي الَّذِي أَغْنَاكَ عَنِّي فَلَا فَقْرَ يَدُومُ وَلَا غِنَاءَ

وَيُرَوَّى بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ فَمَنْ رَوَاهُ بِالْكَسْرِ، أَرَادَ مَصْدَرَ غَانَيْتَ وَالْفَتْحَ أَرَادَ الْغِنَى نَفْسَهُ.

(٤) النَّجْدَةُ مِنَ الْفِعْلِ نَجَدَ نَجْدًا، وَالنَّجْدَةُ مَصْدَرُ جَمْعِهِ نَجْدَاتُ: اسْمُ الْمَرْءِ الشَّجَاعَةِ: الْقِتَالِ وَيُقَالُ لَأَقَى فُلَانٌ نَجْدَةً أَيْ هَوَلًا وَفَزَعًا. وَالشَّدَّةُ وَالْبَاسُ.

(٥) يُقَرِّوا: مِنَ الْفِعْلِ أَقَرَّ يُقَرِّ الْكَلَامَ بَيَّنَّهُ حَتَّى عَرَفَهُ وَالْقَرَّ بِالضَّمِّ. الْقَرَارُ فِي الْمَكَانِ، وَالْمَقْصُودُ عَدَمُ إِقْرَارِ الْمُسِيءِ وَالْعَاجِزِ عَلَى الْخَطَا وَالْإِسَاءَةِ فَفِي هَذَا تَهَاوَنَ لِلْمُحْسِنِ الْكَرِيمِ.

الدنيا دُول

اِقْتَصَارُ السَّعْيِ إِبْقَاءُ لِلْجَمَامِ^(١)، وَفِي بُعْدِ^(٢) الْهَمَّةِ يَكُونُ النَّصَبُ^(٣)، وَمَنْ سَأَلَ قَوْقَ قُدْرَتِهِ اسْتَحَقَّ الْجِرْمَانُ، وَسَوْءُ حَمَلِ الْغِنَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْفَرَحِ مَرِحاً، وَسَوْءُ حَمَلِ الْفَاقَةِ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ الطَّلَبِ شِرْهاً^(٤)، وَعَارُ الْفَقْرِ أَهْوَنُ مِنْ عَارِ الْغِنَى، وَالْحَاجَةُ مَعَ الْمَحَبَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْبُغْضَةِ.

الدُّنْيَا دُولٌ، فَمَا كَانَ لَكَ مِنْهَا أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ، وَمَا كَانَ عَلَيْكَ لَمْ تَذْفَعُهُ بِقُوَّتِكَ.

المثل أَوْضَحُ لِلْمَنْطِقِ

إِذَا جُعِلَ الْكَلَامُ مَثَلاً، كَانَ ذَلِكَ أَوْضَحَ لِلْمَنْطِقِ وَأَيِّنَ فِي الْمَعْنَى وَآتَقَ^(٥) لِلسَّمْعِ وَأَوْسَعَ لِشُعُوبِ الْحَدِيثِ^(٦).

لَا مَالَ أَفْضَلَ مِنَ الْعَقْلِ

أَشَدُّ الْفَاقَةِ عَدَمُ الْعَقْلِ، وَأَشَدُّ الْوَحْدَةِ وَحْدَةُ اللَّجُوجِ^(٧)، وَلَا مَالٌ أَفْضَلُ مِنْ

(١) الْجَمَامُ: مَنْ فَعَلَ جَمَّ يُجِمُّ وَالضَّمُّ أَعْلَى، وَالْجَمَامُ بِالْفَتْحِ: الرَّاحَةُ. وَمِنْهُ حَدِيثُ طَلْحَةَ: «رَمَى إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِسَفَرَجَلَةٍ وَقَالَ دُونَكُهَا فَإِنَّهَا تُجِمُّ الْفَوَادِ أَيُ تَرِيحُهُ». وَقِيلَ: تَجْمَعُهُ وَتُكْمَلُ صِلَاةُ وَنَشَاطُهُ وَالْمَقْصُودُ تَرِيحُهُ.

(٢) بُعْدُ الْهَمَّةِ: قُدْرَةُ الْهَمَّةِ وَشَرْفُهَا.

(٣) النَّصَبُ مِنْ نَصَبَ الرَّجُلُ بِالْكَسْرِ نَصَباً: أَعْيَا وَتَعَبَ وَفِي الْحَدِيثِ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُنْصَبُنِي مَا أَنْصَبُهَا» أَيُ يُتْعَبُنِي مَا أَتْعَبُهَا وَالنَّصَبُ التَّعَبُ.

(٤) شِرْهاً: مَنْ فَعَلَ شَرَّهُ شَرَاهَةً إِلَى الطَّعَامِ وَعَلَيْهِ: اشْتَدَّ مِيلُهُ إِلَيْهِ وَتَجَاوَزَ الْمَعْقُولُ وَالْحَاجَةُ عِنْدَ الطَّلَبِ.

(٥) الْأَتَقُ: الْإِعْجَابُ بِالشَّيْءِ، وَالْأَتَقُ: حَسَنُ الْمَنْظَرِ، وَشَيْءٌ أُنِيقٌ: حَسَنٌ مُعْجِبٌ.

(٦) الشَّعْبُ: التَّفْرِيقُ، وَشُعْبُ الزَّرْعِ وَتَشَعَّبَ: صَارَ ذَا شُعَبٍ أَيُ فِرَاقٍ، وَانْشَعَبَ الطَّرِيقُ: تَفَرَّقَ، وَشُعُوبُ الْحَدِيثِ: مُتَفَرِّقَةٌ.

(٧) اللَّجُوجُ مَنْ فَعَلَ لَجَّ فِي الْأَمْرِ: تَمَادَى عَلَيْهِ وَأَبَى أَنْ يُنْصَرِفَ عَنْهُ، وَرَجُلٌ لَجُوجٌ وَلَجُوجَةُ الْهَاءِ لِلْمَبَالِغَةِ: التَّمَادِي فِي الْخُصُومَةِ، وَقِيلَ الْبَالِغُ الْخُصُومَةُ.

العقل، ولا أنيس أنس من الاستشارة.

كن ستوراً

مِمَّا يُعْتَبَرُ بِهِ صَلَاحُ الصَّالِحِ وَحُسْنُ نَظَرِهِ لِلنَّاسِ أَنْ يَكُونَ إِذَا اسْتَعْتَبَ^(١) الْمَذْنِبُ سَتُورًا لَا يُشِيعُ وَلَا يُذِيعُ، وَإِذَا اسْتَشِيرَ سَمَحًا بِالنَّصِيحَةِ مُحْتَهِدًا لِلرَّأْيِ، وَإِذَا اسْتَشَارَ مُطَرِّحًا لِلْحَيَاءِ مُنْفَذًا لِلْحَزْمِ مُعْتَرِفًا لِلْحَقِّ.

الحارس والمحروس

الْقِسْمُ^(٢) الذي يُقَسَّمُ لِلنَّاسِ وَيُمْتَعُونَ بِهِ نَحْوَان: فَمِنْهُ حَارِسٌ وَمِنْهُ مَحْرُوسٌ، فَالْحَارِسُ الْعَقْلُ، وَالْمَحْرُوسُ الْمَالُ، وَالْعَقْلُ، بِإِذْنِ اللَّهِ، هُوَ الَّذِي يُحَرِّزُ الْحِظَّ، وَيُؤْنِسُ الْغُرْبَةَ، وَيَنْفِي الْفَاقَةَ، وَيَعْرِفُ النِّكَرَةَ، وَيُسَمِّرُ الْمَكْسِبَةَ^(٣)، وَيُطَيِّبُ الثَّمَرَةَ، وَيُوجِّهُ السُّوقَةَ^(٤) عِنْدَ السَّلْطَانِ، وَيَسْتَنْزِلُ لِلسَّلْطَانِ نَصِيحَةَ السُّوقَةِ، وَيُكْسِبُ الصَّدِيقَ، وَيَكْفِي الْعَدُوَّ.

(١) اسْتَعْتَبَ مِنَ الْعُتْبِ: لَوْكَ الرَّجُلَ عَلَى إِسَاءَةٍ كَانَتْ لَهُ إِلَيْكَ فَاسْتَعْتَبْتَهُ مِنْهَا أَيْ اسْتَرَخَاهُ وَطَلَبَ عَفْوَهُ وَذَكَرَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ مَا قَرَطَ مِنْهُ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسَاءَةِ وَالْعُتْبَى: رَجُوعُ الْمَعْتُوبِ عَلَيْهِ إِلَى مَا يُرْضِي الْعَاتِبَ.

(٢) الْقِسْمُ مُصْدَرُ قَسَمَ الشَّيْءَ، وَالْقِسْمُ بِالْكَسْرِ الْحِظُّ وَالنَّصِيبُ مِنَ الْخَيْرِ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَالْمُقْسَمَاتِ أَمْرًا﴾، هِيَ الْمَلَائِكَةُ تُقَسِّمُ مَا وُكِّلَتْ بِهِ وَالْقِسْمُ وَالْقَيْسِمُ: نَصِيبُ الْإِنْسَانِ مِنَ الشَّيْءِ وَالرِّزْقُ وَالْمَالُ.

(٣) الْمَكْسِبَةُ فِي الْأَصْلِ الْكَسْبُ: طَلَبُ الرِّزْقِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ قَوْلُهُ وَ «مَا كَسَبَ» أَيْ مَا كَسَبَ وَلَدَهُ، وَأَنَّهُ لَطِيبُ الْكَسْبِ وَالْمَكْسِبَةِ وَالْمَكْسِبَةِ، وَالْكَسْبُ: الطَّلَبُ السَّعْيُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَالْمَعِيشَةِ.

(٤) السُّوقَةُ: بِمَنْزِلَةِ الرِّعْيَةِ الَّتِي يُسَوِّسُهَا الْمَلُوكُ، وَسُمُّوا سُوقَةً لِأَنَّ الْمَلُوكَ يَسُوقُونَهُمْ فَيَسَاقُونَ لَهُمْ يُقَالُ لِلوَاحِدِ وَلِلْجَمَاعَةِ: سُوقَةٌ وَالسُّوقَةُ مِنَ النَّاسِ: مَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا سُلْطَانٍ. وَقَوْلُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ يُوجِّهُ السُّوقَةَ عِنْدَ السَّلْطَانِ أَيْ يَشُوقُهَا وَيَرْفَعُ مِنْ قَدَرِهَا.

الأدب العظيم

كَلَامُ اللَّيْلِ، وَإِنْ كَانَ نَزْرًا^(١)، أَدَبٌ عَظِيمٌ، وَمُقَارَفَةٌ^(٢) الْمَأْتَمِ^(٣)، وَإِنْ كَانَ مُحْتَقَرًا، مُصِيبَةٌ جَلِيلَةٌ. وَلِقَاءُ الْإِخْوَانِ، وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا، غُنْمٌ^(٤) حَسَنٌ.

أجناس الناس

قَدْ يَسْعَى إِلَى أَبْوَابِ السَّلْطَانِ أَجْنَاسٌ مِنَ النَّاسِ كَثِيرٌ، أَمَّا الصَّالِحُ فَمَدْعُوٌّ، وَأَمَّا الطَّالِحُ فَمُقْتَحِمٌ^(٥)، وَأَمَّا ذُو الْأَدَبِ فَطَالِبٌ، وَأَمَّا مَنْ لَا أَدَبَ لَهُ فَمُخْتَلِسٌ^(٦)، وَأَمَّا الْقَوِيُّ فَمُدَافِعٌ، وَأَمَّا الضَّعِيفُ فَمَدْفُوعٌ، وَأَمَّا الْمُحْسِنُ فَمُسْتِثْبِتٌ^(٧)، وَأَمَّا الْمُسِيءُ فَمُسْتَجِيرٌ^(٨). فَهُوَ مَجْمَعُ الْبِرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْعَالِمِ وَالْجَاهِلِ، وَالشَّرِيفِ وَالْوَضِيعِ.

النَّاسُ، إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ عَصَمَ اللَّهُ، مَدْخُولُونَ فِي أُمُورِهِمْ^(٩): فَقَائِلُهُمْ بَاغٍ،

-
- (١) نَزْرًا من النَّزْر: القليل، والنَّزِير القليل من كل شيء، ونَزَرَ الشيء بالضم يَنْزُرُ نَزْرًا ونَزَرَ عطاءه قَلِيلًا.
- (٢) المقارفة من فعل قَرَفَ الشيء: داناه، ولا تكون المقارفة إلا في الأشياء الدنيئة. وفي حديث الإفك: «إِنْ كُنْتَ قَارَفْتَ ذَنْبًا فَتَوْبِي إِلَى اللَّهِ»، وهذا راجع إلى المقاربة والمُدَانَةِ.
- (٣) المأتم والإسم الإثم؛ وإِثْمُ فلان بالكسر يَأْتُمُ إِثْمًا أي وقع في الإثم.
- (٤) الغنم: الفوز بالشيء من غير مشقة، وغنم الشيء غُنْمًا: فاز به.
- (٥) مُقْتَحِمٌ من الفعل قَحَمَ. وَقَحَمَ الرجل في الأمر: رمى بنفسه فيه من غير رَوِيَّةٍ وتقحيم النفس: إدخالها فيه من غير رَوِيَّةٍ، وفي حديث عائشة: «أَقْبَلْتُ زَيْنَبُ تَقَحَّمْ لَهَا» أي تَعَرَّضْ لَشَتْمِهَا.
- (٦) الْمُخْتَلِسُ من الفعل خَلَسَ الشيء: سلبه بمخاتلة وعاجلاً، وإِخْتَلَسَ الشيء: خَلَسَهُ. والخلسة اسم من اختلس: ما يخلس الفرصة المناسبة بحذر منه قولهم: «الخلسة سريعة القوت بطيئة العود» على التشبيه والاستعارة. وهذا الأسلوب شبيه بأسلوب هذا القول: «أما أنت ذا أدب تفتخر».

- (٧) المثيب من الثواب: جزاء الطاعة لإحسانه وبره مكافأة له على صنيعه.
- (٨) المستجير من فعل استجار أي استغاث طالباً الحماية والحفظ لسلامته من الخطر المحدق به.
- (٩) مدخولون في أمورهم: أي داخله الرجل، على معنى باطن أمره من نيته ومذهبه وخَلِيدِهِ وِبَطَانَتِهِ والمقصود هنا: إنه لخيث الدُّخْلَة، والدُّخْلُ الإنسان من فساد في العقل أو في الجسم.

وَسَامِعُهُمْ عَيَّابٌ، وَسَائِلُهُمْ مُتَعَنَّتٌ^(١)، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ، وَوَاعِظُهُمْ غَيْرُ مُحَقِّقٍ لِقَوْلِهِ بِالْفِعْلِ، وَمَمْعُوظُهُمْ غَيْرُ سَلِيمٍ مِنَ الْاسْتِخْفَافِ، وَالْأَمِينُ مِنْهُمْ غَيْرُ مُتَحَفِّظٍ مِنْ إِيْتَانِ الْخِيَانَةِ، وَالصَّدُوقُ غَيْرُ مُحْتَرِسٍ مِنْ حَدِيثِ الْكَذْبَةِ، وَذُو الدِّينِ غَيْرُ مُتَوَرِّعٍ^(٢) عَنْ تَفْرِيطِ^(٣) الْفَجَرَةِ، وَالْحَازِمُ مِنْهُمْ غَيْرُ تَارِكٍ لِتَوَقُّعِ الدَّوَائِرِ.

يَتَنَاقِضُونَ الْبِنَاءَ^(٤)، وَيَتَرَاقِبُونَ الدُّوَلَ، وَيَتَعَايُونَ بِالْهَمْزِ^(٥)، مُوَلَّعُونَ فِي الرِّخَاءِ بِالتَّحَاسُدِ، وَفِي الشَّدَّةِ بِالتَّخَاذُلِ.

لا تغترّ بالدنيا

كَمْ قَدْ انْتَرَعَتِ الدُّنْيَا مِمَّنْ اسْتَمَكَنَ مِنْهَا وَاعْتَكَفَتْ^(٦) لَهُ! فَأَصْبَحَتِ الْأَعْمَالُ أَعْمَالَهُمْ وَالْدُّنْيَا دُنْيَا غَيْرِهِمْ، وَأَخَذَ مَتَاعَهُمْ مَنْ لَمْ يَحْمَدُهُمْ، وَخَرَجُوا إِلَى مَنْ لَا يَعْدُرُهُمْ.

فَأَصْبَحْنَا خَلْفَاءَ مَنْ بَعْدِهِمْ، نَتَوَقَّعُ مِثْلَ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ، فَنَحْنُ إِذَا تَدَبَّرْنَا أُمُورَهُمْ، أَحْقَاءُ^(٧) أَنْ نَنْظُرَ مَا نَغْطِطُهُمْ بِهِ فَتَتَّبِعَهُ وَمَا نَخَافُ عَلَيْهِمْ مِنْهُ فَتَجَنِّبُهُ.

(١) الْمُتَعَنَّتْ مِنَ الْعَنَتِ: الْمُشَقَّةُ وَالْفَسَادُ وَالْإِثْمُ وَالْغُلَطُ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «فَيَعِيتُوا عَلَيْكُمْ دِينَكُمْ» أَيِ يَدْخُلُوا عَلَيْكُمْ الضَّرَرُ فِي دِينِكُمْ.

(٢) الْمُتَوَرِّعُ مِنَ الْوَرَعِ: الْكَفُّ عَنِ الْمَحَارِمِ وَالتَّحَرُّجُ مِنْهَا. وَفِي حَدِيثِ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ: «فَلَا يُورَعُ رَجُلٌ عَنْ جَمَلٍ يَخْطِطُهُ» أَيِ يُكْفُ وَيُمْتَنَعُ.

(٣) التَفْرِيطُ مِنَ الْفِعْلِ فَرِطَ: جَاوَزَ قَدْرَهُ وَالْإِفْرَاطَ: الزِّيَادَةَ فِي الْأَمْرِ. وَقِيلَ الْفُرْطُ: الْإِعْجَالُ وَالنَّدَمُ وَالْمَقْصُودُ هُنَا: التَّائِبُ وَاللُّومُ وَالشَّتْمُ حَتَّى الْمَجَاوِزَةِ، وَالْفَجَرَةُ: مَنْ فَعَلَ فَجَرَ، وَفَجَرَ الْإِنْسَانُ مَالًا عَنِ الْحَقِّ وَالصَّدَقِ وَالْخُلُقِ الْحَسَنِ، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ التَّجَارِ يَبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إِلَّا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ». أَمَّا الْكَذْبَةُ: الْمُنْحَرِفُونَ عَنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ إِلَى النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ وَارْتِيَابِ الْمَعَاصِي وَالْفَسَقِ.

(٤) يَتَنَاقِضُونَ الْبِنَاءَ: مِنْ فَعَلَ نَقَضَ الْبِنَاءَ: هَدَمَهُ وَقَوَّضَ صَرْحَهُ.

(٥) الْهَمْزُ: الْغَضُّ وَالْعَيْبُ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: «وَيُلْ لِكُلِّ هَمَزَةٍ لُْمَزَةٌ» وَالْهَمْزَةُ: الْغَيْبَةُ وَيَكُونُ ذَلِكَ بِالشَّدَقِ وَالْعَيْنِ وَالرَّأْسِ.

(٦) اعْتَكَفَتْ مِنْ عَكَفَ عَلَى الشَّيْءِ: أَقْبَلَ عَلَيْهِ مُوَاطِبًا لَا يَصْرِفُ عَنْهُ وَجْهَهُ. وَقِيلَ: أَقَامَ، وَظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا أَيِ مُقِيمًا وَمَلَاظِمًا.

(٧) أَحْقَاءُ مِنْ فَعَلَ حَقَّ، وَحَقَّ الشَّيْءُ يَجُوقُ بِالْكَسْرِ حَقًّا أَيِ وَجِبَ، وَأَحَقَّقْتُ الشَّيْءَ أَوْجَبْتَهُ، وَكَلَامُ =

كيف تطلع الشيطان على عورتك

كَانَ يُقَالُ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ يَأْمُرُ بِالشَّيْءِ وَيَنْتَلِي بِثِقَلِهِ ^(١) وَيَنْهَى عَنِ الشَّيْءِ وَيَنْتَلِي بِشَهْوَتِهِ.

فَإِذَا كُنْتَ لَا تَعْمَلُ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا مَا اشْتَهَيْتَهُ، وَلَا تَتْرُكُ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا مَا كَرِهْتَهُ، فَقَدْ أَطْلَعْتَ الشَّيْطَانَ عَلَى عَوْرَتِكَ، وَأَمَكَّتَهُ مِنْ رُمَّتِكَ ^(٢)، فَأَوْشَكَ أَنْ يَفْتَحِمَ عَلَيْكَ فِيمَا تُحِبُّ مِنَ الْخَيْرِ فَيَكْرَهُهُ إِلَيْكَ وَفِيمَا تَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ فَيُحِبُّهُ إِلَيْكَ. وَلَكِنْ يَنْبَغِي لَكَ فِي حُبِّ مَا تُحِبُّ مِنَ الْخَيْرِ التَّحَامُلُ عَلَى مَا يُسْتَقَلُّ مِنْهُ، وَيَنْبَغِي لَكَ فِي كَرَاهَةِ مَا تَكْرَهُ مِنَ الشَّرِّ التَّجَنُّبُ لِمَا يُحِبُّ مِنْهُ.

زخرف الدنيا

الدُّنْيَا زُخْرَفٌ يَغْلِبُ الْجَوَارِحَ ^(٣)، مَا لَمْ تَغْلِبْهُ الْأَلْبَابُ. وَالْحَكِيمُ مَنْ يُغْضِي عَنْهُ وَلَمْ يَشْغَلْ بِهِ قَلْبُهُ: أَطْلَعَ مِنْ أَدْنَاهُ فِيمَا وَرَاءَهُ، وَذَكَرَ لَوَاقِحَ شَرِّهِ فَأَكَلُ مُرَّةً وَشَرِبَ كَدْرَهُ لِيَحْلُولِيَ لَهُ وَيَصْفَوْ فِي طُولٍ مِنْ إِقَامَةِ الْعَيْشِ الَّذِي يَبْقَى وَيَدُومُ، غَيْرَ عَائِفٍ ^(٤) لِلرُّشْدِ إِنْ لَمْ يَلْقَهُ بِرِضَاهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنْ طَرِيقِ هَوَاهُ.

= محقق أي رصين وجدير بالمقام. وقيل: إنه لحقيق أي جدير بتدبير الأمور.

(١) ثِقَلُهُ مِنْ فَعَلَ ثَقُلَ، وَالثَّقَلُ: الْوِزْرُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿وَلْيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ أَي ذُنُوبًا لثَقَلِهَا. وَتَقُولُ الْعَرَبُ: «لِكُلِّ شَيْءٍ نَفِيسٌ خَطِيرٌ مَصُونٌ ثَقُلَ». مِنْ جِهَةِ عِظَمِ قَدْرِ الْأَمْرِ وَجَلَالَةِ خَطَرِهِ.

(٢) رُمَّتِكَ: مِنْ فَعَلَ رَمَّ. وَرَمَّ الْحَبْلُ: تَقَطَّعَ، وَالرُّمَّةُ وَالرَّمَّةُ قِطْعَةٌ مِنَ الْحَبْلِ بَالِيَةٌ، وَالْجَمْعُ رِمَمٌ وَرِمَامٌ. فَالَّذِي يَطْلُعُ الشَّيْطَانُ عَلَى عَوْرَتِهِ كَمَا يَقُولُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ يَكُونُ كَالْأَسِيرِ الَّذِي يُشَدُّ بِالْحَبْلِ أَوْ الْقَاتِلِ الَّذِي يُقَادُ إِلَى الْقِصَاصِ أَوْ يُسَلَّمُ نَفْسُهُ إِلَى الشَّيْطَانِ فَيَأْخُذُهُ. أَخَذَ ذَلِيلٌ مُحْتَقِرٌ بِحَبْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ.

(٣) الْجَوَارِحُ مِنَ الْفِعْلِ جَرَحَ وَتَجَرَحَ الشَّيْءُ: كَسَبَهُ. وَقِيلَ لِأَنَاثِ الْخَيْلِ جَوَارِحٌ وَاحِدَتُهَا جَارِحَةٌ لِأَنَّهَا تَكْسِبُ أَرْبَابَهَا يَنْجَاهَا. وَقِيلَ: الْجَوَارِحُ الْمَكَاسِبُ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِهِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ﴾ أَي أَكْسَبُوهَا.

(٤) عَائِفٌ مِنْ فَعَلَ عَافَ الشَّيْءُ: كَرِهَهُ. وَغَلَبَ عَلَى كَرَاهَةِ الطَّعَامِ فَهُوَ عَائِفٌ. وَقَدْ اسْتَعَارَ النَّجَاشِيُّ هَذَا الْفِعْلَ وَسَنَدَهُ لِلْكَلابِ فَقَالَ يَهْجُو ابْنَ مَقْبَلٍ: [الطَّوِيلُ].

القيام على الثقة

لا تَأْلَفِ الْمُسْتَوْهَمَ^(١)، وَلَا تُقِمَّ عَلَى غَيْرِ الثَّقَةِ.

شكر الله على نعمه والعمل بطاعته

قَدْ بَلَغَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَى النَّاسِ مِنَ السَّعَةِ وَبَلَغَتْ نِعْمَتُهُ عَلَيْهِمْ مِنَ السُّبُوحِ^(٢) مَا لَوْ أَنَّ أَحْسَنَهُمْ^(٣) حَظًّا وَأَقْلَهُهُمْ مِنْهُ نَصِيبًا وَأَضْعَفَهُمْ عِلْمًا وَأَعَجَزَهُمْ عَمَلًا وَأَعْيَاهُمْ لِسَانًا بَلَغَ مِنَ الشُّكْرِ لَهُ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ بِمَا خَلَصَ إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِهِ، وَوَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ نِعْمَتِهِ، مَا بَلَغَ لَهُ مِنْهُ أَعْظَمُهُمْ حَظًّا وَأَوْفَرُهُمْ نَصِيبًا وَأَفْضَلُهُمْ عِلْمًا وَأَقْوَاهُمْ عَمَلًا وَأَبْسَطُهُمْ لِسَانًا، لَكَانَ عَمَّا اسْتَوْجَبَ^(٤) اللَّهُ عَلَيْهِ مُقْصَرًا وَعَنْ بُلُوغِ غَايَةِ الشُّكْرِ بَعِيدًا.

وَمَنْ أَخَذَ بِحَظِّهِ مِنْ شُكْرِ اللَّهِ وَحَمْدِهِ وَمَعْرِفَةِ نِعَمِهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَالتَّحْمِيدِ لَهُ، فَقَدْ اسْتَوْجَبَ بِذَلِكَ مِنْ أَدَائِهِ إِلَى اللَّهِ الْقُرْبَةَ عِنْدَهُ وَالْوَسِيلَةَ إِلَيْهِ وَالْمَزِيدَ فِيهَا شُكْرَهُ عَلَيْهِ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا، وَحُسْنِ ثَوَابِ الْآخِرَةِ.

أَفْضَلُ مَا يُعْلَمُ بِهِ عِلْمُ ذِي الْعِلْمِ وَصَلَاحُ ذِي الصَّلَاحِ أَنْ يَسْتَصْلِحَ بِمَا أُوتِيَ مِنْ ذَلِكَ مَا اسْتَطَاعَ مِنَ النَّاسِ وَيُرْغَبُهُمْ فِيهِ لِنَفْسِهِ مِنْ حُبِّ اللَّهِ، وَحُبِّ

= تَعَافُ الْكِلَابُ الضَّارِيَاتُ لُحُومَهُمْ وتأكل من كعب بن عوفٍ ونهشل

(١) المستوهم: من الوهم، والوهم: من خَطَرَاتِ الْقَلْبِ، والجمع أوهام وللقلب وهم، ومنه قوله عز وجل: ﴿لَا تَذَرُوهُ أَوْهَامَ الْعِبَادِ﴾.

(٢) السُّبُوحُ من فعل سَبَّحَ. وَسَبَّحَ الشَّيْءُ وَهُوَ سَابَغَ أَيِ كَامِلٍ وَابٍ وَسَبَّغَتِ النِّعْمَةُ تَسْبِغًا بِالضَّمِّ سُبُوحًا: اتسعت وزادت. وعليه فلو شكر أَحْسَنُ النَّاسِ اللَّهَ عَلَى مَا أَسْبَغَهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ، وَلَوْ شَكَرَ أَعْظَمُهُمْ حَظًّا اللَّهُ عَلَى نِعْمَةٍ أَيْضًا لَكَانَ مُقْصَرًا كُلِّ مِنْهُمَا وَبَعِيدًا عَنِ الْغَايَةِ مِنَ الْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ.

(٣) أَحْسَنُهُمْ مصدرها الخساسة. فالخسيس البَيِّنُ الخساسة، والخسيس: الدنيء، ورجل مخسوس: مرذول جاء بخسيس الأفعال والأعمال والأقوال.

(٤) استوجب من فعل وَجَبَ. وَجَبَ الشَّيْءُ يَجِبُ وَجُوبًا أَيْ لَزِمَ. وَأَوْجَبَهُ اللَّهُ، وَاسْتَوْجَبَهُ أَيِ اسْتَحَقَّهُ. وَفِي الْأَمْثَالِ قِيلَ: حَقَّقْ عَلَيَّ وَاجِبٌ، وَكَانَ الْحَسَنُ يَرَاهُ لَازِمًا. وَأَرَاهُ ثَابِتًا.

حِكْمَتِهِ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَالرَّجَاءِ لِحُسْنِ ثَوَابِهِ فِي الْمَعَادِ^(١) إِلَيْهِ، وَأَنْ يُبَيِّنَ الَّذِي لَهُمْ مِنَ الْأَخْذِ بِذَلِكَ وَالَّذِي عَلَيْهِمْ فِي تَرْكِهِ، وَأَنْ يُورِثَ ذَلِكَ أَهْلَهُ وَمَعَارِفَهُ لِيَلْحَقَهُ أَجْرُهُ^(٢) مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ.

الدين أفضل المواهب

الَّذِينَ أَفْضَلَ الْمَوَاهِبِ الَّتِي وَصَلَتْ مِنَ اللَّهِ إِلَى خَلْقِهِ، وَأَعْظَمُهَا مَنَفَعَةً، وَأَحْمَدُهَا فِي كُلِّ حِكْمَةٍ، فَقَدْ بَلَغَ فَضْلُ الدِّينِ وَالْحِكْمَةِ أَنْ مُدِحَا عَلَى أَلْسِنَةِ الْجَهَالِ^(٣) عَلَى جَهَالَتِهِمْ بِهِمَا وَعَمَاهُمْ عَنْهُمَا.

أحق الناس

أَحَقُّ النَّاسِ بِالسُّلْطَانِ أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ^(٤)، وَأَحَقُّهُمْ بِالتَّذْيِيرِ الْعُلَمَاءُ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْفَضْلِ أَعْوَدُهُمْ^(٥) عَلَى النَّاسِ بِفَضْلِهِ، وَأَحَقُّهُمْ بِالْعِلْمِ أَحْسَنُهُمْ تَأْدِيئاً^(٦)،

(١) الْمَعَادُ مِنَ الْمَوْعِدِ وَالْمَوْعِدُ: مَوْضِعُ التَّوَاعُدِ وَهُوَ الْمِيْعَادُ، وَالْمِيْعَادُ: وَقْتُ الْوَعْدِ وَمَوْضِعُهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَخْلِفُ الْمِيْعَادَ﴾ هُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُهُ فَهُوَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الَّذِي يَعِيدُ الْخَلْقَ بَعْدَ الْحَيَاةِ إِلَى الْمَمَاتِ فِي الدُّنْيَا، وَبَعْدَ الْمَمَاتِ إِلَى الْحَيَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

(٢) أَجْرُهُ مِنَ الْأَجْرِ، وَالْأَجْرُ: الْجَزَاءُ عَلَى الْعَمَلِ وَالْأَجْرُ: الثَّوَابُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا﴾ مِنَ الذِّكْرِ الْحَسَنِ.

(٣) الْجَهَالُ الَّذِينَ قَصَدَهُمُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ هُمُ الْجَهَالُ لِلدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ وَلِسَانِ الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ الْحَكِيمَةِ. أَذْكَرُ مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ بْنُ أَبِي سُلَيْمٍ، شَاعِرُ عَالِي الطَّبَقَةِ وَلَكِنَّهُ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ أَذْكَرُ حِكْمَةِ الدِّينِ وَفَضْلُهُ عَلَى الْبَشَرِ وَعَظَمُ مَنْفَعَتِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَمِنْهُمْ أَيْضاً عَبْدُ الْمُطَّلِبِ جَدُّ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَوَالِدُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ مَوْلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَمِنْهُمْ أَيْضاً رَاهِبٌ مِنْ حَرِيصَةِ أَعْرَفِهِ عَلَى وَجْهِ الْيَقِينِ يَعْتَرِفُ بِنُبُوَّةِ الرَّسُولِ الْكَرِيمِ إِلَّا أَنَّهُ يَظْهَرُ لِمَلَّتُهُ عَكْسُ مَا يَبْطُنُ.

(٤) الْمَعْرِفَةُ مِنَ الْفِعْلِ عَرَفَ بِمَعْنَى عِلْمٍ وَقَصَدَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ بِأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ هُنَا الَّذِينَ يَدْرِكُونَ تَمَامَ الْإِدْرَاكِ وَالْعِلْمِ بِشُؤْنِ الْمَلِكِ وَسَيَادَةِ الدَّوْلَةِ، وَتَدَابِيرِ السُّلْطَانَةِ لِأُمُورِ الرِّعْيَةِ وَنَظْمِ الْأُمُورِ.

(٥) أَعْوَدُهُمْ عَلَى النَّاسِ: أَوَّلُكَ الَّذِينَ اعْتَادُوا الْكِرْمَ وَالْفَضْلَ عَنْ طَبِيعَةٍ دُونَ تَكَلُّفٍ وَتَضَنُّعٍ، وَأَعْوَدُهُمْ: أَكْثَرُهُمْ اعْتِيَاداً عَلَى صِيغَةٍ أَفْعَلِ التَّفْضِيلِ لِلْمِبَالِغَةِ. أَشْعَاراً مِنَ الْأَدِيبِ بِقِيَمَتِهِمْ فِي رَأْيِ السُّلْطَانِ.

(٦) تَأْدِيئاً مِنَ الْفِعْلِ أَذَبَ. وَقَصَدَ ابْنُ الْمُقَفَّعِ هُنَا أَحْسَنَهُمْ تَأْدِيئاً: أَدَبَ الْمَعَاشِرَةَ وَأَدَبَ الْعِلْمَ وَأَدَبَ التَّعَلَّمَ.

وَأَحَقُّهُمْ بِالْغِنَى أَهْلُ الْجُودِ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَى اللَّهِ أَنْقَذُهُمْ فِي الْحَقِّ عِلْمًا وَأَكْمَلُهُمْ بِهِ عَمَلًا، وَأَحْكَمُهُمْ^(١) أَبْعَدُهُمْ مِنَ الشَّكِّ فِي اللَّهِ، وَأَصْوَبُهُمْ رَجَاءً أَوْثَقُهُمْ^(٢) بِاللَّهِ، وَأَشَدَّهُمْ انْتِفَاعًا بِعِلْمِهِ أَبْعَدُهُمْ مِنَ الْأَذَى، وَأَرْضَاهُمْ فِي النَّاسِ أَفْشَاهُمْ مَعْرُوفًا، وَأَقْوَاهُمْ أَحْسَنُهُمْ مَعُونَةً، وَأَشَجَعُهُمْ أَشَدَّهُمْ عَلَى الشَّيْطَانِ، وَأَفْلَحُهُمْ بِحُجَّةٍ أَغْلِبُهُمْ لِلشَّهَوَةِ وَالْجُرْصِ، وَأَخَذُهُمْ بِالرَّأْيِ أَتْرَكُهُمْ لِلْهَوَى^(٣)، وَأَحَقَّهُمْ بِالْمَوَدَّةِ أَشَدَّهُمْ لِنَفْسِهِ حُبًّا، وَأَجْوَدُهُمْ أَصَوْبُهُمْ بِالْعَطِيَّةِ مَوْضِعًا، وَأَطْوَلُهُمْ رَاحَةً أَحْسَنُهُمْ لِلْأُمُورِ احْتِمَالًا، وَأَقْلَهُمْ دَهْشًا أَرْحَبُهُمْ ذِرَاعًا^(٤)، وَأَوْسَعُهُمْ غِنًى أَقْنَعُهُمْ بِمَا أُوتِيَ، وَأَخْفَضُهُمْ عَيْشًا^(٥) أَبْعَدُهُمْ مِنَ الْإِفْرَاطِ، وَأَظْهَرُهُمْ جَمَالًا أَظْهَرُهُمْ حَصَافَةً^(٦)، وَأَمَنَّهُمْ فِي النَّاسِ أَكْثَلُهُمْ^(٧) نَابًا وَمُخْلَبًا، وَأَثْبَتُهُمْ شَهَادَةً عَلَيْهِمْ أَنْطَقَهُمْ عَنْهُمْ، وَأَعْدَلُهُمْ فِيهِمْ أَدْوَمُهُمْ مُسَالَمَةً لَهُمْ، وَأَحَقَّهُمْ بِالنَّعَمِ أَشْكَرُهُمْ لِمَا أُوتِيَ مِنْهَا.

العُجْبُ آفةُ العقل

أَفْضَلُ مَا يُورِثُ الْأَبَاءُ الْأَبْنَاءَ، الشَّاءُ الْحَسَنُ وَالْأَدَبُ النَّافِعُ وَالْإِخْوَانُ الصَّالِحُونَ.

- (١) أَحْكَمُهُمْ مِنَ الْفِعْلِ أَحْكَمُ. وَأَحْكَمُ الْأَمْرِ أَثَقَّتْهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَأَتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا» أَيِ الْعِلْمِ وَالْفَقْهِ وَالْإِيمَانِ بِتَعَالِيمِ اللَّهِ كَلِيمَانَ الْعَجَائِزِ.
- (٢) أَوْثَقُهُمْ بِاللَّهِ مِنَ الْوَثِيقَةِ وَالصَّلَةِ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى» وَقَصْدُ الْأَدِيبِ بِصِغَةِ أَفْعَلَ التَّفْضِيلِ أَوْثَقُهُمْ: أَعْصَمَهُمْ بِالْوَثِيقَةِ لَصَوَابِ رَجَائِهِمْ فِي رَبِّهِمْ وَدِينِهِمْ هَذَا الْوَثُوقُ الَّذِي لَا يَحِلُّهُ شُبْهَةٌ.
- (٣) هَوَى: جَمْعُ أَهْوَاءَ. وَهَوَى: أَحَبَّ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى» نَهَاها عَنْ شَهَوَاتِهَا وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.
- (٤) أَرْحَبُهُمْ ذِرَاعًا: الْأَصْلُ الذَّرْعُ الْبَسِطُ فِي الْيَدِ، وَالذَّرْعُ يَوْضَعُ مَوْضِعَ الطَّاقَةِ وَالْخُلُقِ. وَالْمَقْصُودُ أَنَّ أَوْسَعَهُمْ وَأَبْسَطَهُمْ ذِرَاعًا أَوْلَتْكَ الَّذِينَ يَأْخُذُونَ الْأُمُورَ عَلَى طَبِيعَتِهَا.
- (٥) أَخْفَضَهُمْ عَيْشًا: الْخَفْضُ اللَّيْنُ وَالْبَسَاطَةُ فِي الْعَيْشِ وَالْحَيَاةِ الدُّنْيَا.
- (٦) الْحَصَافَةُ: ثَخَانَةُ الْعَقْلِ. وَخَصَفْتُ بِالضَّمِّ حَصَافَةً: جَيَّدَ الرَّأْيَ مَحْكَمَ الْعَقْلِ، وَقَوْلُ ابْنِ الْمُقَفَّعِ أَظْهَرَهُمْ جَمَالًا فِي نَظَرِهِ: أَوْضَحَهُمْ لِلْبَرْهَانِ وَأَيَّنَّهُمْ لِلْحُجَجِ وَأَجْوَدَهُمْ وَأَحْكَمَهُمْ لِلرَّأْيِ وَالتَّنْدِيرِ.
- (٧) أَكْثَلُهُمْ مِنَ الْفِعْلِ كُلِّ، وَكُلُّ النَّابِ: لَمْ يَقْطَعْ وَكُنِيَ بِذَلِكَ عَنْ ضَعْفِ الرَّجُلِ الثَّقَلِ الَّذِي كُلُّ عَنْ ضَرَرِ الْآخَرِينَ.

فَصَلُّ مَا بَيْنَ الدِّينِ وَالرَّأْيِ، أَنَّ الدِّينَ يَسْلَمُ بِالإِيمَانِ، وَأَنَّ الرَّأْيَ يَثْبُتُ بِالْخُصُومَةِ^(١)، فَمَنْ جَعَلَ الدِّينَ خُصُومَةً، فَقَدْ جَعَلَ الدِّينَ رَأْيًا، وَمَنْ جَعَلَ الرَّأْيَ دِينًا فَقَدْ صَارَ شَارِعًا^(٢)، وَمَنْ كَانَ هُوَ يَشْرَعُ لِنَفْسِهِ الدِّينَ فَلَا دِينَ لَهُ.

قَدْ يَشْتَبِهَ الدِّينُ وَالرَّأْيُ فِي أَمَاكِنَ، لَوْلَا تَشَابُهُمَا لَمْ يَحْتَاجَا إِلَى الْفَضْلِ.

الْعُجْبُ^(٣) أَقْفَةُ الْعَقْلِ، وَاللَّجَاجَةُ^(٤) قُعُودُ الْهَوَى، وَالْبُخْلُ لِقَاحُ الْجِرْصِ، وَالْمِرَاءُ^(٥) فَسَادُ اللِّسَانِ، وَالْحَمِيَّةُ^(٦) سَبَبُ الْجَهْلِ، وَالْأَنَفُ تَوَأْمُ السَّفَهَةِ^(٧)، وَالْمُنَافَسَةُ أُخْتُ الْعَدَاوَةِ.

حكمتان

إِذَا هَمَمْتَ بِخَيْرٍ فَبَادِرْ^(٨) هَوَاكَ، لَا يَغْلِبُكَ؛ وَإِذَا هَمَمْتَ بِشَرٍّ فَسَوِّفْ^(٩) هَوَاكَ

(١) الخصومة من الفعل خَصَمَ والخصم: الجدل، وخاصمه: غلبه بالحجة ومنه قوله تعالى: ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ والمعنى أَنَّ الجدل والنزاع دار بين المؤمنين والكفار وكل واحد من الفريقين خَصَمَ.

(٢) شارعاً من الشارع والشرع: الذين يشرعون ويسهرون على تطبيق ما شرع الله للعباد من شريعة الصوم والصلاة والحج وغيره.

(٣) العُجْبُ: الزُّهُوُّ، ورجل مُعْجَبٌ: مَزْهُوٌّ بما يكون منه حَسَنًا أَوْ قِيحًا. والعُجْبُ بالضم: فَضْلَةٌ مِنَ الْحَقِّ صَرَفَتْهَا إِلَى الْعُجْبِ.

(٤) اللَّجَاجَةُ من فعل لَجَّ. وَلَجَّ فِي الْأَمْرِ تَمَادَى عَلَيْهِ وَأَبَى أَنْ يَنْصَرِفَ عَنْهُ. وفي الحديث: «إِذَا اسْتَلْجَ أَحَدُكُمْ يَمِينَهُ فَإِنَّهُ آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكُفَّارَةِ، وَهُوَ اسْتَفْعَلَ مِنَ اللَّجَاجِ أَيْ يَحْلِفُ عَلَى شَيْءٍ وَيُرَى أَنْ غَيْرَهُ خَيْرٌ مِنْهُ فَيَقِيمُ عَلَى يَمِينِهِ وَلَا يَحْنُثُ فَذَاكَ آثَمٌ.

(٥) المِرَاءُ: أَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْجِدَالُ، وَأَنْ يَسْتَخْرِجَ الرَّجُلُ مِنْ مُنَاطَرَتِهِ كَلَامًا وَمَعَانِي الْخُصُومَةِ وَغَيْرَهَا. وَالْمِرَاءُ أَيْضًا: مِنَ الْأَمْتِرَاءِ وَالشُّكِّ، وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾.

(٦) الْحَمِيَّةُ: الْأَنَفَةُ، وَالْحَمِيَّةُ الْمُنْكَرَةُ إِذَا كَانَ ذَا غَضَبٍ مَدْفُوعٍ عَنِ الْجَهْلِ الْهَدَامِ.

(٧) السَّفَهَةُ: الْجَهْلُ، وَسَفَهَ: جَهَلَ فَهُوَ سَفِيهٌ وَالْجَمْعُ سَفَهَاءُ وَسَفَاهٌ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ﴾ وَسَفَهَ نَفْسَهُ: خَيْرَهَا جَهْلًا.

(٨) فَبَادِرْ: بَدَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ أَبَدْتُ: أَسْرَعْتُ، وَبَادَرَ الشَّيْءُ مَبَادَرَةً وَبَدَرَ غَيْرُهُ إِلَيْهِ يَبْدُرُهُ: عَاجَلَهُ، وَبِهَذَا حَضَّ ابْنُ الْمُقَفَّعِ الْعَاقِلُ إِذَا مَا عَزَمَ عَلَى فِعْلِ الْخَيْرِ فَلْيَسِرْ فِي تَنْفِيذِهِ لِيَكُونَ هُوَ الْغَالِبُ وَالسَّابِقُ وَالْمَقْدَمُ عَلَى هَوَاهُ.

(٩) فَسَوِّفْ هَوَاكَ: سَوِّفْتُ الرَّجُلَ أَمْرِي تَسْوِيفًا أَيْ أَخَّرْتَهُ. وَالتَّسْوِيفُ: التَّأْخِيرُ، مِنْ قَوْلِكَ سَوْفَ أَفْعَلُ =

لَعَلَّكَ تَظْفَرُ. فَإِنَّ مَا مَضَى مِنَ الْأَيَّامِ وَالسَّاعَاتِ عَلَى ذَلِكَ هُوَ الْغَنَمُ.

لَا يَمْنَعُكَ صِغَرُ شَأْنٍ أَمْرِيٍّ مِنْ اجْتِنَاءِ مَا رَأَيْتَ مِنْ رَأْيِهِ صَوَاباً وَالْأَصْطِفَاءِ لِمَا رَأَيْتَ مِنْ أَخْلَاقِهِ كَرِيماً، فَإِنَّ اللُّؤْلُؤَةَ الْفَائِقَةَ لَا تُهَانُ لِهَوَانِ غَائِصِهَا^(١) الَّذِي اسْتَخْرَجَهَا.

العلم زين لصاحبه

مَنْ أَبْوَابِ التَّوْفِيقِ وَالتَّوْفِيقِ فِي التَّعَلُّمِ أَنْ يَكُونَ وَجْهُ الرَّجُلِ الَّذِي يَتَوَجَّهُ فِيهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ فِيمَا يُوَافِقُ طَاعَةً وَيَكُونُ لَهُ عِنْدَهُ مَحْمَلٌ وَقَبُولٌ. فَلَا يَذْهَبُ عَنَاؤُهُ فِي غَيْرِ غَنَاءٍ، وَلَا تَفْنَى أَيَّامُهُ فِي غَيْرِ دَرَكٍ، وَلَا يَسْتَفْرِغُ نَصِيئِهِ فِيمَا لَا يَنْجَعُ فِيهِ، وَلَا يَكُونُ كَرَجُلٍ أَرَادَ أَنْ يُعَمَّرَ أَرْضاً تَهْمَةً^(٢) فَعَرَسَهَا جَوْزاً وَلَوْزاً، وَأَرْضاً جَلْساً^(٣) فَعَرَسَهَا نَخْلاً وَمَوْزاً.

الْعِلْمُ زَيْنٌ لِصَاحِبِهِ فِي الرَّخَاءِ، وَمَنْجَاةٌ لَهُ فِي الشَّدَّةِ.

بِالْأَدَبِ تَعْمُرُ الْقُلُوبُ، وَبِالْعِلْمِ تُسْتَحْكَمُ^(٤) الْأَحْلَامُ^(٥).

= والتسويق: المَطل.

(١) غَائِصُهَا: الْأَصْلُ أَنْ يُعَدَّ الْفِظُ هَذَا بِحَرْفِ الْجَرِّ. فنقول: «غَاصَ فِي الْبَحْرِ»، وَلَكِنْ ابْنُ الْمُقَفَّعِ هُنَا عَدَّاهَا مُبَاشَرَةً دُونَ حَرْفِ الْجَرِّ.

(٢) التَّهْمَةُ: الْمَسَافَةُ مِنَ الْأَرْضِ الْمَتَّصَةِ إِلَى مِيَاهِ الْبَحْرِ فَهِيَ لِهَذَا تَرْتَبُهَا لَا يَنْبَغُ فِيهَا الزَّرْعُ وَالشَّجَرُ.

(٣) جَلْساً: الْجَلْسُ: كُلُّ مَرْتَفَعٍ مِنَ الْأَرْضِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «أَنَّهُ أَقْطَعَ بِلَالُ بْنُ الْحَرِثِ مَعَاذِنَ الْجَبَلِيَّةِ غَوْرِيَّهَا وَجَلْسِيَّهَا». وَهِيَ لَا تُضْلَحُ لَغَرَسِ النَّخْلِ وَلَا الْمَوْزِ.

(٤) تُسْتَحْكَمُ مِنْ فِعْلِ اسْتَحْكَمَ الرَّجُلُ: إِذَا تَنَاهَى عَمَّا يَضُرُّهُ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ، وَالْمَقْصُودُ أَنْ بِالْعِلْمِ يَرْفَعُ الضَّرَرَ وَيَتَنَاهَى عَنِ الْجَهْلِ.

(٥) الْأَحْلَامُ: الْوَاحِدُ الْحِلْمُ الْكَسْرُ: الْأَنَاءُ وَالْعَقْلُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَخْلَامُهُمْ بِهَذَا» وَفِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ فِي صَلَاةِ الْجَمَاعَةِ: «لِيَلْبِيَنَّ مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى». أَيْ ذُوو الْأَلْبَابِ وَالْعُقُولِ.

العقل الذاتي

العقلُ الذاتيُّ غيرُ الصَّنيعِ^(١)، كالأرضِ الطَّيِّبَةِ غيرِ الخَرَابِ.

الدليل على معرفة الله

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَسَبَبِ الْإِيمَانِ أَنْ يُوكَّلَ بِالْغَيْبِ لِكُلِّ ظَاهِرٍ مِنَ الدُّنْيَا، صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، عَيْنًا، فَهُوَ يُصَرِّفُهُ وَيُحَرِّكُهُ. فَمَنْ كَانَ مُعْتَبِرًا بِالْجَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَسَيَعْلَمُ أَنَّ لَهَا رَبًّا يُجْرِي فَلَكُهَا، وَيُدَبِّرُ أَمْرَهَا، وَمَنْ اعْتَبَرَ بِالصَّغِيرِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَبَّةِ الْخَرْدَلِ^(٢) فَسَيَعْرِفُ أَنَّ لَهَا مُدَبِّرًا يُنَبِّئُهَا وَيُزَكِّيَهَا وَيُقَدِّرُ لَهَا أَقْوَاتَهَا مِنَ الْأَرْضِ وَالْمَاءِ، يُوقِتُ لَهَا زَمَانَ نَبَاتِهَا وَزَمَانَ تَهَشُّمِهَا^(٣)، وَأَمْرِ النَّبُوءَةِ وَالْأَحْلَامِ^(٤)، وَمَا يَحْدُثُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، ثُمَّ يَظْهَرُ مِنْهُمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، ثُمَّ اجْتِمَاعِ الْعُلَمَاءِ وَالْجُهَالِ وَالْمُهْتَدِينَ وَالضَّالِّينَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَتَعْظِيمِهِ، وَاجْتِمَاعِ مَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَكَذَّبَ بِهِ عَلَى الْإِفْرَارِ بِأَنَّهُمْ أَنْشَأُوا حَدِيثًا، وَمَعْرِفَتِهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُحْدِثُوا أَنْفُسَهُمْ.

فَكُلَّ ذَلِكَ يَهْدِي إِلَى اللَّهِ وَيَدُلُّ عَلَى الَّذِي كَانَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْأُمُورُ، مَعَ مَا يَزِيدُ ذَلِكَ يَقِينًا عِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ اللَّهَ حَقٌّ كَبِيرٌ وَلَا يَقْدَرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُوقِنَ أَنَّهُ بِالْبَاطِلِ.

(١) الصَّيْنَعُ: مَنْ فَعَلَ صَنَعَ، وَالصَّانِعُ: الْمَاهِرُ الْحَادِقُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ بَلَغَ الصَّنْعَ بِسَهْمٍ». الصَّنْعُ بِالْكَسْرِ: الْحِصْنُ، أَيْ اكْتِسَابُ الْمَعْرِفَةِ الَّتِي تَحْصِنُ هَذَا الْعَقْلَ الذَّاتِيَّ بِلِ الْفَطْرِيِّ لِيَصْبَحَ كَالْأَرْضِ الطَّيِّبَةِ غَيْرِ الْخَرَابِ ذَاتِ التُّرْبَةِ الْخَصْبَةِ.

(٢) الْخَرْدَلُ: الْوَاحِدَةُ خَرْدَلَةٌ، وَهُوَ نَبَاتٌ عَشْبِي حَبُّهُ صَغِيرٌ أَسْوَدٌ مُقَرَّحٌ يَسْتَعْمَلُ فِي التَّوَابِلِ لَهُ فَوَائِدُ طَيِّبَةٌ، وَيَسْتَخْرَجُ مِنْهُ الزَّيْتُ.

(٣) تَهَشُّمُهَا مِنَ الْهَشِيمِ الْفِعْلُ مِنْهُ هَشَمٌ. وَالْهَشِيمُ: النَّبْتُ الْيَابِسُ الْمُتَكَسِّرُ، وَالشَّجَرَةُ الْبَالِيَةُ.

(٤) الْحُلْمُ وَالْحُلُمُ جَمْعُ أَحْلَامٍ، وَيُقَالُ حَلَمٌ يَحْلُمُ: إِذَا رَأَى فِي الْمَنَامِ. وَمِنْهُ قَوْلُ بَشْرِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ: «أَحَقُّ مَا رَأَيْتُ أَمْرَ احْتِلَامٍ؟» هَذِهِ الْأَحْلَامُ الَّتِي تَحْدُثُ فِي الْأَنْفُسِ وَالَّتِي تَظْهَرُ مِنْهَا بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالنُّبُوءَةُ وَالسَّمَاءُ وَالْأَفلاكُ هَذِهِ الْأُمُورُ الْعَظِيمَةُ الْجَلِيلَةُ وَغَيْرُهَا لِأَكْبَرِ دَلِيلٍ عَلَى وَجُودِ اللَّهِ فِي عَرَفِ ابْنِ الْمُقَفَّعِ.

حقّ السلطان المقسط

إِنَّ لِلسُّلْطَانِ الْمَقْسُطِ (١) حَقًّا لَا يَصْلُحُ بِخَاصَّةٍ وَلَا عَامَّةٍ أَمْرٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، فَذُو اللَّبِّ حَقِيقٌ (٢) أَنْ يُخْلِصَ لَهُمُ النَّصِيحَةَ، وَيَبْدُلَ لَهُمُ الطَّاعَةَ، وَيَكْتُمَ سِرَّهُمْ، وَيُزَيِّنَ سِيرَتَهُمْ، وَيَذُبَّ بِلِسَانِهِ وَيَدِهِ عَنْهُمْ، وَيَتَوَخَّى مَرْضَاتَهُمْ، وَيَكُونَ مِنْ أَمْرِهِ الْمُؤَاتَاةَ (٣) لَهُمْ وَالْإِيثَارَ لَأَهْوَائِهِمْ وَرَأْيِهِمْ عَلَى هَوَاهُ وَرَأْيِهِ، وَيُقَدِّرُ الْأُمُورَ عَلَى مُوَافَقَتِهِمْ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ لَهُ مُخَالَفًا (٤)، وَأَنْ يَكُونَ مِنْهُ الْجِدُّ فِي الْمُخَالَفَةِ لِمَنْ جَانَبَهُمْ (٥) وَجَهَلَ حَقَّهُمْ، وَلَا يُوَاصِلَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا مَنْ لَا تُبَاعِدُ مُوَاسَلَتُهُ إِيَّاهُ مِنْهُمْ، وَلَا تَحْمِلُهُ عَدَاوَةُ أَحَدٍ لَهُ وَلَا إِضْرَارٌ بِهِ عَلَى الْأَضْطِعَاعِ عَلَيْهِمْ، وَلَا مُؤَاتَاةُ أَحَدٍ عَلَى الْإِسْتِخْفَافِ بِشَيْءٍ مِنْ أُمُورِهِمْ وَالْإِتْقَاصِ لِشَيْءٍ مِنْ حَقِّهِمْ، وَلَا يَكْتُمُهُمْ شَيْئاً مِنْ نَصِيحَتِهِمْ، وَلَا يَتَّاقِلَ (٦) عَنْ شَيْءٍ مِنْ طَاعَتِهِمْ، وَلَا يَبْطُرُ (٧) إِذَا أَكْرَمُوهُ، وَلَا يَجْتَرِئُ عَلَيْهِمْ إِذَا قَرَّبُوهُ، وَلَا يَطْفِئُ إِذَا سَلَطُوهُ، وَلَا يُلْحِفُ (٨) إِذَا سَأَلَهُمْ، وَلَا يُدْخِلُ عَلَيْهِمْ الْمَوْئِنَةَ (٩)، وَلَا يَسْتَقِيلُ مَا حَمَلُوهُ، وَلَا يَعْتَزُّ عَلَيْهِمْ إِذَا رَضُوا عَنْهُ، وَلَا يَتَغَيَّرُ لَهُمْ إِذَا

(١) المقسط: من أسماء الله الحسنى والمقسط: العادل، ويقال: أقسط يقسط: إذا عدل.

(٢) حقيق: فقول حق لك أن تفعل، وحقيقت أن تفعل: لزمت. والعرب تقول: حقيقت عليه القضاء أحقه أي أوجبه، وحقيق أن يخلص لك النصيحة: جدير بها.

(٣) المؤاتاة: من الفعل آتاه. وآتاه على الأمر: طأوعه، والمؤاتاة: حسن المطاوعة، وآتيته على ذلك الأمر مؤاتاة: إذا وافقته وطأوعته.

(٤) مخالفاً من الفعل اختلف، واختلف: تباين. وفي التنزيل العزيز: ﴿فَرَحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ﴾. أي مخالفة رسول الله، والمقصود مخالفة رأي السلطان في تدبير أمور البلاد، وعليه فالأديب ينصح العاقل بالقدرة على مواجهة صاحب السلطة في رأيه وإن خالفه في ذلك.

(٥) جانبهم: ضد قاربهم، والجانب: البعيد.

(٦) يتناقل عن: يترجم عن أمر في طاعتهم تضجراً.

(٧) يبطر: من فعل بطر. والبطر: الطغيان في النعمة. وفي الحديث: «الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ». والبطر: العجب عند النعمة وطول الغنى. وهو أيضاً كراهية الشيء من غير أن يستحق الكراهية.

(٨) يلحف من الفعل لحف، والإلحاف: شدة الإلحاح في المسألة. وفي التنزيل الحكيم: ﴿لَا

يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْقَاقًا﴾، وألحف السائل: ألحّ ومنه قول بشار بن برد: [الرجز]

الْحُرُّ يُلْحَى وَالْعَصَا لِلْعَبْدِ وليس للملحف مثل الردّ

(٩) المؤونة: الشدة والنفق.

سَخَطُوا عَلَيْهِ، وَأَنْ يَحْمَدَهُمْ عَلَى مَا أَصَابَ مِنْ خَيْرٍ مِنْهُمْ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ فَإِنَّهُ لَا يَقْدُرُ أَحَدٌ عَلَى أَنْ يُصِيبَهُ بِخَيْرٍ إِلَّا بِدِفَاعِ اللَّهِ عَنْهُ بِهِمْ.

الدليل على عِلْمِ الْعَالِمِ

مِمَّا يَدُلُّ عَلَى عِلْمِ الْعَالِمِ مَعْرِفَتُهُ مَا يُدْرِكُ مِنَ الْأُمُورِ وَإِمْسَاكُهُ عَمَّا لَا يُدْرِكُ وَتَرْيُّبُهُ نَفْسَهُ بِالْمَكَارِمِ، وَظُهُورُ عِلْمِهِ لِلنَّاسِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَظْهَرَ مِنْهُ فَخْرٌ وَلَا عُجْبٌ، وَمَعْرِفَتُهُ زَمَانَهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَبَصَرُهُ بِالنَّاسِ، وَأَخْذُهُ بِالْقِسْطِ، وَإِرْشَادُهُ الْمُسْتَرِشِدَ، وَحُسْنُ مُخَالَفَتِهِ خُلَاطَاءَهُ، وَتَسْوِيتُهُ بَيْنَ قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ، وَتَحْرِيرِهِ الْعَدْلَ فِي كُلِّ أَمْرٍ؛ وَرَحْبُ ذَرْعِهِ فِيمَا نَابَهُ، وَاحْتِجَاجُهُ بِالْحُجَجِ فِيمَا عَمِلَ، وَحُسْنُ تَبْصِيرِهِ^(١).

علم الآخرة

مَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْصُرَ شَيْئاً مِنْ عِلْمِ الْآخِرَةِ، فَالْعِلْمُ الَّذِي يَعْرِفُ بِهِ ذَلِكَ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْصُرَ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَبِالْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ تَدُلُّ عَلَيْهِ^(٢).

ماذا يجب على المرء

لِيَكُنِ الْمَرْءُ سَوُولاً^(٣)، وَلِيَكُنْ فَصُولاً بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلِيَكُنْ صَدُوقاً لِيُؤْمَنَ عَلَى مَا قَالَ، وَلِيَكُنْ ذَا عَهْدٍ لِيُؤْفَى لَهُ بِعَهْدِهِ، وَلِيَكُنْ شَكُوراً لِيَسْتَوْجِبَ

(١) تَبْصِيرُهُ: مِنَ الْفِعْلِ بَصَرَ، وَبَصَرُهُ الْأَمْرُ تَبْصِيراً: فَهَمَّ إِيَّاهُ. وَمِنْهُ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾. وَالْمَقْصُودُ حَسَنَ إِدْرَاكِهِ لِلْأُمُورِ بِالْحُجَجِ وَالْبَرَاهِينِ فِيمَا عَمِلَ.

(٢) قَصِدَ ابْنُ الْمَقْفَعِ أَنَّ عِلْمَ الْآخِرَةِ يُدْرِكُ وَيُفْهَمُ بِالْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ الْمُنْبَعِثَةِ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالْحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيفِ. غَيْرَ أَنَّ مَوْجُودَاتِ الْأَشْيَاءِ تُبْصَرُنَا بِأُمُورِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ.

(٣) سَوُولاً مِنَ الْفِعْلِ سَأَلَ. وَسَأَلْتُهُ الشَّيْءَ، وَسَأَلْتُهُ عَنِ الشَّيْءِ سُؤَالاً وَمَسْأَلَةً بِمَعْنَى اسْتَعِطِيتهُ إِيَّاهُ، وَقِيلَ: سَأَلْتُهُ عَنِ الشَّيْءِ: اسْتَخِيرْتُهُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «لِلْسَائِلِ حَقٌّ وَإِنْ جَاءَ عَلَى قَرَسٍ». وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنَّ يَسْتَخِيرَ الْإِنْسَانُ وَيَسْتَعْلَمُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ يَجْهَلُهُ لِيَعْرِفَهُ.

الزِّيَادَة، وَلْيَكُنْ جَوَاداً لِيَكُونَ لِلخَيْرِ أَهْلاً، وَلْيَكُنْ رَحِيماً بِالْمَضْرُورِينَ لِثَلَا يُتَتَلَى
بِالضَّرِّ، وَلْيَكُنْ وَدُوداً لِثَلَا يَكُونَ مَعْدِناً^(١) لِأَخْلَاقِ الشَّيْطَانِ، وَلْيَكُنْ حَافِظاً لِّلْسَانِهِ مُقْبِلاً
عَلَى شَأْنِهِ لِثَلَا يُؤْخَذَ بِمَا لَمْ يَجْتَرَمْ، وَلْيَكُنْ مُتَوَاضِعاً لِيُفْرَحَ لَهُ بِالْخَيْرِ وَلَا يُحْسَدَ
عَلَيْهِ، وَلْيَكُنْ قَنِعاً لِتَقَرَّ^(٢) عَيْنُهُ بِمَا أُوتِيَ، وَلْيَسِرْ لِلنَّاسِ بِالْخَيْرِ لِثَلَا يُؤْذِيَهُ الْحَسَدُ؛
وَلْيَكُنْ حَذِيراً لِثَلَا تَطُولَ مَخَافَتُهُ، وَلَا يَكُونَنَّ حَقُوداً لِثَلَا يَضُرَّ بِنَفْسِهِ إِضْرَاراً بَاقِياً،
وَلْيَكُنْ ذَا حَيَاءٍ لِثَلَا يُسْتَذَمَّ إِلَى الْعُلَمَاءِ. فَإِنَّ مَخَافَةَ الْعَالِمِ مَذَمَّةُ الْعُلَمَاءِ أَشَدُّ مِنْ
مَخَافَتِهِ عُقُوبَةِ السَّلْطَانِ.

نصائح سنّية

حَيَاةُ الشَّيْطَانِ تَرُكُ الْعِلْمِ، وَرُوحُهُ وَجَسَدُهُ الْجَهْلُ؛ وَمَعْدِنُهُ فِي أَهْلِ الْحَقْدِ
وَالْقِسَاوَةِ، وَمَثْوَاهُ^(٣) فِي أَهْلِ الْغَضَبِ، وَعَيْشُهُ فِي الْمُصَارَمَةِ، وَرَجَاؤُهُ فِي الْإِصْرَارِ
عَلَى الذَّنُوبِ.

وَقَالَ: لَا يَنْبَغِي لِلْمَرْءِ أَنْ يَعْتَدَّ^(٤) بِعِلْمِهِ وَرَأْيِهِ مَا لَمْ يُذَكِّرْهُ ذُووُ الْأَلْبَابِ وَلَمْ
يُجَامِعُوهُ عَلَيْهِ^(٥). فَإِنَّهُ لَا يُسْتَكْمَلُ عِلْمُ الْأَشْيَاءِ بِالْعَقْلِ الْفَرْدِ.

أَعْدَلُ السَّيْرِ^(٦) أَنْ تَقْيَسَ النَّاسَ بِنَفْسِكَ، فَلَا تَأْتِي إِلَيْهِمْ إِلَّا مَا تَرْضَى أَنْ يُؤْتَى
إِلَيْكَ.

(١) مَعْدِناً: المَعْدِنُ: مَكَانُ كُلِّ شَيْءٍ يَكُونُ فِيهِ أَصْلُهُ وَمَبْدُؤُهُ.

(٢) لَتَقَرَّ مِنَ الْفِعْلِ قَرَّ. وَقَرَّتِ الْعَيْنُ مَأْخُذَةً مِنَ الْقُرُورِ، وَهُوَ الدَّمْعُ الْبَارِدُ يَخْرُجُ مَعَ الْفَرَحِ.

(٣) مَثْوَاهُ فِي الْفِعْلِ ثَوَى. وَالثَّوَاءُ: طَوْلُ الْمَقَامِ، وَمَثْوَاهُ: مَقَرُّهُ الْمَلْتَزِمُ فِيهِ.

(٤) يَعْتَدُّ مِنْ فِعْلِ عَتَدَ، وَرَجُلٌ عَتَدَ وَعَتَدَ بَفَتْحِ التَّاءِ وَكَسَرِهَا: شَدِيدُ تَأَمُّ الْخَلْقِ سَرِيعِ الْوَثْبَةِ وَالْفَخْرِ
وَالاعْتِزَازِ بِمَا لَدَيْهِ مِنْ مَالٍ أَوْ عِلْمٍ أَوْ مَنَصَبٍ.

(٥) يُجَامِعُوهُ: مِنْ فِعْلِ جَمَعَ وَأَجْمَعَ. وَجَامِعٌ: وَافِقٌ وَجُجَامِعُوهُ يُوَافِقُوهُ، وَاجْتِمَاعٌ عَلَى: اتِّفَاقٌ وَتَوَارَدٌ فِي
الرَّأْيِ وَالْفِكْرِ وَالْمَعْرِفَةِ لِأَنَّهُ لَا سَبِيلَ إِلَى نَجَاحِ عِلْمٍ أَوْ أَمْرٍ إِلَّا بِالْإِجْمَاعِ.

(٦) السَّيْرُ: مِنْ فِعْلِ سَارَ. وَالسَّيْرَةُ: السُّنَّةُ وَالطَّرِيقَةُ، يَقَالُ: سَارَ بِهِمْ سَيْرَةً حَسَنَةً. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ:
﴿سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى﴾.

وَأَنْفَعُ الْعَقْلِ أَنْ تُحْسِنَ الْمَعِيشَةَ فِيمَا أُوتِيتَ مِنْ خَيْرٍ، وَأَنْ لَا تَكْثُرَ مِنَ الشَّرِّ
بِمَا لَمْ يُصِيبَكَ.

وَمِنَ الْعِلْمِ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ لَا تَعْلَمُ بِمَا لَا تَعْلَمُ.

وَمِنْ أَحْسَنِ ذَوِي الْعُقُولِ عَقْلاً مَنْ أَحْسَنَ تَقْدِيرَ^(١) أَمْرِ مَعَاشِهِ وَمَعَادِهِ تَقْدِيرًا
لَا يُفْسِدُ عَلَيْهِ وَاحِدًا مِنْهُمَا نَفَادُ الْآخِرِ، فَإِنْ أَعْيَاهُ ذَلِكَ رَفَضَ الْأَدْنَى وَآثَرَ عَلَيْهِ
الْأَعْظَمَ.

وَقَالَ: الْمُؤْمِنُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَإِنْ كَانَ سِحْرًا^(٢)، خَيْرٌ مِمَّنْ لَا يُؤْمِنُ
بِشَيْءٍ وَلَا يَرْجُو مَعَادًا.

لَا تُؤَدِّي التَّوْبَةُ أَحَدًا إِلَى النَّارِ، وَلَا الْإِصْرَارُ عَلَى الذَّنُوبِ أَحَدًا إِلَى الْجَنَّةِ.

مِنْ أَفْضَلِ الْبِرِّ^(٣) ثَلَاثُ خِصَالٍ: الصَّدْقُ فِي الْغَضَبِ، وَالْجُودُ فِي الْعُسْرَةِ،
وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْقُدْرَةِ.

رَأْسُ الذَّنُوبِ

رَأْسُ^(٤) الذَّنُوبِ الْكَذِبُ: هُوَ يُؤَسِّسُهَا وَهُوَ يَتَفَقَّدُهَا وَيُثْبِتُهَا. وَتَتَلَوَّنُ ثَلَاثَةً
الْوَانِ: بِالْأُمْنِيَّةِ، وَالْجُحُودِ، وَالْجَدَلِ، يَبْدُو لِصَاحِبِهِ بِالْأُمْنِيَّةِ الْكَاذِبَةِ فِيمَا يُزَيِّنُ لَهُ مَنْ

(١) تقدير من فعل قَدَّرَ القومُ أمرهم: دَبَّرُوهُ، وَقَدَّرْتُ عَلَيْهِ الثَّوْبَ قَدْرًا فَأَنْقَدَرَ أَيِ جَاءَ عَلَى الْمَقْدَارِ،

وَقَدَّرَ الرَّجُلُ أَمْرَهُ تَقْدِيرًا: أَحْسَنَ تَدْبِيرَهُ وَتَصَرَّفَ وَفَقَّ مَا يَقْتَضِيهِ الْإِعْتِدَالُ وَخَفَضَ الْعَيْشَ.

(٢) السِّحْرُ: عَمَلٌ تُقَرَّبُ فِيهِ إِلَى الشَّيْطَانِ وَبِمَعُونَةٍ مِنْهُ. كُلُّ ذَلِكَ الْأَمْرِ كَيُونَةٌ لِلْسَّحْرِ، وَمِنَ السِّحْرِ

الْأَخْذَةُ الَّتِي تَأْخُذُ الْعَيْنَ حَتَّى يُظَنَّ أَنَّ الْأَمْرَ كَمَا يُرَى، وَلَيْسَ الْأَصْلُ عَلَى مَا يُرَى، وَأَصْلُ السِّحْرِ

صَرَفَ الشَّيْءِ عَنْ حَقِيقَتِهِ إِلَى غَيْرِهِ، فَكَأَنَّ السَّاحِرَ لَمَّا أَرَى الْبَاطِلَ فِي صُورَةِ الْحَقِّ وَخَيَّلَ الشَّيْءَ

عَلَى غَيْرِ حَقِيقَتِهِ قَدْ سَحَرَ الشَّيْءَ عَنْ وَجْهِهِ أَيِ صَرْفَهُ، وَقِيلَ سَحَرَهُ. وَمِنَ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «إِنْ مِنْ

الْبَيَانِ لِسِحْرَاءَ».

(٣) الْبِرُّ: الصَّدْقُ، وَبَرٌّ فِي يَمِينِهِ يَبْرُ: إِذَا صَدَقَهُ وَلَمْ يَخْنَثْ، وَالْبِرُّ خَيْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَبَرٌّ: إِذَا صَلَحَ.

(٤) شَبَّ ابْنُ الْمُقَفَّعِ الذَّنُوبَ بِالْإِنْسَانِ وَجَعَلَ أَخْطَرَهَا وَأَهْمَهَا الْكَذِبَ الَّذِي هُوَ بِمَثَابَةِ الرَّأْسِ أَشْرَفَ

عَضْوٍ فِي الْإِنْسَانِ فِي حَيْثُ الْفِكْرُ وَالتَّعْقِلُ وَالثَّبُوتُ وَالتَّاسِيسُ.

الشَّهَوَاتِ فَيُشَجِّعُهُ عَلَيْهَا بِأَنَّ ذَلِكَ سَيُخْفَى . فإذا ظَهَرَ عَلَيْهِ قَابِلُهُ بِالْجُحُودِ
وَالْمُكَابَرَةِ^(١)، فَإِنْ أَغْيَاهُ ذَلِكَ خَتَمَ بِالْجَدَلِ، فَخَاصَمَ عَنِ الْبَاطِلِ وَوَضَعَ لَهُ
الْحُجَجَ، وَالتَّمَسَّ بِهِ الثَّبَتَ وَكَابَرَ بِهِ الْحَقَّ حَتَّى يَكُونَ مُسَارِعاً لِلضَّلَالَةِ وَمُكَابِراً
بِالْفَوَاحِشِ^(٢).

دين المرء

لَا يَثْبُتُ دِينُ الْمَرْءِ عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ أَبَدًا، وَلَكِنَّهُ لَا يَزَالُ إِمَّا زَائِدًا وَإِمَّا
نَاقِصًا.

علامات اللثيم

مِنْ عِلَامَاتِ اللَّثِيمِ الْمُخَادِعِ أَنْ يَكُونَ حَسَنَ الْقَوْلِ، سَيِّءَ الْفِعْلِ، بَعِيدَ
الْغَضَبِ، قَرِيبَ الْحَسَدِ، حَمُولًا لِلْفُحْشِ، مُجَازِيًا^(٣) بِالْحَقْدِ، مُتَكَلِّفًا لِلْجُودِ،
صَغِيرَ الْخَطَرِ، مُتَوَسِّعًا فِيمَا لَيْسَ لَهُ، ضَيِّقًا فِيمَا يَمْلِكُ.

اشتغل بالأعظم

وَكَانَ يُقَالُ: إِذَا تَخَالَجَتَكَ الْأُمُورُ^(٤) فَاشْتَغَلَ بِأَعْظَمِهَا خَطَرًا^(٥)، فَإِنْ لَمْ تَسْتَبِنْ

(١) المكابرة: من فعل كَبَر. على المرء أن لا يتكبر على مخلوق مثله وهو مؤمن بربه. والاستكبار:
الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً ومكابرة.

(٢) الفَوَاحِشُ الواحد الفحش. والفحش: القبيح من القول والفعل. ومنه الحديث: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ
الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ» فَالْفَاحِشُ ذُو الْفَحْشِ وَالْحَنَّا فِي الْفِعْلِ وَالْقَوْلِ، وَالْمُتَفَحِّشُ الَّذِي يَتَكَلَّفُ سَبَّ
النَّاسِ وَيَتَعَمَّدُهُ.

(٣) مجازياً من فعل جاز، وَتَجَوَّزَ الرَّجُلُ فِي كَلَامِهِ تَكَلَّمَ بِالْمَجَازِ الَّذِي يَبْطِنُ عَكْسُ مَا يَظْهَرُ لِحَقْدِهِ مِنْهُ
أَوْ حَسَدِهِ.

(٤) تَخَالَجَتَكَ الْأُمُورُ: مِنْ فِعْلِ خَلَجَ، وَالْخَلَجُ: الْجَذْبُ وَالنَّزْعُ فِي الْأُمُورِ. وَمِنْهُ قَوْلُ مُطَرِّفِ بْنِ
الشَّخِيرِ: وَجَدْتُ الْإِنْسَانَ مُلْقَى بَيْنَ الصِّلَةِ وَبَيْنَ الشَّيْطَانِ، فَإِنْ لَمْ يَجْتَذِبْهُ إِلَيْهِ جَذْبَةُ الشَّيْطَانِ.
وَجَادَبَهُ كَجَذْبِهِ.

(٥) خَطَرًا: يَقْصِدُ الْأَدِيبُ بِالْخَطَرِ هَذَا: أَصْعَبُ الْأُمُورِ شَأْنًا وَأَهْمُهَا دَرَجَةً فِي حَيَاةِ الْإِنْسَانِ.

ذَلِكَ فَأَرْجَاهَا دَرْكًا^(١)، فَإِنْ اشْتَبَهَ ذَلِكَ فَأَجْدُرُهَا أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ مَرْجُوعٌ حَتَّى تُؤَلِّيَ فُرْصَتَهُ^(٢).

الرجال أربعة

وَكَانَ يُقَالُ: الرِّجَالُ أَرْبَعَةٌ: اثْنَانِ تَحْتَبِرُ مَا عِنْدَهُمَا بِالتَّجْرِبَةِ، وَاثْنَانِ قَدْ كُفِّيتَ تَجْرِبَتُهُمَا.

فَأَمَّا اللَّذَانِ تَحْتَاجُ إِلَى تَجْرِبَتَهُمَا؛ فَإِنْ أَحَدُهُمَا بَرٌّ كَانَ مَعَ أَبْرَارٍ، وَالْآخَرُ فَاجِرٌ كَانَ مَعَ فَجَّارٍ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي لَعَلَّ الْبَرَ مِنْهُمَا إِذَا خَالَطَ الْفُجَّارَ أَنْ يَتَبَدَّلَ فَيَصِيرَ فَاجِرًا، وَلَعَلَّ الْفَاجِرَ مِنْهُمَا إِذَا خَالَطَ الْأَبْرَارَ أَنْ يَتَبَدَّلَ بَرًّا؛ فَيَتَبَدَّلُ الْبَرُّ فَاجِرًا، وَالْفَاجِرُ بَرًّا.

وَأَمَّا اللَّذَانِ قَدْ كُفِّيتَ تَجْرِبَتُهُمَا وَتَبَيَّنَ لَكَ صَوْءُ أَمْرِهِمَا^(٣). فَإِنْ أَحَدُهُمَا فَاجِرٌ كَانَ فِي أَبْرَارٍ، وَالْآخَرُ بَرٌّ كَانَ فِي فَجَّارٍ.

حِكْمٌ مُتَفَرِّقَةٌ

حَقٌّ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَتَّخِذَ مِرْآئَيْنِ؛ فَيَنْظُرَ مِنْ إِحْدَاهُمَا فِي مَسَاوِيءِ نَفْسِهِ فَيَتَصَاغَرَ^(٤) بِهَا وَيُصْلِحَ مَا اسْتَطَاعَ مِنْهَا، وَيَنْظُرَ فِي الْآخَرَى فِي مَحَاسِنِ النَّاسِ، فَيَحْلِيَهُمْ بِهَا^(٥) وَيَأْخُذَ مَا اسْتَطَاعَ مِنْهَا.

(١) الدَّرْكُ: الوصل والوصول والاقتراب من الشيء ويقال: أَذْرَكْتَ الشَّامِرَ إِذَا بَلَغْتَ إِنَاهَا وَانْتَهَى نَضِجُهَا فَقَرَّبَ أَكْلَهَا.

(٢) لَعَلَّ هَذِهِ الْجُمْلَةُ الْآخِرَةُ دَخَلَهَا نَقْصٌ أَوْ غَيْرُهُ، لِعَدَمِ اسْتِقَامِ الْمَعْنَى بوضوح أو يحتمل قصده كل ما فات مات.

(٣) أَمْرُهُمَا: مِنْ فَعَلَ أَمَرًا، وَالْأَمْرُ وَاحِدُ الْأُمُورِ، يُقَالُ: انْتَمَرَ فَلَانُ رَأْيَهُ شَاوَرَ عَقْلَهُ فِي الصَّوَابِ الَّذِي يَأْتِيهِ فِي سِرْبَرْتِهِ.

(٤) يَتَصَاغَرُ: مِنْ فَعَلَ صَغَرَ وَالصَّغَرُ ضِدُّ الْكِبَرِ. وَيَتَصَاغَرُ خِلَافَ يَتَعَظَّمُ وَقِيلَ: أَنْ يَصْغُرَ الشَّيْءُ فِي ذَاتِهِ وَيُحَقَّرَهُ. وَيُقَالُ: الصَّغُرُ فِي الْجُرْمِ، وَالصَّغَارَةُ فِي الْقَدْرِ. وَمِنْ أَمْشَالِ الْعَرَبِ: «الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْهِ».

(٥) فَيَحْلِيَهُمْ: مِنَ الْفِعْلِ حَلَى، وَتَحَلَّى بِالْحَلِيِّ أَيْ تَزَيَّنَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «يُحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ»

أَخَذَرُ خُصُومَةَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ وَالصَّدِيقِ وَالضَّعِيفِ، وَاحْتَجَّ عَلَيْهِمْ بِالْحُجَجِ^(١).

لَا يُوَفِّعَنَّكَ بَلَاءٌ خَلَصْتَ مِنْهُ فِي آخِرِ لَعَلِّكَ لَا تَخْلُصُ مِنْهُ.

الْوَرَعُ لَا يُخَدِّعُ، وَالْأَرِيبُ^(٢) لَا يُخَدِّعُ.

وَمِنْ وَرَعِ الرَّجُلِ أَنْ لَا يَقُولَ مَا لَا يَعْلَمُ، وَمِنْ الْإِرْبِ^(٣) أَنْ يَتَّبِعَ فِيمَا يَعْلَمُ.

وَكَانَ يُقَالُ: عَمِلَ الرَّجُلُ فِيمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ خَطَأٌ هَوَى، وَالْهَوَى آفَةُ الْعَفَافِ. وَتَرَكُهُ الْعَمَلَ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ صَوَابٌ تَهَاوَنُ، وَالتَّهَانُ آفَةُ الدِّينِ. وَإِقْدَامُهُ عَلَى مَا لَا يَدْرِي أَصَوَابٌ هُوَ أَمْ خَطَأٌ جِمَاحٌ^(٤)، وَالْجِمَاحُ آفَةُ الْعَقْلِ.

وَكَانَ يُقَالُ: وَقَرَّ مَنْ فَوْقَكَ، وَلِنْ لِمَنْ دُونَكَ، وَأَحْسِنَ مُوَاتَاةَ أَكْفَائِكَ. وَلِيُكُنْ أَثَرُ ذَلِكَ عِنْدَكَ مُوَاتَاةُ الْإِخْوَانِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الَّذِي يَشْهَدُ لَكَ بِأَنْ إِجْلَالَكَ^(٥) مَنْ فَوْقَكَ لَيْسَ بِخُضُوعٍ مِنْكَ لَهُمْ، وَأَنْ لِيَنَّكَ لِمَنْ دُونَكَ لَيْسَ لَاتِمَاسٍ خِدْمَتِهِمْ.

= من فضة ومنه الحديث: «كَانَ يُحْلِينَا رِعَاءًا مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَةٍ وَلُؤْلُؤًا». أَيِ يَزِينُنَا وَيَصِفُّنَا بِالتَّحْلِي بِهَا، وَحَلَّى السِّيفَ كَذَلِكَ.

(١) الْحُجَجُ: الْبَرَاهِينُ الَّتِي دَفَعَ بِهَا الْخَصْمَ.

(٢) الْأَرِيبُ: مَنْ فَعَلَ أَرَبَ يَأْرُبُ أَخَسَفَ الْإِرْبَ فِي الْعَقْلِ، وَالْأَرِيبُ: الْعَاقِلُ. وَرَجُلٌ أَرِيبٌ مَنْ قَوْمِ أَرْبَاءَ، وَفِي الْحَدِيثِ: «مُؤَارَبَةُ الْأَرِيبِ جَهْلٌ وَعَنَاءٌ» أَيُّ أَنَّ الْأَرِيبَ هُوَ الْعَاقِلُ، لَا يُخْتَلُ عَنْ عَقْلِهِ.

(٣) الْإِرْبُ: مَنْ فَعَلَ أَرَبَ يَأْرُبُ وَأَرَبَ بِالشَّيْءِ: دَرَبَ بِهِ وَصَارَ فِيهِ مَاهِرًا بِصِرًا، قِيلَ: وَمِنْ الْأَرِيبِ أَيُّ دَوَّاهِي وَبَصِيرٍ.

(٤) الْجِمَاحُ: مِنَ الْفِعْلِ جَمَحَ، وَجَمَحَ الْفَرَسُ بِصَاحِبِهِ جَمَحًا: ذَهَبَ بِجَرِي جَرِيًا، وَالْجَمُوحُ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي يَرْكَبُ هَوَاهُ فَلَا يُمْكِنُ رُدُّهُ عَنْ غَوَايِهِ وَضَلَالِهِ.

(٥) إِجْلَالَكَ: اللَّهُ الْجَلِيلُ سَبَّحَانَهُ ذُو الْجَلَالِ. مَنْ فَعَلَ جَلَلَ وَإِجْلَالَكَ: تَعْظِيمُكَ، وَالْجَلِيلُ الْمُطْلَقُ رَاجِعٌ إِلَى كِمَالِ الصِّفَاتِ، وَأَجْلَلْتَهُ رَأَيْتُهُ جَلِيلًا نَبِيلًا وَأَجْلَلْتَهُ فِي الْمَرْتَبَةِ، جَلُّ فَلَانٍ جَلَالَةٌ: أَيُّ عَظُمَ قَدْرُهُ. فَهُوَ جَلِيلٌ.

غير المغتربين

خَمْسَةٌ غَيْرُ مُغْتَبِطِينَ فِي خَمْسَةِ أَشْيَاءَ، يَتَنَدَّمُونَ عَلَيْهَا، الْوَاهِنُ الْمُفْرَطُ إِذَا فَاتَهُ الْعَمَلُ، وَالْمُنْقَطِعُ مِنْ إِخْوَانِهِ وَصَدِيقِهِ إِذَا نَابَتْهُ النَّوَائِبُ، وَالْمُسْتَمَكِّنُ^(١) مِنْهُ عَدُوُّهُ لِسُوءِ رَأْيِهِ إِذَا تَذَكَّرَ عَجْزَهُ، وَالْمُفَارِقُ لِلزَّوْجَةِ الصَّالِحَةِ إِذَا ابْتَلَى بِالطَّلَاحَةِ، وَالْجَرِيُّ عَلَى الذَّنْبِ إِذَا حَصَرَهُ الْمَوْتُ.

ماذا ينفع

لَا يَنْفَعُ الْعَقْلُ بِغَيْرِ وَرَعٍ، وَلَا الْحِفْظُ بِغَيْرِ عَقْلِ، وَلَا شِدَّةُ الْبَطْشِ بِغَيْرِ شِدَّةِ الْقَلْبِ^(٢)، وَلَا الْجَمَالُ بِغَيْرِ حَلَاوَةٍ، وَلَا الْحَسَبُ بِغَيْرِ أَدَبٍ، وَلَا السَّرُورُ بِغَيْرِ أَمْنٍ، وَلَا الْغِنَى بِغَيْرِ جُودٍ، وَلَا الْمُرُوءَةُ بِغَيْرِ تَوَاضُعٍ، وَلَا الْحَفْضُ^(٣) بِغَيْرِ كِفَايَةٍ، وَلَا الْاجْتِهَادُ بِغَيْرِ تَوْفِيقٍ.

أمر هن تبع لأمر

فَالْمُرُوءَاتُ كُلُّهَا تَبَعٌ لِلْعَقْلِ، وَالرَّأْيُ تَبَعٌ لِلتَّجَرِبَةِ، وَالْغِبْطَةُ تَبَعٌ لِحُسْنِ الشَّاءِ، وَالسَّرُورُ تَبَعٌ لِلْأَمْنِ، وَالْقَرَابَةُ تَبَعٌ لِلْمُودَةِ، وَالْعَمَلُ تَبَعٌ لِلْقَدْرِ، وَالْجِدَّةُ^(٤) تَبَعٌ لِلْإِنْفَاقِ.

(١) المستمكن من الفعل مَكَّنَ. والمَكْنَةُ: التمكن. تقول العرب: إن بني فلان لذوو مَكْنَةٍ من السلطان أو العدو أي تمكن.. ويقال: الناس على مَكْنَاتِهِمْ أي على استقامتهم.

(٢) شدة القلب: الشُّدَّةُ: الصَّلَابَةُ، وهي تَقْيِضُ اللَّيْنِ تكون في الجواهر والأعراض، وشيء شديد: بَيِّنُ الشُّدَّةِ. ومنه قوله تعالى: ﴿وَاشْدُدْ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ أي ثبتهم على المقام ببلدهم بعد إهلاك أموالهم فيكون ذلك أشد عليهم. والمقصود أن شدة القلب مرهونة بالثبات مع شدة البطش.

(٣) خفض العيش: من فعل خفض. والخفض ضدُّ الرُّفْعِ، وعيش خافض: لين العيش وسعته. وعيشٌ خَفِضَ وخَفِضَ: خَصِيبٌ فِي دَعَةٍ وَلِينٍ.

(٤) الجِدَّةُ: من فعل جَدَدَ، والجَدُّ: الحظ والرزق. وقيل: الجَدُّ هو الاجتهاد في العمل. وفلان صاعد الجَدِّ: معناه البخت والحظ في الدنيا. ويقال هم يَجْدُونَ بهم ويَحْظُونَ بهم أي يصيرون ذا حظ وغنى. والجَدُّ: الحظ والسعادة والغنى.

أصول وثمرات

أَصْلُ الْعَقْلِ (١) التَّثَبُّتُ، وَثَمَرَتُهُ السَّلَامَةُ، وَأَصْلُ الْوَرَعِ الْقَنَاعَةُ، وَثَمَرَتُهُ الظَّفَرُ، وَأَصْلُ التَّوْفِيقِ الْعَمَلُ، وَثَمَرَتُهُ النُّجْحُ (٢).

الذكر السيء

لَا يُذَكَّرُ الْفَاجِرُ فِي الْعُقْلَاءِ، وَلَا الْكَذُوبُ فِي الْأَعْفَاءِ، وَلَا الْخَذُولُ (٣) فِي الْكُرَمَاءِ، وَلَا الْكَفُورُ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَيْرِ.

من تواخي

لَا تَوَاحِيَنَّ خَبَأً (٤)، وَلَا تَسْتَنْصِرَنَّ عَاجِزاً (٥)، وَلَا تَسْتَعِينَنَّ كَسِلاً.

بِمَ يَرُوحُ (٦) المرء عن نفسه

وَمِنْ أَعْظَمِ مَا يُرُوحُ بِهِ الْمَرْءُ نَفْسَهُ أَنْ لَا يَجْرِيَ لِمَا يَهْوَى وَلَيْسَ كَائِناً، وَلَا

(١) الْعَقْلُ: الْحِجْرُ وَالنُّهْيُ ضِدُّ الْحَقِّ، يُقَالُ: الْعَقْلُ كَأَنَّهُ عَقِلَ لَهُ شَيْءٌ أَيْ حُسِسَ عَلَيْهِ عَقْلُهُ وَأُيِّدَ وَشُدِّدَ.

(٢) النُّجْحُ: النُّجْحُ وَالنَّجَاحُ: الظَّفَرُ بِالشَّيْءِ، وَقَدْ نَجَحْتَ حَاجَتِي وَأَنْجَحَهَا اللَّهُ تَعَالَى: أَسْعَفَنِي بِإِدْرَاكِهَا.

(٣) الْخَذُولُ: الَّذِي يَتَنَاقَلُ وَيَتَرَاوَجُ عَنْ نَصْرَةِ صَدِيقِهِ فَلَا يَسَاعِدُهُ وَلَا يَقِيلُ عَثْرَتَهُ وَلَا يَصِلُهُ وَقْتُ شِدَّتِهِ بَلْ يَقْطَعُ عَلَيْهِ سَبِيلَ الظَّفَرِ، أَمَّا الْكَفُورُ فَهُوَ الَّذِي يَجْحَدُ بِنِعْمِ اللَّهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي لَا تَحْصَى، وَيَنْكُرُ فَضْلَهُ الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّهُ.

(٤) خَبَأً: مِنْ فَعَلَ خَبِبَ. وَالْخَبْتُ: الْفَسَادُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ خَبِبَ امْرَأَةً وَمَمْلُوكاً عَلَى مُسْلِمٍ فَلَيْسَ مِنْهُ» أَيْ خَدَعَهُ وَأَفْسَدَهُ؛ وَرَجُلٌ خَبٌ ضَبٌّ وَقِيلَ: الْمُؤْمِنُ غَرُّ كَرِيمٌ، وَالْكَافِرُ خَبٌ لَثِيمٌ.

(٥) عَاجِزاً مِنْ فَعَلَ عَجَزَ. وَالْعَجْزُ: تَرَكَ مَا يُحِبُّ فَعَلَهُ بِالتَّسْوِيفِ وَهُوَ عَامٌ فِي أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

(٦) يَرُوحُ: مِنْ فَعَلَ رَوَّحَ. وَالرُّوحُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ، أَيْ رَحْمَتِهِ. وَالْمَقْصُودُ أَنْ يَذْهَبَ الْمَرْءُ عَنْ نَفْسِهِ الِهْمِّ وَالْجَزَنِ إِيْمَاناً بِاللَّهِ وَعَدَالَتِهِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَيَاسُؤُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ أَيْ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، سَمَاهَا رَوْحاً لِأَنَّ الرُّوحَ وَالرَّاحَةَ بَهَا.

لما لا يَهْوَى وهو لا مُحَالَةٌ كَائِنٌ .

لا تفرح بالبطالة

اَعْتَنِمَ مِنَ الْخَيْرِ مَا تَعَجَّلْتَ، وَمِنَ الْأَهْوَاءِ مَا سَوَّفْتَ، وَمِنَ النَّصَبِ مَا عَادَ عَلَيْكَ. وَلَا تَفْرَحْ بِالْبَطَالَةِ، وَلَا تَجْبُنْ عَنِ الْعَمَلِ .

ضياع العقل

مَنْ اسْتَعْظَمَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا فَبَطَرَ، وَاسْتَصَغَرَ مِنَ الدُّنْيَا شَيْئًا فَتَهَاوَنَ، وَاحْتَقَرَ مِنَ الْإِثْمِ شَيْئًا فَاجْتَرَأَ عَلَيْهِ، وَاعْتَرَّ بِعَدُوٍّ وَإِنْ قَلَّ فَلَمْ يَحْذَرُهُ، فَذَلِكَ مِنْ ضَيَاعِ ^(١) الْعَقْلِ .

ذو العقل لا يستخف ^(٢) بأحد

لَا يَسْتَخِفُّ ذُو الْعَقْلِ بِأَحَدٍ .

وَأَحَقُّ مَنْ لَمْ يُسْتَخَفَّ بِهِ ثَلَاثَةٌ: الْأَتَقِيَاءُ وَالْوُلَاةُ وَالْإِخْوَانُ، فَإِنَّهُ مَنْ اسْتَخَفَّ بِالْأَتَقِيَاءِ أَهْلَكَ دِينَهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْوُلَاةِ أَهْلَكَ دُنْيَاهُ، وَمَنْ اسْتَخَفَّ بِالْإِخْوَانِ أَفْسَدَ مَرْوَعَتَهُ .

أزواج

مَنْ حَاوَلَ الْأُمُورَ احْتَاجَ فِيهَا إِلَى سِتٍّ: الْعِلْمِ، وَالتَّوْفِيقِ، وَالْفُرْصَةِ،

(١) ضياع العقل: الضياع: الإهمال. ضاع الشيء: هلك. قيل: لم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة. والضياع: تغليب الهوى على الفكر الصائب.

(٢) يستخف: من فعل خفف. والخفة ضد الثقل ويكون في الجسم والعقل والعمل. واستخف فلان بحقي: إذا استهان به. وقيل: استخفه فلان إذا استجهله فحملة على اتباعه في غيه. ومنه قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَخِفُّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ .

وَالْأَعْوَانِ^(١)، وَالْأَدَبِ، وَالْاجْتِهَادِ.

وَهُنَّ أَزْوَاجٌ:

فَالرَّأْيُ^(٢) وَالْأَدَبُ زَوْجٌ. لَا يَكْمُلُ الرَّأْيُ بِغَيْرِ الْأَدَبِ، وَلَا يَكْمُلُ الْأَدَبُ إِلَّا بِالرَّأْيِ.

وَالْأَعْوَانُ وَالْفُرْصَةُ زَوْجٌ. لَا يَنْفَعُ الْأَعْوَانُ إِلَّا عِنْدَ الْفُرْصَةِ، وَلَا تَتِمُّ الْفُرْصَةُ إِلَّا بِحُضُورِ الْأَعْوَانِ.

وَالْتَوْفِيقُ وَالْاجْتِهَادُ زَوْجٌ، فَالْاجْتِهَادُ سَبَبُ التَّوْفِيقِ، وَبِالتَّوْفِيقِ يَنْجَحُ الْاجْتِهَادُ.

سلامة العاقل

يَسْلَمُ الْعَاقِلُ مِنْ عِظَامِ الذُّنُوبِ وَالْعُيُوبِ بِالقَنَاعَةِ وَمُحَاسَبَةِ النَّفْسِ.

لَا تَجِدُ الْعَاقِلَ يُحَدِّثُ مَنْ يَخَافُ تَكْذِيبَهُ، وَلَا يَسْأَلُ مَنْ يَخَافُ مَنَعَهُ، وَلَا يَعِدُ بِمَا لَا يَجِدُ إِنْجَازَهُ، وَلَا يَرْجُو مَا يُعْتَفُ بِرَجَائِهِ، وَلَا يَقْدُمُ عَلَى مَنْ يَخَافُ الْعَجْزَ عَنْهُ.

وَهُوَ يُسَخِّي^(٣) بِنَفْسِهِ عَمَّا يُغْبِطُ بِهِ الْقَوَالُونَ^(٤) خُرُوجاً مِنْ عَيْبِ التَّكْذِيبِ، وَيُسَخِّي بِنَفْسِهِ عَمَّا يَنَالُ السَّائِلُونَ سَلَامَةً مِنْ مَذَلَّةِ الْمَسْأَلَةِ، وَيُسَخِّي بِنَفْسِهِ عَنْ مَحْمَدَةِ الْمَوَاعِيدِ بَرَاءَةً مِنْ مَذَمَةِ الْخُلْفِ، وَيُسَخِّي بِنَفْسِهِ عَنْ فَرَحِ الرَّجَاءِ خَوْفَ الْإِكْدَاءِ^(٥)، وَيُسَخِّيهِ عَنْ مَرَاتِبِ الْمُقَدَّمِينَ مَا يَرَى مِنْ فَضَائِحِ الْمُقْصَّرِينَ.

(١) الأعوان الواحد العون. والعون: الظهير على الأمر، والعون كل شيء أعانك فهو عون لك.

(٢) ذكر ابن المقفع أن هنا الرأي والأدب زوج. والصواب العلم والأدب زوج.

(٣) يسخي بنفسه: يتركها ولم تتنازعه نفسه إليها. يربأ بها..

(٤) القوالون: الواحدة قوال. والقوال: الرجل الظريف البين اللسان، وقيل: الكثير الكلام البليغ في حاجته، أي جيد الكلام فصيح. والعرب تقول للرجل إذا كان ذا لسان طليق إنه لابن قول. وقيل القوالون المدعون بما ليس فيهم..

(٥) الإكداء: من فعل كذا. وكذبت الأرض: إذا أبطأ نباتها. وأكذى الرجل: قل خير. وقيل المكدي =

ذو العقل

لَا عَقْلَ لِمَنْ أَغْفَلَهُ عَنْ آخِرَتِهِ مَا يَجِدُ مِنْ لَذَّةِ دُنْيَاهُ، وَلَيْسَ مِنَ الْعَقْلِ أَنْ يَحْرِمَهُ حَظُّهُ مِنَ الدُّنْيَا بَصَرُهُ بِزَوَالِهَا.

سعيد ومرجؤ

حَازَ الْخَيْرَ رَجُلَانِ: سَعِيدٌ وَمَرْجُؤٌ.

فَالسَّعِيدُ الْفَالِحُ^(١)، وَالْمَرْجُؤُ مَنْ لَمْ يَخْصِمْ^(٢).

وَالْفَالِحُ الصَّالِحُ مَا دَامَ فِي قَيْدِ الْحَيَاةِ وَتَعَرَّضَ^(٣) الْفِتَنِ فِي مُخَاصِمَةِ الْخُصَمَاءِ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالْأَعْدَاءِ.

السعيد يرغبه الله والشقي يرغبه الشيطان

السَّعِيدُ يَرْغَبُهُ اللَّهُ فِي الْآخِرَةِ حَتَّى يَقُولَ: لَا شَيْءَ غَيْرُهَا، إِذَا هَضَمَ دُنْيَاهُ وَزَهَدَ فِيهَا لِآخِرَتِهِ، لَمْ يَحْرِمَهُ اللَّهُ بِذَلِكَ نَصِيبَهُ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يُنْقِصْهُ مِنْ سُرُورِهِ فِيهَا. وَالشَّقِيُّ يَرْغَبُهُ الشَّيْطَانُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يَقُولَ: لَا شَيْءَ غَيْرُهَا. فَيَجْعَلُ اللَّهُ لَهُ النَّعِيسَ^(٤) فِي الدُّنْيَا الَّتِي أَثَّرَ مَعَ الْخِزْيِ الَّذِي يَلْقَى بَعْدَهَا.

= من الرجل الذي لا يتوب له مال ولا ينمي. ومنه حديث عائشة تصف أباهما رضي الله عنهما:

«سَبَقَ إِذْ وَبَيْتُمْ وَنَجَحَ إِذْ أَكْذَبْتُمْ» أَي ظَفَرَ إِذْ خَبْتُمْ وَلَمْ تَظْفَرُوا بِحَاجَةٍ. (١) الْفَالِحُ: مَنْ فَعَلَ فَلَحَ. وَفَلَحَ الْقَوْمَ يَفْلُحُ: قَارَ، وَهُوَ الْفُلُجُ. وَالْفُلُجُ بِالضَّمِّ. وَالسَّهْمُ الْفَالِحُ: الْفَائِزُ. وَفَلَحَ بِحِجَّتِهِ وَفِي حِجَّتِهِ وَأَفْلَحَهُ عَلَى خَصْمِهِ: غَلَبَهُ وَقَضَّاهُ.

(٢) لَمْ يَخْصِمْ: مَنْ فَعَلَ خَصَمَ يَخْصِمُ: وَالْخُصُومَةُ الْجَدَلُ وَالْجَمْعُ أَخْصَامٌ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾.

(٣) تَعَرَّضَ: مِنَ الْفِعْلِ عَرَضَ. وَقِيلَ: تَعَرَّضَ الْفِتْنُ عَلَى الْقُلُوبِ عَرَضَ الْحَصِيرِ وَهُوَ مَنْ عَرَّضَ الْجُنْدَ بَيْنَ يَدَيِ السُّلْطَانِ لِإِظْهَارِهِمْ وَاجْتِيَارِ أَحْوَالِهِمْ.

(٤) النَّعِيسُ: مَنْ فَعَلَ نَعِصَ وَأَكْثَرَهُ بِالتَّشْدِيدِ نَعَّصَ. وَقِيلَ: النَّعْصُ: كَذَرُ الْعِيشِ. وَقِيلَ أَيْضاً نَعَّصَ عَلَيْنَا أَيْ قَطَعَ عَلَيْنَا مَا كُنَّا نَحِبُّ الْاسْتِكْتَارَ مِنْهُ، وَكُلَّ مَنْ قَطَعَ شَيْئاً مِمَّا يُحِبُّ الْإِزْدِيَادَ مِنْهُ، فَهُوَ مُنْعَصٌ..

الرجال أربعة

الرَّجَالُ أَرْبَعَةٌ: جَوَادٌّ، وَبَخِيلٌ، وَمُسْرِفٌ، وَمُقْتَصِدٌ. فَالْجَوَادُّ الَّذِي يُوجَّهُ^(١)
نَصِيبَ آخِرَتِهِ وَنَصِيبَ دُنْيَاهُ جَمِيعاً فِي أَمْرِ آخِرَتِهِ.
وَالْبَخِيلُ الَّذِي يُخْطِئُ وَاحِدَةً مِنْهُمَا نَصِيبَهَا.
وَالْمُسْرِفُ الَّذِي يَجْمَعُهُمَا لِدُنْيَاهُ.
وَالْمُقْتَصِدُ^(٢) الَّذِي يُلْحِقُ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا نَصِيبَهَا.

أَغْنَى النَّاسَ وَخَيْرُ مَا يُؤْتَى الْمَرْءَ
أَغْنَى النَّاسِ أَكْثَرُهُمْ إِحْسَاناً.

قَالَ رَجُلٌ لِحَكِيمٍ: مَا خَيْرُ مَا يُؤْتَى الْمَرْءُ؟ قَالَ: غَرِيزَةُ عَقْلٍ^(٣). قَالَ: فَإِنْ
لَمْ يَكُنْ؟ قَالَ: فَتَعَلُّمٌ عِلْمٍ. قَالَ: فَإِنْ حُرِمَهُ؟ قَالَ: صِدْقُ اللِّسَانِ. قَالَ: فَإِنْ
حُرِمَهُ؟ قَالَ: سُكُوتٌ طَوِيلٌ. قَالَ: فَإِنْ حُرِمَهُ؟ قَالَ: مِيتَةٌ عَاجِلَةٌ.

أشدَّ العيوب

مِنْ أَشَدِّ عُيُوبِ الْإِنْسَانِ خَفَاءُ عُيُوبِهِ عَلَيْهِ. فَإِنْ مَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُهُ خَفِيتَ
عَلَيْهِ مَحَاسِنُ غَيْرِهِ، وَمَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ عَيْبُ نَفْسِهِ وَمَحَاسِنُ غَيْرِهِ فَلَنْ يُقْلَعَ عَنْ عَيْبِهِ
الَّذِي لَا يَعْرِفُ وَلَنْ يَنَالَ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ الَّتِي لَا يُبْصِرُ أَبَداً.

(١) يُوجَّه: من فعل وَجَّه أي دَبَّرَ. وَصَرَفَ الأمر على وجهه الذي ينبغي أَنْ يُوجَّهَ عليه.

(٢) الْمُقْتَصِدُ من فعل قَصَدَ، والقَصْدُ في الأمر: هو ما بين الإسراف والتقتير. والقصد في المعيشة:
المعتدل الذي لا يميل إلى طرفي التفریط والإفراط.

(٣) غَرِيزَةُ عَقْلٍ: الغريزة: الطبيعة والقريحة والسَّجَّةُ من خير أو شر وجمعها غرائز. ومنه قول الشاعر:
[مجزوء الكامل].

إِنَّ الشُّجَاعَةَ فِي الْفَتَى وَالْجُودَ مِنْ كَرَمِ الْغَرَائِزِ

الخصال المذمومة

خُمُولُ الذَّكَرِ^(١) أَجْمَلُ مِنَ الذَّكَرِ الذَّمِيمِ .

لَا يُوجَدُ الْفَخُورُ مَحْمُوداً، وَلَا الْغَضُوبُ مَسْرُوراً، وَلَا الْحُرُّ حَرِيصاً، وَلَا الْكَرِيمُ حَسُوداً، وَلَا الشَّرِيرُ غَنِيّاً، وَلَا الْمَلُولُ^(٢) ذَا إِخْوَانٍ .

خِصَالٌ يُسَرُّ بِهَا الْجَاهِلُ، كُلُّهَا كَائِنٌ عَلَيْهِ وَبِالْأَلَّا^(٣) : مِنْهَا، أَنْ يَفْخَرَ مِنَ الْعِلْمِ وَالْمُرُوءَةِ بِمَا لَيْسَ عِنْدَهُ . وَمِنْهَا، أَنْ يَرَى بِالْأَخْيَارِ مِنَ الْاسْتِهَانَةِ وَالْجَفْوَةِ مَا يُشِمُّهُ بِهِمْ . وَمِنْهَا، أَنْ يُنَاقِلَ^(٤) عَالِماً وَدِيْعاً مُنْصِفاً لَهُ فِي الْقَوْلِ فَيَشْتَدَّ صَوْتُ ذَلِكَ الْجَاهِلِ عَلَيْهِ ثُمَّ يُفْلِحُهُ^(٥) نَظْرَاؤُهُ مِنَ الْجَهَالِ حَوْلَهُ بِشِدَّةِ الصَّوْتِ .

وَمِنْهَا، أَنْ تَقْرُطَ مِنْهُ الْكَلِمَةُ أَوْ الْفِعْلَةُ الْمُعْجِبَةُ لِلْقَوْمِ فَيَذْكَرَ بِهَا . وَمِنْهَا، أَنْ يَكُونَ مَجْلِسُهُ فِي الْمَحْفِلِ وَعِنْدَ السُّلْطَانِ فَوْقَ مَجَالِسِ أَهْلِ الْفَضْلِ عَلَيْهِ .

سخافة المتكلم

مِنَ الدَّلِيلِ عَلَى سَخَافَةِ الْمُتَكَلِّمِ أَنْ يَكُونَ مَا يَرَى مِنْ ضِحْكِهِ لَيْسَ عَلَى حَسَبِ مَا عِنْدَهُ مِنَ الْقَوْلِ، أَوْ الرَّجُلُ يُكَلِّمُ صَاحِبَهُ فَيُجَادِبُهُ الْكَلَامَ لِيَكُونَ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ، أَوْ يَتَمَنَّى أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ قَدْ فَرَّغَ وَأَنْصَتَ لَهُ فَإِذَا نَصَّتْ لَهُ لَمْ يُحْسِنِ الْكَلَامَ .

(١) خُمُولُ الذَّكَرِ: الخُمُولُ: من فعل خَمَلَ والخامل: الخَفِيُّ الساقط الذي لا نباهة له يقال: هو خامل الذَّكَرِ والصوت. وَخَمَلَ صَوْتُهُ إِذَا وَضَعَهُ وَأَخْفَاهُ وَلَمْ يَرْفَعِهِ .

(٢) الملول: من فعل ملل. والمَلَلُ: المَلَالُ وهو أن تمل شيئاً وتُعْرِضَ عنه. وَرَجُلٌ مَلٌّ وَمَلُولٌ وَمَلُولُهُ: إِذَا سَئِمَ . وَمِنْهُ قَالَ الشَّاعِرُ:

وَأَقْسِمُ مَا بِي مِنْ جَفَاءٍ وَلَا مَلَلٍ

(٣) وَبِالْأَلَّا من فعل وَبَلَ. وَالْوَبَلُ بالتحريك: الثقل والوخامة مثل الأبلَّة، والوبال: الشدة والثقل، وفي الحديث: «كُلُّ بَنَاءٍ وَبَالٌ عَلَى صَاحِبِهِ» الْوَبَالُ فِي الْأَصْلِ: الثقل والمكروه .

(٤) يُنَاقِلُ من فعل نَقَلَ والنَّاقِلُ: الْإِنْسَانُ بَيْنَ الْعَدُوِّ وَالْخَبِيْثِ .

(٥) يُفْلِحُهُ: من فعل فَلَجَ وَفَلَجَ الْقَوْمَ: غَلَبَهُمْ وَنَصَرَهُمْ وَسَانَدَهُمْ .

القائد إلى النار وخازن الشيطان

فَضْلُ الْعِلْمِ فِي غَيْرِ الدِّينِ مَهْلَكَةٌ، وَكَثْرَةُ الْأَدَبِ فِي غَيْرِ رِضْوَانِ اللَّهِ وَمَنْفَعَةٌ
الْأَخْيَارِ قَائِدٌ إِلَى النَّارِ.

وَالْحِفْظُ الذَّاكِي الْوَاعِي لِغَيْرِ الْعِلْمِ النَّافِعِ مُضَرٌّ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالْعَقْلُ
غَيْرُ الْوَازِعِ ^(١) عَنِ الذَّنُوبِ خَازِنُ ^(٢) الشَّيْطَانِ.

أخوف ما يكون

لَا يُؤْمِنُكَ شَرُّ الْجَاهِلِ قَرَابَةٌ وَلَا جَوَارٌ وَلَا إْلَفٌ.

فَإِنْ أَخَوْفَ مَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا يَكُونُ مِنْهَا، وَكَذَلِكَ
الْجَاهِلُ إِنْ جَاوَرَكَ أَنْصَبَكَ ^(٣)، وَإِنْ نَاسَبَكَ جَنَى عَلَيْكَ، وَإِنْ أَلْفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مَا
لَا تُطِيقُ، وَإِنْ عَاشَرَكَ آذَاكَ وَأَخَافَكَ، مَعَ أَنَّهُ عِنْدَ الْجُوعِ سَبْعُ ضَارٍ، وَعِنْدَ الشُّبْعِ
مَلِكٌ فَظٌ، وَعِنْدَ الْمُؤَافَقَةِ فِي الدِّينِ قَائِدٌ إِلَى جَهَنَّمَ.

فَأَنْتَ بِالْهَرَبِ مِنْهُ أَحَقُّ مِنْكَ بِالْهَرَبِ مِنْ سُمِّ الْأَسَاوِدِ ^(٤) وَالْحَرِيقِ الْمَخُوفِ
وَالدِّينِ الْفَادِحِ ^(٥) وَالذَّاءِ الْعَيَاءِ ^(٦).

(١) الْوَازِعُ: مَنْ فَعَلَ وَزَعَ: وَالْوَزْعُ: كَفَّ النَّفْسَ عَنْ هَوَاهَا. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ يَزْعُ السُّلْطَانُ أَكْثَرَ
مِمَّنْ يَزْعُ الْقَرْنَ» مَعْنَاهُ أَنَّ مَنْ يَكْفُفُ عَنِ ارْتِكَابِ الْعِظَامِ مَخَافَةَ السُّلْطَانِ أَكْثَرَ مِمَّنْ تَكْفُهُ مَخَافَةَ
الْقُرْآنِ.

(٢) خَازِنٌ: مَنْ فَعَلَ خَزَنَ الشَّيْءَ وَاخْتَزَنَهُ: أَخْرَزَهُ وَجَعَلَهُ فِي خَزَانَةٍ قَلْبِهِ وَاخْتَزَنَهُ لِنَفْسِهِ. وَالْخَزَانَةُ عَمَلُ
الْخَازِنِ وَشَبَّهَ الشَّيْطَانُ بِالْوَعَاءِ الَّذِي يَجْمَعُ فِيهِ الْخَطَايَا وَالذَّنُوبَ.

(٣) أَنْصَبَكَ: مِنَ الْفِعْلِ نَصَبَ، وَنَصَبَ الرَّجُلُ: تَعَبَ وَأَغْيَا. وَفِي الْحَدِيثِ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُنْصَبُنِي
مَا أَنْصَبَهَا». أَيِ يَعْتَبِنِي مَا أَتْعَبَهَا. وَمِنْهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذِّبْيَانِي:

كَلِينِي لِهُمْ يَا أُمِّئِمَّةَ نَاصِبٍ

(٤) الْأَسَاوِدُ الْوَاحِدُ: الْأَسْوَدُ: الْعَظِيمُ مِنَ الْحَيَّاتِ وَفِيهِ سَوَادٌ. وَالْجَمْعُ أَسْوَدَاتُ وَأَسَاوِدُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ ﷺ،
حِينَ ذَكَرَ الْفِتْنَةَ: «لَتَعُوذُنَّ فِيهَا أَسَاوِدٌ صَبَّا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ».

(٥) الدِّينُ الْفَادِحُ مَنْ قَدَحَ. وَالْقَدْحُ: أَثْقَالُ الْأَمْرِ: قَدَحَهُ الدِّينُ وَالْجَمْلُ يَقْدَحُهُ قَدْحًا: أَثْقَلَهُ فَهُوَ فَادِحٌ.
وَقِيلَ: نَزَلَ بِهِ أَمْرٌ فَادِحٌ إِذَا غَالَهُ وَبَهَظَهُ.

(٦) الذَّاءُ الْعَيَاءُ: مَنْ فَعَلَ عَيَا، وَقَدْ أَغْيَاهُ الدَّاءُ: الْمَرَضُ الَّذِي لَا يُبْرِأُ مِنْهُ. وَقَوْلُ أَحَدِهِمْ: «وَدَاءٌ قَدْ =

ماذا يعمل الحازم

وكان يُقال: قاربَ عَدُوَّكَ بعضَ المُقارَبَةِ، تَنَلَّ حاجَتَكَ، ولا تُقاربُهُ كُلَّ المُقارَبَةِ، فيَجْتَرِيءَ عَلَيْكَ عَدُوَّكَ وَتَذِلَّ نَفْسُكَ وَيَرْغَبَ عَنْكَ ناصِرُكَ.

ومثل ذلك مثلُ العودِ المنصوبِ في الشمسِ، إنْ أَمَلَتْهُ قَلِيلاً زادَ ظِلُّهُ، وإنْ جاوزَتْهُ الحدَّ في إِمَالَتِهِ، نَقَصَ الظِّلُّ.

الحازِمُ لا يَأْمَنُ عَدُوَّهُ على حالٍ: إنْ كانَ بَعِيداً لم يَأْمَنُ مُغَاوَرَتَهُ^(١)، وإنْ كانَ قريباً لم يَأْمَنُ مُوَابَلَتَهُ، وإنْ كانَ مُنْكَشِفاً لم يَأْمَنِ اسْتِطْرَاقَهُ^(٢) وَكَمِينَهُ، وإنْ رَأَهُ وَحِيداً لم يَأْمَنِ مَكْرَهُ.

المَلِكُ الحازِمُ يَزْدَادُ^(٣) بِرَأْيِ الوُزَرَاءِ الحَزَمَةِ كما يَزْدَادُ البَحْرُ بمِوَادِهِ مِنَ الأنهارِ.

الظَفَرُ بالحَزْمِ، والحَزْمُ بِإِجَالَةٍ^(٤) الرَّأْيِ، والرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الأسرارِ.

فائدة المشورة

إنَّ المُسْتَشِيرَ وإنْ كانَ أَفْضَلَ مِنَ المُسْتَشَارِ رَأياً، فَهُوَ يَزْدَادُ بِرَأْيِهِ رَأياً، كما تَزْدَادُ النَّارُ بِالْوَدَكِ^(٥) ضَوْءاً.

= أَعْيَا بِالْأَطْبَاءِ نَاجِسٌ». أرادَ أَعْيَا الأَطْبَاءَ فَعَدَّاهُ بِالْحَرْفِ، إذا كانَ أَعْيَا في معنى بَرَّحَ.

(١) مُغَاوَرَتُهُ: من فعل غَوَرَ. وغاورهم مُغَاوَرَةً، وأغار على العدوِّ يُغِيرُ إغارةً ومُغَاراً، وقيل: الإغارة

المصدر، والغارة الاسم من الإغارة على العدوِّ، وتغاور القوم: أغار بعضهم على بعض.

(٢) اسْتِطْرَاقُهُ: من فعل طَرَدَ، والفارس يَسْتِطْرِدُ لِيَحْمِلَ عليه قِرْنَهُ ثم يَكُرُّ عليه. وقد اسْتِطْرَقَ له وذلك ضَرْبٌ مِنَ المَكِيدَةِ.

(٣) يزداد من فعل زاد، ويزداد يقوى حلمه، وَيَشْتَدُّ ساعده نصراً وفوراً وقوة.

(٤) إِجَالَةُ الرَّأْيِ: من فعل جَوَلَ أي جال في الحرب والكلام جَوْلَةً وَجَالاً وَاجْتَالَ: إذا ذهب وجاء

بالئين، والجَوْل: العزيمة، ويقال العقل؛ ورجل ليس له جالٌ أي ليس له عزيمة. ويقال للرجل

الذي لا تماسك له ولا حَزْم: ليس لفلان جُول.

(٥) الْوَدَكُ: الدسم المعروف. وفي حديث الأَصْحاحي: يَحْمِلُونَ منها الْوَدَكُ: وهو دَسَمُ اللحم ودُهْنُهُ =

عَلَى الْمُسْتَشَارِ مُوَافَقَةَ الْمُسْتَشِيرِ عَلَى صَوَابٍ مَا يَرَى، وَالرَّفْقُ بِهِ فِي تَبْصِيرٍ^(١)
خَطِئَ إِنْ أَتَى بِهِ، وَتَقْلِيلُ الرَّأْيِ فِيمَا شَكَّ فِيهِ، حَتَّى تَسْتَقِيمَ لَهُمَا مُشَاوَرَتُهُمَا.

الطمع

لَا يَطْمَعَنَّ ذُو الْكِبَرِ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ، وَلَا الْخُبُّ^(٢) فِي كَثَرَةِ الصَّدِيقِ، وَلَا
السَّيِّءُ الْأَدَبِ فِي الشَّرَفِ، وَلَا الشَّجِيحُ فِي الْمَحْمَدَةِ، وَلَا الْحَرِيصُ فِي الْإِخْوَانِ،
وَلَا الْمَلِكُ الْمُعْجَبُ بِثَبَاتِ الْمُلْكِ.

صرعة اللين

صَرَعَةُ اللَّيْنِ أَشَدُّ اسْتِثْصَالًا مِنْ صَرَعَةِ الْمُكَابَرَةِ^(٣).

أربعة أشياء

أَرْبَعَةُ أَشْيَاءَ لَا يُسْتَقَلُّ^(٤) مِنْهَا قَلِيلٌ: النَّارُ، وَالْمَرَضُ، وَالْعَدُوُّ، وَالذَّنْبُ.

أحق الناس بالتوقير

أَحَقُّ النَّاسِ بِالتَّوْقِيرِ الْمَلِكُ الْحَلِيمُ، الْعَالِمُ بِالْأُمُورِ وَقَرِصِ الْأَعْمَالِ.

= الذي يستخرج منه.

- (١) تبصير: من فعل بَصَرَ. وَبَصْرُهُ بِالْأَمْرِ تَبْصِيرًا: فَهَمُّهُ إِيَّاهُ.
- (٢) الْخُبُّ: من فعل خَبَبَ. وَالْخُبُّ: الْخِدَاعُ وَالْخَبْثُ وَالْفِشْ، وَرَجُلٌ مُخَابٌ مُذْغَلٌ كَانَهُ عَلَى خَابٍ. وَرَجُلٌ خَبٌ وَخَبٌّ: خِدَاعٌ مُنْكَرٌ وَفِيهِ قَالَ الشَّاعِرُ:
وَمَا أَنْتَ بِالْخَبِّ الْخَشُورِ وَلَا السَّيِّئِ
وَالْخُبُّ وَالْخَبُّ بِالْفَتْحِ وَالْكَسْرِ: الَّذِي يَسْعَى بَيْنَ النَّاسِ بِالْفَسَادِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ خَبَبَ امْرَأَةً وَمَمْلُوكًا عَلَى مُسْلِمٍ فَلَيْسَ مِنْهُ أَيَّ خَدَعَهُ وَأَفْسَدَهُ».
- (٣) الْمُكَابَرَةُ: الْإِمْتِنَاعُ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ. وَالْمَكَابَرَةُ: الْمَعَانِدَةُ وَالْمَكَابَرَةُ: مَنْ فَعَلَ كَبَرًا. وَالْكَبَرِيَاءُ: اللَّهُ الْمُتَعَالِي عَنْ صِفَاتِ الْخَلْقِ.
- (٤) يَسْتَقَلُّ مِنْ فَعَلَ قَلَّلَ، وَالْقَلُّ: خِلَافُ الْكَثَرِ، وَقَدْ قَلَّ يَقُلُّ: فَهُوَ قَلِيلٌ اسْتَقْلَلَ الشَّيْءَ وَتَقَالَهُ: رَأَاهُ قَلِيلًا.

وَمَوَاضِعِ الشَّدَّةِ وَاللَّيْنِ وَالْغَضَبِ وَالرَّضَا وَالْمُعَاجَلَةِ وَالْأَنَانَةِ، النَّظَرُ فِي أَمْرِ يَوْمِهِ وَغَدِهِ
وَعَوَاقِبِ أَعْمَالِهِ.

العاجز والحازم

السَّبَبُ الَّذِي يُذَرِّكُ بِهِ الْعَاجِزُ حَاجَتَهُ هُوَ الَّذِي يَحُولُ بَيْنَ الْحَازِمِ وَبَيْنَ
طَلِبَتِهِ^(١).

أهل العقل والكرم

إِنَّ أَهْلَ الْعَقْلِ وَالْكَرَمِ يَتَّبِعُونَ إِلَى كُلِّ مَعْرُوفٍ وَصْلَةً وَسَبِيلًا.
وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَ الْأَخْيَارِ سَرِيعٌ اتَّصَالُهَا بِطِيءٍ انْقِطَاعُهَا، وَمِثْلُ ذَلِكَ مِثْلُ كُوبِ
الذَّهَبِ الَّذِي هُوَ بِطِيءٍ الانْكِسَارِ هَيْنٌ الْإِصْلَاحِ.
وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَ الْأَشْرَارِ سَرِيعٌ انْقِطَاعُهَا بِطِيءٍ اتَّصَالُهَا، كَالْكُوزِ مِنَ الْفَخَّارِ يَكْسِرُهُ
أَذْنَى عَبَثٍ ثُمَّ لَا وَصْلَ لَهُ أَبَدًا.
وَالْكَرِيمُ يَمْنَحُ الرَّجُلَ مَوَدَّتَهُ عَنْ لُفْيَةٍ^(٢) وَاحِدَةٍ أَوْ مَعْرِفَةٍ يَوْمٍ. وَاللَّيْمُ لَا يَصِلُ
أَحَدًا إِلَّا عَنْ رَغْبَةٍ أَوْ رَهْبَةٍ.
فَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا يَتَعَاطَوْنَ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَمْرَيْنِ وَيَتَوَاطَأُونَ عَلَيْهِمَا: ذَاتُ
النَّفْسِ^(٣)، وَذَاتُ الْيَدِ.

(١) طَلِبَتِهِ: مَنْ فَعَلَ طَلَبَ وَهُوَ مِنَ الْأَضْدَادِ وَالطَّلْبَةِ بِكسر اللام: مَا طَلَبْتَهُ مِنْ شَيْءٍ وَالطَّلْبَةُ: الْحَاجَةُ،
وَأَطْلَاهُهَا: إِنْجَازُهَا. وَفِي حَدِيثِ ثِقَادَةَ الْأَسَدِيِّ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَطْلَبُ إِلَيْ طَلِبَةٍ، فَلَئِنْ أَحَبَّ
أَنْ أَطْلِبَهَا. أَيِ اقْضِيهَا لَكَ.

(٢) لُفْيَةٍ: مَنْ فَعَلَ لَفَا وَلَفَّى فَلَانَ آخَرَ لِقَاءً بِالْمَدِّ وَلُفْيًا بِالنَّشْدِيدِ الْوَاحِدَةِ لُفْيَةٍ. وَاللِّقَاءُ: نَقِيضُ
الْحِجَابِ. وَفِي الْحَدِيثِ: مَنْ «أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ».

(٣) ذَاتُ النَّفْسِ: الذَّاتُ فِي الْأَصْلِ: مَا فَطَرَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ فِكْرٍ وَرَأْيٍ وَعَقْلٍ وَمَوْعِظَةٍ
وَحِكْمَةٍ وَمَا تَكُنَّ النَّفْسُ مِنْ أَسْرَارٍ كَبِيرَةٍ. أَمَّا ذَاتُ الْيَدِ: مَا فِي حَوْذَةِ الْإِنْسَانِ مِنْ مَالٍ وَعَتَادٍ وَعَقَارٍ
وَأَوْلَادٍ وَأَمَةٍ.

فَأَمَّا الْمُتَبَادِلُونَ ذَاتَ الْيَدِ فَهُمْ الْمُتَعَاوِنُونَ الْمُسْتَمْتِعُونَ الَّذِينَ يَلْتَمِسُ بَعْضُهُمُ
الْإِنْتِفَاعَ بِبَعْضٍ مُنَاجَزَةً^(١) وَمُكَايَلَةً^(٢).

المال كل شيء

مَا التَّبَعُ وَالْأَعْوَانُ وَالصَّدِيقُ وَالْحَشَمُ^(٣) إِلَّا لِلْمَالِ . وَلَا يُظْهَرُ الْمُرُوءَةُ إِلَّا
بِالْمَالِ . وَلَا الرَّأْيُ وَلَا الْقُوَّةُ إِلَّا بِالْمَالِ .

وَمَنْ لَا إِخْوَانَ لَهُ فَلَا أَهْلَ لَهُ، وَمَنْ لَا أَوْلَادَ لَهُ فَلَا ذِكْرَ لَهُ، وَمَنْ لَا عَقْلَ لَهُ
فَلَا دُنْيَا لَهُ وَلَا آخِرَةَ، وَمَنْ لَا مَالَ لَهُ فَلَا شَيْءَ لَهُ .

الفقر مجمعة للبلايا

وَالْفَقْرُ دَاعِيَةٌ إِلَى صَاحِبِهِ مَقَتَ النَّاسِ ، وَهُوَ مَسْلَبَةٌ لِلْعَقْلِ وَالْمُرُوءَةِ، وَمَذْهَبَةٌ
لِلْعِلْمِ وَالْأَدَبِ، وَمَعْدِنٌ لِلتُّهْمَةِ، وَمَجْمَعَةٌ لِلْبَلَايَا .

وَمَنْ نَزَلَ بِهِ الْفَقْرُ وَالْفَاقَةُ لَمْ يَجِدْ بُدًّا مِنْ تَرْكِ الْحَيَاءِ، وَمَنْ ذَهَبَ حَيَاؤُهُ ذَهَبَ
سُرُورُهُ، وَمَنْ ذَهَبَ سُرُورُهُ مَقَتَ، وَمَنْ مَقَتَ أُودِي، وَمَنْ أُودِيَ حَزِنَ، وَمَنْ حَزِنَ
فَقَدَّ ذَهَبَ عَقْلُهُ وَاسْتَنْكَرَ حِفْظُهُ وَفَهْمُهُ .

وَمَنْ أُصِيبَ فِي عَقْلِهِ وَفَهْمِهِ وَحِفْظِهِ كَانَ أَكْثَرُ قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ فِيمَا يَكُونُ عَلَيْهِ لَا
لَهُ .

(١) مُنَاجَزَةٌ: مَنْ فَعَلَ نَجَزَ . وَنَجَزَتِ الْحَاجَةُ إِذَا قُضِيَتْ . وَإِنْجَازُ لَهَا: قَضَاؤُهَا، وَالْمُنَاجَزَةُ: الْمُنَافَسَةُ
لِتَلْبِيَةِ الْحَاجَاتِ وَقَضَائِهَا .

(٢) مُكَايَلَةٌ: مَنْ فَعَلَ كَيْلَ، وَالْكَيْلُ: الْبُرُّ . وَالْمُكَايَلَةُ: الْمُقَاسِمَةُ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ وَالْمَقْصُودُ الْمُكَافَأَةُ
بِالسُّوءِ وَتَرْكُ الْإِغْضَاءِ وَالْإِحْتِمَالِ أَيْ تَقُولُ لَهُ وَتَفْعَلُ مَعَهُ مِثْلَ مَا يَقُولُ لَكَ وَيفْعَلُ مَعَكَ، وَهِيَ
مِفَاعِلَةٌ مِنَ الْكَيْلِ .

(٣) الْحَشَمُ: مَنْ فَعَلَ حَشَمَ . وَحَشَمَةُ الرَّجُلِ وَحَشَمَتُهُ: خَاصَتُهُ الَّذِينَ يَغْضِبُونَ لَهُ مِنْ عِبِيدٍ أَوْ أَهْلِ أَوْ
جِيْدَةٍ إِذَا أَصَابَهُ أَمْرٌ . وَحَشَمُ الرَّجُلِ: عِيَالُهُ وَقَرَابَتُهُ وَالْحَشَمُ: خَدَمُ الرَّجُلِ . وَالْحَشَمُ وَاحِدٌ وَجَمْعٌ .
يُقَالُ هَذَا الْغُلَامُ حَشَمٌ لِي .

فإذا افْتَقَرَ الرَّجُلُ اتِّهَمَهُ مَنْ كَانَ لَهُ مُؤْتَمِنًا، وَأَسَاءَ بِهِ الظَّنُّ مَنْ كَانَ يَظُنُّ بِهِ حَسَنًا، فإذا أَذْنَبَ غَيْرُهُ ظَنُّهُ وَكَانَ لِلتَّهْمَةِ وَسْوَءُ الظَّنِّ مَوْضِعًا.

وَلَيْسَ مِنْ خَلَّةٍ ^(١) هِيَ لِلغَنِيِّ مَذْحٌ إِلَّا هِيَ لِلْفَقِيرِ عَيْبٌ، فَإِنْ كَانَ شُجَاعًا سُمِّيَ أَهْوَجَ، وَإِنْ كَانَ جَوَادًا سُمِّيَ مُفْسِدًا، وَإِنْ كَانَ حَلِيمًا سُمِّيَ ضَعِيفًا، وَإِنْ كَانَ وَقُورًا سُمِّيَ بَلِيدًا، وَإِنْ كَانَ لَسِينًا ^(٢) سُمِّيَ مَهْذَارًا، وَإِنْ كَانَ صَمُوتًا سُمِّيَ عَيْيًّا.

الموت راحة

وكان يُقَالُ: مَنْ ابْتُلِيَ بِمَرَضٍ فِي جَسَدِهِ لَا يُفَارِقُهُ، أَوْ بِفِرَاقِ الْأَجْبَةِ وَالْإِخْوَانِ، أَوْ بِالْغُرْبَةِ حَيْثُ لَا يَعْرِفُ مَبِيتًا وَلَا مَقِيلًا ^(٣) وَلَا يَرْجُو إِيَابًا، أَوْ بِفَاقَةِ تَضَطُّرِّهِ إِلَى الْمَسْأَلَةِ: فَالْحَيَاةُ لَهُ مَوْتُ، وَالْمَوْتُ لَهُ رَاحَةٌ.

البلايا في الحرص والشره

وَجَدْنَا الْبَلَايَا فِي الدُّنْيَا إِنَّمَا يَسُوقُهَا إِلَى أَهْلِهَا الْحِرْصُ وَالشَّرُّ. وَلَا يَزَالُ صَاحِبُ الدُّنْيَا يَتَقَلَّبُ فِي بَلِيَّةٍ وَتَعَبٍ، لِأَنَّهُ لَا يَزَالُ بِخَلَّةِ الْحِرْصِ وَالشَّرِّ.

ماذا قال العلماء

وَسَمِعْتُ الْعُلَمَاءَ قَالُوا: لَا عَقْلَ كَالْتَذْيِيرِ، وَلَا وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلَا حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ، وَلَا غِنَى كَالرُّضَى. وَأَحَقُّ مَا صُبِرَ عَلَيْهِ مَا لَا سَبِيلَ إِلَى تَغْيِيرِهِ.

(١) الْخَلَّةُ: الْخَصْلَةُ مِنْ فِعْلِ خَلَلَ. يُقَالُ: فِي فَلَانٍ خَلَّةٌ حَسَنَةٌ، فَكَأَنَّهُ إِنَّمَا ذَهَبَ بِالْخَلَّةِ إِلَى الْخَصْلَةِ الْحَسَنَةِ خَاصَّةً. وَقَدْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَثَلٌ بِالْحَسَنَةِ لِمَكَانِ فَضْلِهَا عَلَى السُّمِجَةِ. وَالْجَمْعُ خِلَالٌ. قِيلَ: فَلَانٌ كَرِيمٌ الْخِلَالُ.

(٢) لَسِينًا: مَنْ فِعْلُ لَسَنَ. وَرَجُلٌ لَسِينٌ: بَيِّنُ اللَّسِّ إِذَا كَانَ ذَا بَيَانٍ وَفَصَاحَةٍ وَقِيلَ: إِنَّ لِسَانَ النَّاسِ عَلَيْكَ لِحَسَنَةٍ وَحَسَنٌ أَيُّ ثَنَائِهِمْ. وَاللِّسَانُ: الثَّنَاءُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أَيُّ اجْعَلْ لِي ثَنَاءً حَسَنًا بَاقِيًا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

(٣) مَقِيلًا: مَنْ فِعْلُ قَيْلَ. وَالْمَقِيلُ: الْإِسْتِرَاحَةُ نِصْفُ النَّهَارِ إِذَا اشْتَدَّ الْحَرُّ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَعَ ذَلِكَ نَوْمٌ، وَالِدَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ الْجَنَّةَ لَا نَوْمَ فِيهَا. وَرَوَى فِي الْحَدِيثِ: «قِيلُوا، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا تَقِيلُ».

وَأَفْضَلُ الْبِرِّ الرَّحْمَةُ، وَرَأْسُ الْمَوَدَّةِ الْاِسْتِرْسَالُ^(١)، وَرَأْسُ الْعَقْلِ الْمَعْرِفَةُ بِمَا يَكُونُ
وما لا يكون، وَطِيبُ النَّفْسِ حُسْنُ الْاِنْصِرَافِ عَمَّا لَا سَبِيلَ إِلَيْهِ. وَلَيْسَ مِنَ الدُّنْيَا
سُرُورٌ يَغْدِلُ صُحْبَةَ الْإِخْوَانِ، وَلَا فِيهَا غَمٌّ يَغْدِلُ غَمَّ فَقْدِهِمْ.

تمام حسن الكلام

لَا يَتِمُّ حُسْنُ الْكَلَامِ إِلَّا بِحُسْنِ الْعَمَلِ، كَالْمَرِيضِ الَّذِي قَدْ عَلِمَ دَوَاءَ
نَفْسِهِ، فَإِذَا هُوَ لَمْ يَتَدَاوِ بِهِ لَمْ يُغْنِهِ عِلْمُهُ.

صاحب المروءة

الرَّجُلُ ذُو الْمُرُوءَةِ قَدْ يُكْرَمُ عَلَى غَيْرِ مَالٍ، كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وَإِنْ كَانَ
عَقِيرًا^(٢).

وَالرَّجُلُ الَّذِي لَا مُرُوءَةَ لَهُ يُهَانَ وَإِنْ كَثُرَ مَالُهُ، كَالْكَلْبِ الَّذِي يَهُونُ عَلَى
النَّاسِ وَإِنْ هُوَ طَوَّقَ وَخُلِجِلَ.

تعاهد نفسك

لِيَحْسُنَ تَعَاهُدُكَ نَفْسُكَ بِمَا تَكُونُ بِهِ لِلْخَيْرِ أَهْلًا. فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ، أَتَاكَ
الْخَيْرُ يَطْلُبُكَ، كَمَا يَطْلُبُ الْمَاءُ السَّيْلَ إِلَى الْحُدُورَةِ^(٣).

(١) الاسترسال من فعل رسل. أعطى في رسلها: أعطى بطيب نفس منه. وقيل: الرسل: والرسل: الرفق والتؤدة.

(٢) عقير: من فعل عقر: قطع. والمقصود هنا: المنحور، العقير والعقيرة: الرجل الشريف يُقْتَلُ. وقيل: ما رأيت كاليوم عقيرة وسط قوم؛ للرجل الشريف يُقْتَلُ، وعقر النخلة عقرًا: قطع رأسها فيبيت.

(٣) الحدور: من فعل حدر وأنحدر. وهو اسم مقدار الماء في انحدار صبيه وكذلك الحدور في سفح الجبل، وكل موضع مُنحدر.

أشياء غير ثابتة

وَقِيلَ فِي أَشْيَاءَ لَيْسَ لَهَا ثَبَاتٌ وَلَا بَقَاءٌ: ظِلُّ الْعَمَامِ، وَخُلَّةٌ^(١) الْأَشْرَارِ، وَعِشْقُ النِّسَاءِ، وَالنَّبَأُ الْكَاذِبُ، وَالْمَالُ الْكَثِيرُ.

وَلَيْسَ يَفْرُحُ الْعَاقِلُ بِالْمَالِ الْكَثِيرِ، وَلَا يُحْزِنُهُ قَلَّتُهُ. وَلَكِنَّ مَالَهُ عَقْلُهُ وَمَا قَدَّمَ مِنْ صَالِحٍ عَمَلِهِ.

أولى الناس

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِفَضْلِ السَّرُورِ وَكَرَمِ الْعَيْشِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ مَنْ لَا يَبْرَحُ رَحْلَهُ^(٢) مِنْ إِخْوَانِهِ وَأَصْدِقَائِهِ مِنَ الصَّالِحِينَ مَوْطُوءاً وَلَا يَزَالُ عِنْدَهُ مِنْهُمْ زَحَامٌ، وَيَسْرُرُهُمْ وَيَسْرُونَهُ وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَاتِهِمْ وَأُمُورِهِمْ، فَإِنَّ الْكَرِيمَ إِذَا عَشَرَ لَمْ يَسْتَقِلْ إِلَّا بِالْكَرَامِ، كَالْفِيلِ إِذَا وَجَلَ لَمْ يَسْتَخْرِجْهُ إِلَّا الْفَيْلَةَ.

شراء العظيم بالصغير

لَا يَرَى الْعَاقِلُ مَعْرُوفاً صَنَعَهُ، وَإِنْ كَانَ كَثِيراً. وَلَوْ خَاطَرَ بِنَفْسِهِ وَعَرَضَهَا فِي وَجُوهِ الْمَعْرُوفِ، لَمْ يَرِ ذَلِكَ عَيْباً. بَلْ يَعْلَمُ أَنَّهَا أَخْطَرُ الْفَانِي بِالْبَاقِي، وَاشْتَرَى الْعَظِيمَ بِالصَّغِيرِ.

وَأَغْبَطَ النَّاسَ عِنْدَ ذَوِي الْعَقْلِ أَكْثَرُهُمْ سَائِلاً مُنْجِحاً^(٣)، وَمُسْتَجِيراً آمِناً.

(١) الْخُلَّةُ: مَنْ فَعَلَ خَلَلَ. وَالْخُلَّةُ: الصَّدَاقَةُ. وَالْخُلَّةُ: الْوُدُّ وَالصَّدِيقُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَكَرِيمُ الْخُلَّةِ وَالْخُلَّةُ كِلَاهُمَا بِالْكَسْرِ أَيْ كَرِيمُ الْمُصَادَقَةِ وَالْمُؤَادَّةِ وَالْإِخَاءِ وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنِّي أَبْرَأُ إِلَى كُلِّ ذِي خُلَّةٍ مِنْ خُلَّةٍ». وَالْخُلَّةُ بِالضَّمِّ: الصَّدَاقَةُ وَالْمَحَبَّةُ الَّتِي تَخَلَّلَتْ الْقَلْبَ فَصَارَتْ خِلَالَهُ أَيْ فِي بَاطِنِهِ.

(٢) رَحْلُهُ: مَنْ فَعَلَ رَحَلَ. الرُّحْلُ: مَنْزِلُ الْإِنْسَانِ وَمَسْكَنُهُ وَبَيْتُهُ. وَيُقَالُ: دَخَلَ عَلَى الرَّجُلِ رَحْلُهُ: أَيْ مَنْزِلُهُ. وَاتَّهَيْنَا إِلَى رِحَالِنَا: مَنْزِلُنَا. وَفِي الْحَدِيثِ: «إِذَا ابْتَلَّتِ النَّعَالُ فَالْصَّلَاةُ فِي الرِّحَالِ»: فِي الرِّحَالِ يَعْنِي الدُّورَ.

(٣) مُنْجِحاً: مَنْ فَعَلَ نَجَحَ. وَالنَّجْحُ: الظَّفَرُ بِالشَّيْءِ. وَفِي خُطْبَةِ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَأَنْجَحَ إِذْ أَكْدَيْتُمْ» وَرَجُلٌ نَجِيحٌ: مُنْجِحُ الْحَاجَاتِ، وَرَأْيٌ نَجِيحٌ: صَوَابٌ وَهُوَ الْمَقْصُودُ.

المشاركة في المال

لَا تَعُدَّ غَنِيًّا مَنْ لَمْ يُشَارِكْ فِي مَالِهِ، وَلَا تَعُدَّ نَعِيمًا مَا كَانَ فِيهِ تَنْغِيصٌ وَسُوءُ ثَنَاءٍ، وَلَا تَعُدَّ الْغَنَمَ غَنَمًا إِذَا سَاقَ غُرْمًا^(١) وَلَا الْغُرْمَ غُرْمًا إِذَا سَاقَ غَنَمًا، وَلَا تَعُدَّ مِنَ الْحَيَاةِ مَا كَانَ فِي فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ.

المعونة على تسليية الهموم

وَمِنْ الْمَعُونَةِ عَلَى تَسْلِيَةِ الْهَمُومِ وَسُكُونِ النَّفْسِ لِقَاءُ الْأَخِ أَخَاهُ، وَإِقْضَاءُ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى صَاحِبِهِ بِبَشَةٍ^(٢).

وَإِذَا فُرِّقَ بَيْنَ الْأَلْيَفِ وَالْيَفِ فَقَدْ سُلِبَ قَرَارُهُ^(٣) وَحُرِمَ سُورُهُ.

من بلاء إلى بلاء

وَقَلَّ مَا تَرَانَا نُخَلِّفُ^(٤) عَقَبَةً مِنَ الْبَلَاءِ إِلَّا صِرْنَا فِي أُخْرَى.

تقلب الأحوال وتعاقبها

لَقَدْ صَدَقَ الْقَائِلُ الَّذِي يَقُولُ: لَا يَزَالُ الرَّجُلُ مُسْتَمِرًّا مَا لَمْ يَعْثُرْ، فَإِذَا عَثَرَ مَرَّةً وَاحِدَةً فِي أَرْضِ الْخَبَارِ^(٥) لَجَّ بِهِ الْعِشَارُ، وَإِنْ مَشَى فِي جَدَدٍ^(٦) لَأَنَّ هَذَا الْإِنْسَانَ

(١) غُرْمًا: من فعل غَرِمَ. وَالْغُرْمُ: الدَّيْنُ. وَرَجُلٌ غَارِمٌ: عَلَيْهِ دَيْنٌ. وَفِي الْحَدِيثِ: الرَّهْنُ لِمَنْ رَهَنَهُ لَهُ غُثْمُهُ وَعَلَيْهِ غُرْمُهُ أَيُّ عَلَيْهِ أَدَاءٌ مَا رَهَنَ بِهِ وَفَكَاهُ وَالْغَرِيمُ: الَّذِي لَهُ الدَّيْنُ وَالَّذِي عَلَيْهِ الدَّيْنُ جَمِيعًا وَالْجَمْعُ غُرْمَاءُ.

(٢) بَشَةٍ: مِنْ فَعَلَ بَشَ. وَالبَشُ: الْحُزْنُ وَالْغَمُّ الَّذِي تُقْضِي بِهِ إِلَى صَاحِبِك. وَأَبْنَةُ الْحَدِيثِ: أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ.

(٣) قَرَارُهُ: مِنْ فَعَلَ قَرَر. وَقَرَرٌ: سَكَنَ وَثَبَت. وَفِي الْحَدِيثِ: أُقِرَّتِ الصَّلَاةُ بِالْبَرِّ وَالزَّكَاةِ. أَيِ اسْتَقَرَّتْ مَعَهُمَا وَقَرِنَتْ بِهِمَا. وَتَقْرِيرُ الْإِنْسَانِ بِالشَّيْءِ: جَعَلَهُ فِي قَرَارِهِ.

(٤) الْخَلْفُ مِنْ فَعَلَ خَلَفَ. وَخَلَفَهُ: صَارَ خَلْفَهُ وَالْخَلْفُ بِالْتَحْرِيكِ وَالْخَلْفُ بِالسُّكُونِ: كُلٌّ مِنْ يَجِيءُ بَعْدَ مَنْ مَضَى، إِلَّا أَنَّهُ بِالْتَحْرِيكِ فِي الْخَيْرِ، وَبِالْتَّسْكِينِ فِي الشَّرِّ، وَخَلَفَ: تَرَكَهُ خَلْفَهُ.

(٥) الْخَبَارُ مِنَ الْفِعْلِ خَبَرَ. وَالْخَبَارُ مِنَ الْأَرْضِ: مَا لَانَ وَاسْتَرْخَى وَكَانَتْ فِيهِ جِجْرَةٌ. وَالْخَبَارُ: الْجَرَاثِيمُ وَجِجْرَةُ الْجُرْدَانِ، وَاحْدَتُهُ خَبَارَةٌ وَفِي الْمَثَلِ: مَنْ تَحَبَّبَ الْخَبَارَ أَمِنَ الْعِشَارَ. وَالْخَبَارُ: أَرْضٌ رِخْوَةٌ تَتَعَنَّقُ فِيهِ الدُّوَابُّ.

(٦) فِي جَدَدٍ: مِنْ فَعَلَ جَدَدَ. وَالْجَدُّ الْعِظْمَةُ، وَالْجَدُّ: الْحِظُّ وَالسَّعَادَةُ وَالْغِنَى وَجَدِدْتُ بِالْأَمْرِ جَدًّا:

مَوَكَّلٌ بِهِ الْبَلَاءُ، فَلَا يَزَالُ فِي تَصَرُّفٍ وَفِي تَقَلُّبٍ لَا يَدُومُ لَهُ شَيْءٌ وَلَا يَثْبُتُ مَعَهُ،
كَمَا لَا يَدُومُ لِطَالِعِ النُّجُومِ طُلُوعُهُ وَلَا لِأَفِلِّهَا أَفُولُهُ. وَلَكِنَّهَا فِي تَقَلُّبٍ وَتَعَاقُبٍ: فَلَا
يَزَالُ الطَّالِعُ يَكُونُ أَفِلًّا، وَالْأَفِلُّ طَالِعًا.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الأدب الكبير

قال عَبْدُ اللَّهِ بنِ الْمُقَفَّعِ :

إِنَّا وَجَدْنَا النَّاسَ قَبْلَنَا كَانُوا أَعْظَمَ أَجْسَامًا، وَأَوْفَرَ مَعَ أَجْسَامِهِمْ أَحْلَامًا^(١)،
وَأَشَدَّ قُوَّةً، وَأَحْسَنَ بِقُوَّتِهِمْ لِلْأُمُورِ إِتْقَانًا، وَأَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَفْضَلَ بِأَعْمَارِهِمْ لِلْأَشْيَاءِ
اِخْتِبَارًا.

فَكَانَ صَاحِبُ الدِّينِ مِنْهُمْ أَبْلَغَ فِي أَمْرِ الدِّينِ عِلْمًا وَعَمَلًا مِنْ صَاحِبِ الدِّينِ
مِنَّا، وَكَانَ صَاحِبُ الدُّنْيَا عَلَى مِثْلِ ذَلِكَ مِنَ الْبَلَاغَةِ وَالْفَضْلِ.

وَوَجَدْنَاهُمْ لَمْ يَرْضَوْا بِمَا فَازُوا بِهِ مِنَ الْفَضْلِ الَّذِي قُسِمَ لَأَنْفُسِهِمْ حَتَّى
أَشْرَكُونَا مَعَهُمْ فِي مَا أَدْرَكُوا مِنْ عِلْمِ الْأُولَى وَالْآخِرَةِ فَكَتَبُوا بِهِ الْكُتُبَ الْبَاقِيَةَ،
وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ الشَّافِيَةَ، وَكَفَّوْنَا بِهِ مَوْزَنَةً^(٢) التَّجَارِبِ وَالْفِطَنِ.

وَبَلَغَ مِنْ اهْتِمَامِهِمْ بِذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يُفْتَحُ لَهُ الْبَابُ مِنَ الْعِلْمِ، أَوْ
الْكَلِمَةُ مِنَ الصَّوَابِ وَهُوَ فِي الْبَلَدِ غَيْرِ الْمَأْهُولِ فَيَكْتُبُهُ عَلَى الصَّخُورِ مُبَادَرَةً
لِلْأَجْلِ^(٣) وَكَرَاهِيَةً مِنْهُ أَنْ يَسْقُطَ^(٤) ذَلِكَ عَمَّنْ بَعْدَهُ.

(١) أحلاماً: من فعل حَلِمَ، والجَلْمُ: الأناة والعقل. وجمعه أَحْلَامٌ وحُلُومٌ. ومنه قوله عز وجل: ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَذَا﴾. وفي حديث النبي ﷺ: «لَيْلِيْنِي مِنْكُمْ أَوْلُو الْأَحْلَامِ وَالنَّهْيِ»، أي ذُوو الْأَلْبَابِ والعقول.

(٢) موزنة من فعل مَانَ. والموزونة مَفْعُلة من الأَيْن وهو التعب والشدة. ويقال: هي مَفْعُلة من الأَوْن وهو الخُرْجُ والعِذْلُ لانه يُقْلَلُ على الإنسان.

(٣) الأجل: مُدَّةُ الشَّيْءِ، وغاية الوقت في الموت. والجمع آجال. والتأجيل: تحديد الأجل. وفي التنزيل: ﴿كُتِبَ مُوَجِّلاً﴾. وأَجَلَ الشَّيْءُ يُأْجَلُ: تأخر، وهو نقيض العاجل.

(٤) يسقط من فعل سَقَطَ والسَّقَطَةُ: الوقعة الشديدة. وكره أن يسقط على معنى الفوت والضياع على =

فَكَانَ صَنِيعُهُمْ فِي ذَلِكَ صَنِيعَ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ عَلَى وَلَدِهِ^(١)، الرَّحِيمِ الْبَرِّ بِهِمْ،
الَّذِي يَجْمَعُ لَهُمُ الْأَمْوَالَ وَالْعَقْدَ^(٢) إِرَادَةً أَلَّا تَكُونَ عَلَيْهِمْ مَوْثَنَةٌ فِي الطَّلَبِ، وَخَشْيَةِ
عَجْزِهِمْ، إِنْ هُمْ طَلَبُوا.

فَمُنْتَهَى عِلْمِ عَالِمِنَا فِي هَذَا الزَّمَانِ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ عِلْمِهِمْ، وَغَايَةُ إِحْسَانِ
مُحْسِنِنَا أَنْ يَقْتَدِيَ بِسِيرَتِهِمْ.

وَأَحْسَنُ مَا يُصِيبُ مِنَ الْحَدِيثِ مُحَدَّثُنَا أَنْ يَنْظُرَ فِي كُتُبِهِمْ فَيَكُونَ كَأَنَّهُ إِيَّاهُمْ
يُحَاورُ^(٣)، وَمِنْهُمْ يَسْتَمِعُ، وَأَثَارُهُمْ يَتَّبِعُ.

غَيْرَ أَنَّ الَّذِي نَجِدُ فِي كُتُبِهِمْ هُوَ الْمُتَخَلُّ^(٤) مِنْ آرَائِهِمْ وَالْمُنْتَقَى^(٥) مِنْ
أَحَادِيثِهِمْ.

وَلَمْ نَجِدْهُمْ غَادِرُوا شَيْئاً يَجْدُ وَاصِفٌ بَلِغٌ فِي صِفَةٍ لَهُ مَقَالاً لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ:
لَا فِي تَعْظِيمِ اللَّهِ، عَزَّ وَجَلَّ، وَتَرْغِيبِ فِيمَا عِنْدَهُ، وَلَا فِي تَصْغِيرِ الدُّنْيَا وَتَرْهِيدِ
فِيهَا، وَلَا فِي تَحْرِيرِ صُنُوفِ الْعِلْمِ وَتَقْسِيمِ أَقْسَامِهَا وَتَجْزِئَةِ أَجْزَائِهَا وَتَوْضِيحِ سُبُلِهَا
وَتَبْيِينَ مَا أَخَذَهَا، وَلَا فِي وَجْهِهِ مِنْ وَجْهِهِ الْأَدَبِ وَضُرُوبِ^(٦) الْأَخْلَاقِ.

= الاستعارة.

(١) وَلَدُهُ: مِنَ الْفِعْلِ وَلَدَ. الْوَلَدُ: اسْمُ يَجْمَعُ الْوَاحِدَ وَالْكَثِيرَ الْمَذْكَرَ وَالْمُؤنَّثَ، وَالْوَلَدُ وَالْوُلْدُ بِالضَّمِّ:
مَا وَلَدَ أَيُّاً كَانَ. وَوَلَدَهُ: رَهْطُهُ فِي الْمَعْنَى وَهُوَ الْمَقْصُودُ.

(٢) الْعَقْدُ: مِنَ فِعْلِ عَقَدَ وَالْعَقْدُ: الْوَلَايَاتُ وَالْأَمْصَارُ. قِيلَ: هَلَكَ أَهْلُ الْعَقْدِ. وَقِيلَ: هُوَ مَنْ عَقَدَ
الْوَلَايَةَ لِلْأَمْرَاءِ. وَالْعَقْلُ: الْعَقَارُ مِنَ الْأَرْضِ وَالْدِيَارِ وَالضُّيْعِ وَالْقَرْىَ وَهِيَ مَا اعْتَقَلَهُ صَاحِبُهَا مَلَكَتِهَا
لَهُ.

(٣) يَحَاورُ: مِنَ فِعْلِ حَوَّرَ، وَالْحَوِيرُ: يَقَالُ سَمِعْتُ حَوِيرَهُمَا وَجَوَّارَهُمَا وَالْمَحَاوَرَةُ: الْمَجَاوَبَةُ. وَقِيلَ:
مِرَاجَعَةُ الْكَلَامِ وَالْمَنْطِقُ فِي الْمَخَاطَبَةِ.

(٤) الْمُتَخَلُّ: مِنَ الْفِعْلِ نَخَلَ، وَاتَّخَلَّتِ الشَّيْءُ: تَخَيَّرْتُهُ. وَنَخَلَ الشَّيْءُ وَاتَّخَلَّهُ: صَفَّاهُ وَاخْتَارَهُ.
وَالِاتَّخَالَ: الْإِخْتِيَارُ الْأَفْضَلُ.

(٥) الْمُنْتَقَى مِنْ فِعْلِ نَقَى الشَّيْءُ: وَانْتَقَاهُ: اخْتَارَهُ.

(٦) ضُرُوبُ الْأَخْلَاقِ: مِنَ الْفِعْلِ ضَرَبَ. وَالضَّرْبُ: الشَّكْلُ. يَقَالُ: عِنْدِي مِنْ هَذَا الضَّرْبِ شَيْءٌ كَثِيرٌ
أَيُّ مِنْ هَذَا النُّوعِ، وَالْمِثَالُ، وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ عَلَى ضَرْبِ وَاحِدٍ أَيْ عَلَى أَنْوَاعٍ وَصُنُوفٍ وَمِثَالٍ وَاحِدٍ. =

فَلَمْ يَبْقَ فِي جَلِيلِ الْأَمْرِ وَلَا صَغِيرِهِ لِقَائِلٍ بَعْدَهُمْ مَقَالَ.

وَقَدْ بَقِيََتْ أَشْيَاءٌ مِنْ لَطَائِفِ الْأُمُورِ^(١) فِيهَا مَوَاضِعُ لِصِغَارِ الْفِطَنِ، مُشْتَقَّةٌ مِنْ جِسَامِ حِكْمِ الْأَوَّلِينَ وَقَوْلِهِمْ، فَمِنْ ذَلِكَ بَعْضُ مَا أَنَا كَاتِبٌ فِي كِتَابِي هَذَا مِنْ أَبْوَابِ الْأَدَبِ الَّتِي يَحْتَاجُ إِلَيْهَا النَّاسُ.

يا طالب الأدب

يا طَالِبَ الْأَدَبِ إِنْ كُنْتَ نَوَّعَ الْعِلْمِ تُرِيدُ فَاعْرِفِ الْأُصُولَ وَالْفُصُولَ^(٢). فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ يَطْلُبُونَ الْفُصُولَ مَعَ إِضَاعَةِ الْأُصُولِ فَلَا يَكُونُ دَرَكُهُمْ^(٣) دَرَكًا. وَمَنْ أَحْرَزَ الْأُصُولَ اكْتَفَى بِهَا عَنِ الْفُصُولِ. وَإِنْ أَصَابَ الْفَصْلَ بَعْدَ إِحْرَازِ الْأَصْلِ فَهُوَ أَفْضَلُ.

فَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي الدِّينِ أَنْ تَعْتَقِدَ الْإِيمَانَ عَلَى الصَّوَابِ، وَتَجْتَنِبَ الْكِبَائِرَ^(٤)، وَتُؤَدِّيَ الْفَرِيضَةَ. فَالزَّمْ ذَلِكَ لِرُومٍ مَنْ لَا غَنَى لَهُ عَنْهُ طَرَفَةٌ عَيْنٍ، وَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ إِنْ حُرِمَهُ هَلَكَ. ثُمَّ إِنْ قَدَّرْتَ عَلَى أَنْ تُجَاوِزَ ذَلِكَ إِلَى التَّفَقُّهِ^(٥) فِي الدِّينِ وَالْعِبَادَةِ فَهُوَ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ.

= والجمع أَضْرَبُ وَضُرُوبٌ.

(١) لطائف الأمور: من فعل لطف. واللَّطِيفُ: الرفيق والخير ولُطِفَ بالضم يَلُطِفُ معناه صَغُرَ وَدَقَ فهو لَطِيفٌ. واللُّطْفُ في الأعمال: الرِّقُّ فيها. وَلُطِفَ الشَّيْءُ يَلُطِفُ: صَغُرَ.

(٢) الأصول من فعل أَصَلَ. وَأَصَلَ الشَّيْءُ: صَارَ ذَا أَصْلٍ. وَالْأَصْلُ: أَشْفَلُ كُلِّ شَيْءٍ وَجَمْعُهُ أَصُولٌ لَا يُكْسَرُ وَقَصْدُ هُنَا الْأَدِيبِ بِالْأُصُولِ الْقَوَانِينِ وَالْأَسْسَ وَالْقَوَاعِدَ الَّتِي يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا أَيُّ عِلْمٍ مِنَ الْعُلُومِ. أَمَّا الْفُصُولُ مِنْ فَعَلَ فَصَلَ. وَالْفَصْلُ: الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ وَالْفُصُولُ مَقْصُودٌ بِهَا الْفُرُوعُ الَّتِي انْفَصَلَتْ وَانْقَطَعَتْ عَنِ الْأُصُولِ.

(٣) دَرَكُهُمْ: مِنْ دَرَكَ. وَالِدَّرَكُ: التَّابِعُ وَالْحَاقُّ وَالْوَصُولُ إِلَى أَقْصَى الشَّيْءِ. وَالْإِدْرَاكُ: اللَّحُوقُ. وَالِدَّرَكُ: اللَّحَقُّ مِنَ التَّابِعَةِ، وَمِنْهُ فِي الْحَدِيثِ: «أَعُوذُ بِكَ مِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ».

(٤) الْكِبَائِرُ: مَنْ فَعَلَ كَبُرَ أَيْ عَظُمَ. وَالْكِبَرُ: الْإِثْمُ الْكَبِيرُ وَمَا وَعَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالنَّارِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كِبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشِ﴾. وَالْكِبَائِرُ وَاحِدَتُهَا كَبِيرَةٌ، وَهِيَ الْفَعْلَةُ الْقَبِيحَةُ مِنَ الذُّنُوبِ الْمَنْهِيَّةِ عَنْهَا شَرْعًا الْعَظِيمِ أَمْرًا كَالْقَتْلِ وَغَيْرِهِ.

(٥) التَّفَقُّهُ مِنَ الْفِقْهِ: الْعِلْمُ بِالشَّيْءِ وَالْفَهْمُ لَهُ وَغَلَبَ عَلَى عِلْمِ الدِّينِ وَجَعَلَهُ الْعُرْفُ خَاصًّا بِعِلْمِ الشَّرِيعَةِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ﴾ أَيُّ لِيَكُونُوا عُلَمَاءَ بِهِ. وَفَقَهُ الشَّيْءُ: عَلِمَهُ.

وَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي صَلَاحِ الْجَسَدِ أَلَّا تَحْمِلَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَأْكَلِ وَالْمَشَارِبِ
وَالْبَاهِ (١) إِلَّا خُفَافاً (٢)، ثُمَّ إِنَّ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَ جَمِيعَ مَنَافِعِ الْجَسَدِ وَمَضَارِّهِ
وَالْإِنْفَاعَ بِذَلِكَ كُلِّهِ فَهُوَ أَفْضَلُ.

وَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي الْبَاسِ وَالشَّجَاعَةِ أَلَّا تُحَدِّثَ نَفْسَكَ بِالْإِدْبَارِ (٣)، وَأَصْحَابُكَ
مُقْبِلُونَ عَلَى عَدُوِّهِمْ. ثُمَّ إِنَّ قَدَرْتَ عَلَى أَنْ تَكُونَ أَوَّلَ حَامِلٍ وَآخِرَ مُنْصَرِفٍ، مِنْ
غَيْرِ تَضْيِيعٍ لِلْجَذْرِ، فَهُوَ أَفْضَلُ.

وَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي الْجُودِ أَلَّا تَضِنَّ بِالْحُقُوقِ عَلَى أَهْلِهَا. ثُمَّ إِنَّ قَدَرْتَ أَنْ تَزِيدَ
ذَا الْحَقِّ عَلَى حَقِّهِ وَتَطُولَ (٤) عَلَى مَنْ لَا حَقَّ لَهُ فَافْعَلْ فَهُوَ أَفْضَلُ.

وَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي الْكَلَامِ أَنْ تَسْلَمَ مِنَ السَّقَطِ (٥) بِالتَّحْفِظِ. ثُمَّ إِنَّ قَدَرْتَ عَلَى
بَارِعِ الصَّوَابِ فَهُوَ أَفْضَلُ.

وَأَصْلُ الْأَمْرِ فِي الْمَعِيشَةِ أَلَّا تَبَيَّ (٦) عَنْ طَلَبِ الْحَلَالِ، وَأَنْ تُحَسِّنَ التَّقْدِيرَ (٧)

(١) الباءُ والباءَةُ النكاح. والباء مثل البساءة، وهو الجماع. ومنه الحديث: من استطاع منكم البساءة
فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء. أراد من استطاع منكم أن يتزوج، قيل:
الباء والباءة والباء، مقولاتٌ كلها فجعل الهاء أصلية في الباء.

(٢) الخُفَافُ: من فعل خَفَف. والخِفَّةُ والخِفَّةُ: ضد الثَّقَلِ والرُّجُوعِ يكون في الجسم والعقل والعمل
فهو خُفَافٌ بالضم وخفيف والمقصود هنا الخُفَاف في التَّوَضُّعِ والذكاء وجمعها خِيفَاتٌ ومنه قوله
تعالى: ﴿اتَّقُوا خُفَافًا وَثِقَالًا﴾ بمعنى مُوسِرِينَ أو مُعْسِرِينَ.

(٣) الإِدْبَارُ من فعل دَبَّرَ. ودَبَّرَ الشَّيْءَ: ذهب به. ودَبَّرَ الرَّجُلُ: ولى ومنه قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلُ إِذَا أَذْبَرَ﴾
أي تبع النهار قبله وقيل أَذْبَرَ النهار وهما بمعنى واحد: أَبْعَدَ. وأَمْسَى الدَّابُّرُ: الذاهب.

(٤) تَطُولُ: من فعل طَوَّلَ. والطَّوْلُ: الغنى، والطَّوْلُ: الفضل، يقال: لفلان على فلان طَوْلٌ أي
فَضْلٌ. ويقال: إِنَّهُ لَيَطَّوِّلُ عَلَى النَّاسِ بِفَضْلِهِ وَخَيْرِهِ وَالطَّوْلُ بِالْفَتْحِ: المَنَ، يقال منه: طَالَ عَلَيْهِ
وَتَطَوَّلَ عَلَيْهِ إِذَا امْتَنَّنَ عَلَيْهِ يَقَالُ تَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الرَّبُّ بِفَضْلِهِ أَيْ تَطَوَّلَ.

(٥) السَّقَطُ: من فعل سَقَطَ. والسَّقَطُ والسَّقَاطُ: الخطأ في القول والحساب والكتاب. وفي حديث
النار: «مَالِي لَا يَدْخُلُنِي إِلَّا ضَعْفَاءُ النَّاسِ وَسَقَطُهُمْ»، أي أَرَادَ لَهُمْ وَأَدْوَانُهُمْ.

(٦) تَبَيَّ من فعل وَبَيَّ. والوَبَا: الفَقْرَةُ من الأعمال والأمور. والتَّوَاتِي والوَبَا: ضعف البدن وقيل: الوَبَا:
التعب. والفَقْرَةُ: ضِدُّ يَمَدٍّ. والوَبَا: الكَلَالُ والإغْيَاء والضعف.

(٧) التَّقْدِيرُ لما تفيد. التقدير في فعل قدر. والقدر: أن يوافق الشيء، الشيء في تسوية أمر وتهيته =

لما تُفِيدُ وما تُنْفِقُ. وَلَا يُغْنِيكَ مِنْ ذَلِكَ سَعَةٌ تَكُونُ فِيهَا. فَإِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ فِي الدُّنْيَا خَطَرًا^(١). أَحْوَجُهُمْ إِلَى التَّقْدِيرِ، وَالْمُلُوكُ أَحْوَجُ إِلَيْهِ مِنَ السُّوقَةِ^(٢) لِأَنَّ السُّوقَةَ قَدْ تَعِيشُ بِغَيْرِ مَالٍ، وَالْمُلُوكُ لَا قِيَامَ^(٣) لَهُمْ إِلَّا بِالْمَالِ. ثُمَّ إِنَّ قَدَرْتَ عَلَى الرَّفَقِ وَاللَّطْفِ فِي الطَّلَبِ وَالْعِلْمِ بِوُجُوهِ الْمَطَالِبِ فَهُوَ أَفْضَلُ.

وَأَنَا وَإِعْظُكَ فِي أَشْيَاءَ مِنَ الْأَخْلَاقِ اللَّطِيفَةِ وَالْأُمُورِ الْغَامِضَةِ الَّتِي لَوْ حَنَكْتُكَ^(٤) سِنَّ كُنْتَ خَلِيقًا أَنْ تَعْلَمَهَا، وَإِنْ لَمْ تُخْبِرْ عَنْهَا. وَلَكِنِّي قَدْ أَحْبَبْتُ أَنْ أَقْدِمَ إِلَيْكَ فِيهَا قَوْلًا لِتَرَوْضَ^(٥) نَفْسَكَ عَلَى مُحَاسِنِهَا قَبْلَ أَنْ تَجْرِيَ عَلَى عَادَةِ مَسَاوِئِهَا. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ قَدْ تَبَدَّرَ إِلَيْهِ^(٦) فِي شَبِيبَتِهِ الْمَسَاوِيءُ، وَقَدْ يَغْلِبُ عَلَيْهِ مَا بَدَرَ إِلَيْهِ مِنْهَا لِلْعَادَةِ. وَإِنْ لَتَرَكِ الْعَادَةُ مَوْنَةً شَدِيدَةً وَرِيَاضَةً صَعْبَةً.

= حتى تستفيد وتنفق.

(١) خطراً: من فعل خَطَرَ. وَالْخَطَرُ: ارتفاع القَدَرِ والمَالِ والشرف. ويقال: إِنَّهُ لَرَفِيعُ الْخَطَرِ وَلِثِمِهِ. ويقال: إِنَّهُ لِعَظِيمُ الْخَطَرِ فِي حَسَنِ فِعَالِهِ وَشَرَفِهِ. وَخَطَرَ الرَّجُلُ: قَدَرَهُ وَمَنْزَلَتَهُ وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الرِّفْقَةَ، وَجَمَعَهُ أَخْطَارًا.

(٢) السُّوقَةُ من فعل سَوَّقَ. وَالسُّوقَةُ: بِمَنْزِلَةِ الرِّعْيَةِ الَّتِي تُسَوِّسُهَا الْمُلُوكُ سُمُّوا سُوقَةً لِأَنَّ الْمُلُوكَ يَسُوقُونَهُمْ فَيَسَاقُونَ لَهُمْ. يَقَالُ لِلوَاحِدِ سُوقَةً وَلِلْجَمَاعَةِ سُوقَةٌ. وَالسُّوقَةُ مِنَ النَّاسِ: الرِّعْيَةُ وَمَنْ دُونَ الْمَلِكِ، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ ذَا سُلْطَانٍ الذِّكْرُ وَالْأُنْثَى عَلَى السَّوَاءِ.

(٣) الْمُلُوكُ لَا قِيَامَ لَهُمْ: الْقِيَامُ مِنْ فِعْلِ قَامَ، وَالْقِيَامُ: الْعَدْلُ وَقَوْمٌ ذَرَاهُ: أَزَلْ عَوَجَهُ. وَقِيَامُ الْأَمْرِ: نِظَامُهُ وَعِمَادُهُ. وَقِيلَ: هَذَا قِيَامُ الْأَمْرِ وَمِثْلُهُ الَّذِي يَقُومُ بِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ أَيِ الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا يُقِيمُكُمْ فَتَقُومُونَ بِهَا قِيَامًا مُسْتَقِيمًا ثَابِتًا.

(٤) حَنَكْتُكَ: مِنْ فِعْلِ حَنَكَ. وَالْحُنْكَ وَالْحُنْكَ: التَّهْذِيبُ، وَالْحُنْكَ: السَّنُّ وَالتَّجَرُّبَةُ وَالْبَصَرُ بِالْأُمُورِ. وَأَحْنَكْتَهُ وَحَنَكْتَهُ: هَذَبْتَهُ أَيِ جَرَّدْتَهُ الدَّهْرَ وَذَلَّلْتَهُ وَوَعَسْتَهُ وَحَنَكْتَهُ وَعَرَكْتَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ. وَاحْنَكْتُكَ الرَّجُلُ: أَيِ اسْتَحْكَمَ، وَارْتَضَى وَتَهَذَّبَ.

(٥) لِتَرَوْضَ: مِنْ فِعْلِ رَوَّضَ. رَاضَ الدَّابَّةَ يَرَوْضُهَا: وَطَّأَهَا وَذَلَّلَهَا، وَرُوضْتُ: ذَلَّلْتُ لِأَنَّهُ أَقَامَ الْإِذْلَالَ مَقَامَ الرِّيَاضَةِ. وَرَجُلٌ رَوْضٌ: مُطِيعٌ.

(٦) تَبَدَّرَ إِلَيْهِ: مِنْ فِعْلِ بَدَرَ، وَبَدَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ: أَسْرَعْتُ، وَبَادَرَ الشَّيْءُ مِبَادَرَةً وَابْتَدَرَهُ: عَاجَلَهُ. يَقَالُ ابْتَدَرَ الْقَوْمُ أَمْرًا: أَيِ، بَادَرَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَيْهِ أَيُّهُمْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ فَيَغْلِبُ عَلَيْهِ.

في السلطان

إذا ابتليت بالسلطان تعوذ بالعلماء

إن ابتليت بالسلطان^(١) فتعوذ^(٢) بالعلماء.

وَأَعْلَمَ أَنَّ مِنَ الْعَجَبِ أَنَّ يُبْتَلَى الرَّجُلُ بِالسُّلْطَانِ فَيُرِيدُ أَنْ يَنْتَقِصَ مِنْ سَاعَاتِ نَصَبِهِ^(٣) وَعَمَلِهِ فَيَزِيدُهَا فِي سَاعَاتِ دَعْتِهِ وَفَرَاغِهِ وَشَهْوَتِهِ وَعَبْيَتِهِ وَنَوْمِهِ.

وَأَمَّا الرَّأْيُ لَهُ وَالْحَقُّ عَلَيْهِ أَنْ يَأْخُذَ لِعَمَلِهِ مِنْ جَمِيعِ شُغْلِهِ، فَيَأْخُذَ لَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَنَوْمِهِ وَحَدِيثِهِ وَلَهْوِهِ وَنِسَائِهِ.

وَأَمَّا تَكُونُ الدَّعَةُ بَعْدَ الْفَرَاغِ.

فَإِذَا تَقَلَّدْتَ^(٤) شَيْئًا مِنْ أَمْرِ السُّلْطَانِ فَكُنْ فِيهِ أَحَدَ رَجُلَيْنِ:

إِمَّا رَجُلًا مُغْتَبِطًا بِهِ، مُحَافِظًا عَلَيْهِ مَخَافَةً أَنْ يَزُولَ عَنْهُ، وَإِمَّا رَجُلًا كَارِهًا لَهُ مُكَرِهًا عَلَيْهِ. فَالكَارَةُ عَامِلٌ فِي سُخْرٍ^(٥): إِمَّا لِلْمُلُوكِ، إِنْ كَانُوا هُمْ سُلْطُوهُ، وَإِمَّا

(١) السُّلْطَانُ: مَنْ فَعَلَ سُلْطَ. وَالسُّلْطَانُ: الْوَالِي جَمْعُهُ سُلَاطِينُ وَالسُّلْطَانُ: قَدْرُهُ الْمَلِكِ. وَقِيلَ: الْوَلَايَةُ وَالْإِمَارَةُ.

(٢) تَعَوَّذَ: مِنْ فَعَلَ عَوَذَ. وَعَاذَ بِهِ: لَازَ بِهِ وَلَجَأَ إِلَيْهِ وَاعْتَصَمَ وَعُوذْتُ بِفُلَانٍ وَاسْتَعَذْتُ بِهِ: أَيِ لَجَأْتُ إِلَيْهِ.

(٣) نَصَبِهِ: مِنْ فَعَلَ نَصَبَ. وَالنَّصَبُ: الْإِغْيَاءُ مِنَ الْعَنَاءِ، وَنَصَبَ الرَّجُلَ نَصَبًا: أَعْيَاهُ وَتَعَبَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يَنْصِبُنِي مَا أَنْصَبَهَا». أَيِ يَتَعَبُنِي مَا أَنْصَبَهَا.

(٤) تَقَلَّدْتَ: مِنْ فَعَلَ قَلَّدَ. وَالتَّقْلِيدُ فِي الدِّينِ، وَتَقْلِيدُ الْوَلَاةِ الْأَعْمَالُ: أَلْزَمَهُ الْعَمَلَ وَالْأَمْرَ، وَتَقَلَّدَ الْأَمْرَ: اخْتَمَلَهُ.

(٥) سُخْرٍ: مِنَ الْفِعْلِ سَخَرَ. وَالسُّخْرَةُ: مَا تَسَخَّرَتْ مِنْ دَابَّةٍ أَوْ خَادِمٍ بِلَا أَجْرٍ وَلَا ثَمَنِ. وَيُقَالُ: سَخَّرْتُهُ =

لِلَّهِ تَعَالَى ، إِنْ كَانَ لَيْسَ فَوْقَهُ غَيْرُهُ .

وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّهُ مَنْ فَرَطَ فِي سُخْرَةِ الْمُلُوكِ أَهْلَكَوهُ . فَلَا تَجْعَلْ لِلْهَلَاكِ عَلَى نَفْسِكَ سُلْطَانًا^(١) وَلَا سَبِيلًا .

إِيَّاكَ وَحِبِّ الْمَدْحِ

وَإِيَّاكَ إِذَا كُنْتَ وَالِيًّا ، أَنْ يَكُونَ مِنْ شَأْنِكَ حُبُّ الْمَدْحِ وَالتَّزْكِيَةِ^(٢) وَأَنْ يَعْرِفَ النَّاسُ ذَلِكَ مِنْكَ ، فَتَكُونَ ثُلَمَةً^(٣) مِنَ الثُّلَمِ يَتَّقَحْمُونَ عَلَيْكَ مِنْهَا ، وَبَابًا يَفْتَتِحُونَكَ مِنْهُ ، وَغِيبَةً^(٤) يَغْتَابُونَكَ بِهَا وَيَضْحَكُونَ مِنْكَ لَهَا .

وَأَعْلَمْ أَنَّ قَابِلَ الْمَدْحِ كِمَادِحِ نَفْسِهِ . وَالْمَرْءُ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ حُبُّهُ الْمَدْحَ هُوَ الَّذِي يَحْمِلُهُ عَلَى رَدِّهِ . فَإِنَّ الرَّادَّ لَهُ مَحْمُودٌ ، وَالْقَابِلَ لَهُ مَعِيبٌ .

لَتَكُنْ حَاجَتُكَ فِي الْوَلَايَةِ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : رِضَى رَبِّكَ وَرِضَى سُلْطَانٍ ، إِنْ كَانَ فَوْقَكَ ، وَرِضَى صَالِحٍ مَنِ تَلِيَ عَلَيْهِ .

وَلَا عَلَيْكَ^(٥) أَنْ تَلْهَوْ عَنِ الْمَالِ وَالذَّكْرِ ، فَسَيَأْتِيكَ مِنْهُمَا مَا يَحْسُنُ وَيُطِيبُ وَيُكْتَفَى بِهِ .

وَاجْعَلِ الْخِصَالَ الثَّلَاثَ مِنْكَ بِمَكَانٍ^(٦) مَا لَا بُدَّ لَكَ مِنْهُ . وَاجْعَلِ الْمَالَ

= بمعنى : سَخَّرْتَهُ أَي قَهَرْتَهُ وَذَلَّلْتَهُ . وَمِنهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ ﴾ أَي ذَلَّلَهُمَا .

(١) سُلْطَانًا : فِي فِعْلِ سَلَطَ وَالسُّلْطَانُ : الْحُجَّةُ وَالْبُرْهَانُ ، وَسُمِّيَ سُلْطَانًا لِأَنَّهُ حُجَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ . وَقِيلَ لِلْأُمَرَاءِ سُلَاطِينٍ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ تَقَامُ بِهِمُ الْحُجَّةُ وَالْحَقُوقُ .

(٢) التَّزْكِيَةُ مِنْ فِعْلِ زَكَا ، وَزَكَى نَفْسُهُ تَزْكِيَةً : مَدَحُهَا ، وَزَكَى الرَّجُلُ نَفْسَهُ : إِذَا وَصَفَهَا وَأَثْنَى عَلَيْهَا .

(٣) ثُلَمَةٌ مِنْ فِعْلِ ثَلَمَ يُقَالُ فِي الْإِنَاءِ ثَلَمَ إِذَا انْكَسَرَ فِي شَفْطِيهِ شَيْءٌ . وَجَمَعَهُ ثُلَمٌ ، وَثَلَمْتُ الْحَائِطَ أَثْلَمْتُهُ بِالْكَسْرِ فَهُوَ مَثْلُومٌ أَيْ مَكْسُورٌ وَمَهْدُومٌ .

(٤) غَيْبَةٌ : مِنْ فِعْلِ غَيْبَ . وَالْغَيْبَةُ : مِنَ الْإِغْتِيَابِ . وَإِغْتَابَ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ إِغْتِيَابًا إِذَا وَقَعَ فِيهِ ، وَهُوَ أَنْ يَتَكَلَّمَ خَلْفَ إِنْسَانٍ مُسْتَوْرٍ بِسُوءٍ ، أَوْ بِمَا يَغْنَمُهُ لَوْ سَمِعَهُ وَإِنْ كَانَ فِيهِ .

(٥) لَا عَلَيْكَ : أَي لَا بَأْسَ عَلَيْكَ وَلَا ضَرَرَ وَلَا إِفْسَادَ .

(٦) بِمَكَانٍ : بِمَنْزِلَةٍ . وَالْمَكَانَةُ : الْمَوْضِعُ . وَفُلَانٌ مَكِينٌ عِنْدَ فُلَانٍ : بَيْنَ الْمَكَانَةِ .

وَالذَّكَرَ بِمَكَانٍ مَا أَنْتَ وَاجِدٌ^(١) مِنْهُ بُدْأً.

اعْرِفِ الْفَضْلَ فِي أَهْلِ الدِّينِ وَالْمُرُوءَةِ فِي كُلِّ كُورَةٍ^(٢) وَقَرْيَةٍ وَقَبِيلَةٍ. فَلْيَكُونُوا هُمْ إِخْوَانُكَ وَأَعْوَانُكَ وَأَخْدَانُكَ وَأَصْفِيَاءُكَ وَبِطَانَتُكَ^(٣) وَثِقَاتِكَ وَخُلَطَاءُكَ. وَلَا تَقْذِفَنَّ فِي رُوعِكَ^(٤) أَنْتَ إِنْ اسْتَشَرْتَ الرِّجَالَ ظَهَرَ لِلنَّاسِ مِنْكَ الْحَاجَةُ إِلَى رَأْيِ غَيْرِكَ، فَإِنَّكَ لَسْتَ تُرِيدُ الرَّأْيَ لِلإِفْتِخَارِ بِهِ، وَلَكِنَّمَا تُرِيدُهُ لِلانْتِفَاعِ بِهِ. وَلَوْ أَنَّكَ مَعَ ذَلِكَ أَرَدْتَ الذِّكْرَ، كَانَ أَحْسَنَ الذِّكْرِينِ وَأَفْضَلَهُمَا عِنْدَ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ أَنْ يُقَالَ: لَا يَتَفَرَّدُ بِرَأْيِهِ دُونَ اسْتِشَارَةِ ذَوِي الرَّأْيِ.

إِنَّكَ إِنْ تَلْتَمِسَ رِضَى جَمِيعِ النَّاسِ تَلْتَمِسُ مَا لَا يُدْرِكُ.

وَكَيْفَ يَتَّقُ لَكَ رَأْيُ الْمُخْتَلِفِينَ، وَمَا حَاجَتُكَ إِلَى رِضَى مَنْ رِضَاهُ الْجَوْرُ. وَإِلَى مُوَافَقَةِ مَنْ مُوَافَقَتُهُ الضَّلَالَةُ وَالْجَهَالَةُ؟ فَعَلَيْكَ بِالْتِمَاسِ رِضَى الْأَخْيَارِ مِنْهُمْ وَذَوِي الْعَقْلِ. فَإِنَّكَ مَتَى تُصِيبَ ذَلِكَ تَضَعُ عَنْكَ مَوْزَنَةً مَا سِوَاهُ.

مَا يَنْبَغِي لِلسُّلْطَانِ نَحْوَ رِعْيَتِهِ

لَا تُمَكِّنْ أَهْلَ الْبَلَاءِ^(٥) الْحَسَنِ عِنْدَكَ مِنَ التَّدَلُّلِ^(٦) عَلَيْكَ، وَلَا تُمَكِّنَنَّ مَنْ

(١) وَاجِدٌ: مَنْ فَعَلَ وَجَدَ وَالوَاجِدُ مِنَ الْمَالِ ضَرُورَةٌ: مَا يَكْفِيهِ عَيْشَ رَغِيدٍ، دُونَ حَاجَةٍ إِلَى غَيْرِهِ أَوْ زِيَادَتِهِ. وَالوَاجِدُ: لَا إِحْدَاثَ فِيهِ قَطْ.

(٢) كُورَةٌ: مَنْ فَعَلَ كُورَ، وَالْكُورَةُ: الْمَدِينَةُ وَالصُّقْعُ. وَالْجَمْعُ كُوَارُ. وَالْكُورَةُ مِنَ الْبِلَادِ الْإِخْلَافُ، وَهِيَ الْقَرْيَةُ مِنْ قُرَى الْيَمَنِ.

(٣) بِطَانَتُكَ: مَنْ فَعَلَ بَطَنَ. وَبِطَانَةُ الرَّجُلِ: خَاصَتُهُ وَقِيلَ: بِطَانَةُ الرَّجُلِ وَلِجَنَّتِهِ، وَأَبْطَنَتُ الرَّجُلَ إِذَا جَعَلْتَهُ مِنْ خَوَاصِّكَ. وَبِطَانَةُ الْإِنْسَانِ صَاحِبُ سِرِّهِ وَدَاخِلَةُ أَمْرِهِ الَّذِي يُشَاوِرُهُ فِي أَحْوَالِهِ.

(٤) رُوعُكَ: مَنْ فَعَلَ رُوعَ، الرُّوعُ بَضْمُ الرِّاءِ وَالرُّوعُ: الْقَلْبُ. وَأَفْرَخَ رُوعَهُ أَيَّ خَرَجَ الرُّوعُ مِنْ قَلْبِهِ. وَأَفْرَخَ رُوعَكَ أَيَّ اسْكَنْ وَأَمَّنَ. وَالرُّوعُ: الذَّهْنُ.

(٥) الْبَلَاءُ: مَنْ فَعَلَ بَلَأَ، وَبَلَوْتُ الرَّجُلَ وَابْتَلَيْتُهُ: اخْتَبَرْتُهُ، وَبَلَاءُ إِذَا جَرَّبْتَهُ وَاخْتَبَرْتَهُ، وَابْتَلَاهُ اللَّهُ: امْتَحَنَهُ. وَالْإِسْمُ الْبَلَوِيُّ، وَالْبَلَاءُ يَكُونُ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَيُقَالُ ابْتَلَيْتُهُ بَلَاءً حَسَنًا وَبَلَيْتُهُ بَلَاءً سَيِّئًا.

(٦) التَّدَلُّلُ: مَنْ فَعَلَ ذَلَّلَ. وَذَلَّ الْمَرْأَةُ وَذَلَّلَهَا: تَذَلَّلَهَا عَلَى زَوْجِهَا، وَذَلِكَ أَنْ تُرِيَهُ جَرَاءَةً عَلَيْهِ فِي تَغَنُّجٍ وَتَشَكُّلٍ. وَقِيلَ: هِيَ تَذَلُّ عَلَيْهِ أَيَّ تَجْتَرِي عَلَيْهِ، وَيُقَالُ: مَا ذَلَّلَ عَلَيَّ: أَيَّ مَا جَرَّأَكَ عَلَيَّ.

سواهم من الاجترَاءِ عَلَيْهِمِ وَالْعَيْبِ لَهُمِ.

لِتَعْرِفَ رَعِيَّتَكَ أَبْوَابَكَ الَّتِي لَا يُنَالُ مَا عِنْدَكَ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا بِهَا، وَالْأَبْوَابَ الَّتِي لَا يَخَافُكَ خَائِفٌ إِلَّا مِنْ قِبَلِهَا.

احْرِصِ الْحَرَصَ كُلَّهُ عَلَى أَنْ تَكُونَ خَائِراً أُموراً عَمَالِكَ، فَإِنَّ الْمُسِيءَ يَفْرُقُ^(١) مِنْ خُبْرَتِكَ قَبْلَ أَنْ تُصِيبَهُ عُقُوبَتُكَ، وَإِنَّ الْمُحْسِنَ يَسْتَبْشِرُ بِعِلْمِكَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَهُ مَعْرُوفُكَ.

لِيَعْرِفَ النَّاسُ، فِي مَا يَعْرِفُونَ مِنْ أَخْلَاقِكَ، أَنَّكَ لَا تُعَاجِلُ بِالشَّوَابِ وَلَا بِالْعِقَابِ، فَإِنَّ ذَلِكَ أَذْوَمُ لَخَوْفِ الْخَائِفِ وَرَجَاءِ الرَّاجِي.

عَوِّدْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ عَلَى مَنْ خَالَفَكَ مِنْ ذَوِي النَّصِيحَةِ، وَالتَّجَرَّعَ لِمَرَارَةِ قَوْلِهِمْ وَعَذْلِهِمْ، وَلَا تُسَهِّلَنَّ سَبِيلَ ذَلِكَ إِلَّا لِأَهْلِ الْعَقْلِ وَالسَّنِّ وَالْمُرُوءَةِ، لِئَلَّا يَنْتَشِرَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَجْتَرِي بِهِ سَفِيَهُ أَوْ يَسْتَخِفُّ بِهِ شَانِي^(٢).

مباشرة الصغير تضييع الكبير

لَا تَتَرَكَنَّ مُبَاشَرَةَ جَسِيمِ أَمْرِكَ فَيَعُودَ شَأْنُكَ صَغِيراً، وَلَا تُلْزِمَنَّ نَفْسَكَ مُبَاشَرَةَ الصَّغِيرِ، فَيَصِيرَ الْكَبِيرُ ضَائِعاً.

وَأَعْلَمْ أَنَّ مَالَكَ لَا يُعْنِي النَّاسَ كُلَّهُمْ فَاخْصُصْ بِهِ أَهْلَ الْحَقِّ^(٣)، وَأَنَّ كَرَامَتَكَ لَا تُطِيقُ الْعَامَّةَ كُلَّهَا فَتَوَخَّ^(٤) بِهَا أَهْلَ الْفَضْلِ، وَأَنَّ قَلْبَكَ لَا يَتَّسِعُ لِكُلِّ شَيْءٍ فَفَرِّغْهُ

(١) يَفْرُقُ مِنْ فَعَلَ فَرَّقَ. وَالْفَرَقُ بِالتَّحْرِيكِ: الْخَوْفُ وَفَرَّقَ مِنْهُ بِالْكَسْرِ فَرَقًا: جَزَعَ، وَقِيلَ: فَرَّقَ عَلَيْهِ: فَرَعَ وَاشْتَقَّ وَرَجُلٌ فَرِيقٌ أَوْ فَرُوقَةٌ: فَرَعَ شَدِيدَ الْفَرَقِ وَالْهَاءُ هِيَ إِشْعَارٌ بِمَا أُرِيدُ مِنْ تَأْنِيثِ الْغَايَةِ وَالمبالغة.

(٢) شَانِيٌّ: مَنْ فَعَلَ شَيْئاً شَنِئاً وَشَنَأَ: بِالتَّحْرِيكِ وَالتَّسْكِينِ: أَبْغَضَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ﴾ وَشَنِئَ الرَّجُلُ، فَهُوَ مُشْنُوٌّ إِذَا كَانَ مُبْغِضاً وَإِنْ كَانَ جَمِيلاً، وَالْمَقْصُودُ الْمَعْنَى الْأَوَّلَ.

(٣) أَهْلُ الْحَقِّ: مَنْ فَعَلَ حَقَّقَ، وَحَقُّ الشَّيْءِ يَحَقُّ بِالْكَسْرِ أَيْ وَجِبَ وَأَهْلُ الْحَقِّ: الَّذِي تَجِبُ عَلَيْنَا عَطَاءُ كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ لِأَنَّهُمْ يَسْتَحِقُّونَ الصَّدَقَةَ.

(٤) فَتَوَخَّ: مِنْ فَعَلَ وَخِيَ وَالْوَخْيُ: الطَّرِيقُ الْمَعْتَمَدُ، وَالْجَمْعُ وَخْيٌ وَخْيٌ وَعَنِ الْوَخْيِ الْقَصْدُ. =

لِلْمُهِمِّ، وَأَنَّ لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ لَا يَسْتَوِيَانِ حَاجَاتِكَ، وَإِنْ دَأَبْتَ^(١) فِيهِمَا، وَأَنْ لَيْسَ لَكَ إِلَى إِدَامَةِ الدَّابِ فِيهِمَا سَبِيلٌ مَعَ حَاجَةِ جَسَدِكَ إِلَى نَصِيْبِهِ مِنْهُمَا فَأَحْسِنِ قِسْمَتَهُمَا بَيْنَ عَمَلِكَ وَدَعْوَتِكَ.

وَأَعْلَمْ أَنَّ مَا شَغَلْتَ مِنْ رَأْيِكَ بِغَيْرِ الْمُهِمِّ أَزْرَى بِكَ فِي الْمُهِمِّ، وَمَا صَرَفْتَ مِنْ مَالِكَ فِي الْبَاطِلِ فَقَدْتَهُ حِينَ تُرِيدُهُ لِلْحَقِّ، وَمَا عَدَلْتَ بِهِ مِنْ كَرَامَتِكَ إِلَى أَهْلِ النِّقْصِ أَضْرَبَكَ فِي الْعَجْزِ عَنْ أَهْلِ الْفَضْلِ، وَمَا شَغَلْتَ مِنْ لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ فِي غَيْرِ الْحَاجَةِ أَزْرَى بِكَ عِنْدَ الْحَاجَةِ مِنْكَ إِلَيْهِ.

إِيَّاكَ وَالْإِفْرَاطَ فِي الْغَضَبِ

أَعْلَمْ أَنَّ مِنَ النَّاسِ نَاساً كَثِيراً يُبْلَغُ مِنْ أَحَدِهِمِ الْغَضَبُ، إِذَا غَضِبَ، أَنْ يَحْمِلَهُ ذَلِكَ عَلَى الْكُلُوحِ^(٢) وَالْقُطُوبِ^(٣) فِي وَجْهِهِ غَيْرِ مَنْ أَعْضَبَهُ، وَسُوءِ اللَّفْظِ لِمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ، وَالْعُقُوبَةِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ يَهُمُّ بِمُعَاقِبَتِهِ، وَشِدَّةِ الْمُعَاقِبَةِ بِاللِّسَانِ وَالْيَدِ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ بِهِ إِلَّا دُونَ ذَلِكَ. ثُمَّ يَبْلَغُ بِهِ الرِّضَى، إِذَا رَضِيَ، أَنْ يَتَّبِعَ بِالْأَمْرِ ذِي الْخَطَرِ^(٤) لِمَنْ لَيْسَ بِمَنْزِلَةِ ذَلِكَ عِنْدَهُ، وَيُعْطِي مَنْ لَمْ يَكُنْ يُرِيدُ إعْطَاءَهُ، وَيُكْرِمُ مَنْ لَمْ يَرِدْ إِكْرَامُهُ وَلَا حَقٌّ لَهُ وَلَا مَوَدَّةَ عِنْدَهُ.

فَاحْذَرْ هَذَا الْبَابَ الْحَذَرَ كُلَّهُ! فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ أَسْوَأَ فِيهِ حَالاً مِنْ أَهْلِ السُّلْطَانِ الَّذِينَ يُفْرِطُونَ بِاقْتِدَارِهِمْ فِي غَضَبِهِمْ، وَيُسْرِعُهُمْ فِي رِضَاهُمْ. فَإِنَّهُ لَوْ وُصِفَ بِهِذِهِ

= وَوَحَى: إِذَا تَوَجَّهَ، وَالتَّوْحَى: التَّحَرَّى لِلْحَقِّ وَالْقَصْدِ إِلَيْهِ. وَقِيلَ تَوَحَّيْتُ أَمْرًا كَذَا تَيَمَّمْتُهُ.

(١) دَأَبْتُ: مِنْ فَعَلَ دَأَبَ، وَدَأَبَ فُلَانٌ فِي عَمَلِهِ أَيْ جَدَّ وَتَعَبَ. وَأَذَابَ الرَّجُلَ الدَّائِبَةَ: إِذَا اتَّبَعَهَا.

(٢) الْكُلُوحُ: مِنْ فَعَلَ كَلَحَ، وَالْكُلُوحُ: بَدَأُ الْإِنْسَانِ عِنْدَ الْعُبُوسِ وَالْكُلُوحُ أَيْضاً بِمَعْنَى تَكَشَّرَ فِي عُبُوسٍ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿تَلَفَّحَ وَجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالْعِخْوَنِ﴾.

(٣) الْقُطُوبُ: مِنْ فَعَلَ قَطَبَ الشَّيْءَ: جَمَعَهُ. وَالْقُطُوبُ: تَرَوَّى مَا بَيْنَ الْعَيْنَيْنِ عِنْدَ الْعُبُوسِ، وَيُقَالُ: رَأَيْتُهُ غَضْبَاناً قَاطِئاً بِمَعْنَى وَقَطَبَ: زَوَى مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَعَبَسَ، وَجَمَعَهُ: غَضُؤٌ.

(٤) الْخَطَرُ: مِنْ فَعَلَ خَطَرَ وَالْخَطَرُ: ارْتِفَاعُ الْقَدْرِ وَالْمَالِ وَالشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ، وَرَجُلٌ خَطِيرٌ: أَيْ لَهُ قَدْرٌ وَخَطَرٌ وَجَمَعَهُ بِأَخْطَارٍ، وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الشَّرِيفِ: هُوَ عَظِيمُ الْخَطَرِ.

الصِّفَةُ مَنْ يُلْتَبَسُ^(١) بِعَقْلِهِ أَوْ يَتَخَبَّطُهُ الْمَسُّ^(٢) أَنْ يُعَاقِبَ عِنْدَ غَضَبِهِ غَيْرَ مَنْ أَغْضَبَهُ وَيُحْبُو^(٣) عِنْدَ رِضَاهُ غَيْرَ مَنْ أَرْضَاهُ لَكَانَ جَائِزاً ذَلِكَ فِي صِفَتِهِ.

الملك ثلاثة

اعْلَمْ أَنَّ الْمُلْكَ ثَلَاثَةٌ: مُلْكُ دِينٍ، وَمُلْكُ حَزْمٍ، وَمُلْكُ هَوَى.

فَأَمَّا مُلْكُ الدِّينِ فَإِنَّهُ إِذَا أَقَامَ لِلرَّعِيَّةِ دِينَهُمْ، وَكَانَ دِينُهُمْ هُوَ الَّذِي يُعْطِيهِمْ الَّذِي لَهُمْ وَيُلْحِقُ بِهِمْ الَّذِي عَلَيْهِمْ، أَرْضَاهُمْ ذَلِكَ، وَأَنْزَلَ السَّاحِطَ مِنْهُمْ مَنْزِلَةً الرَّاظِي فِي الْإِقْرَارِ وَالتَّسْلِيمِ.

وَأَمَّا مُلْكُ الْحَزْمِ فَإِنَّهُ يَقُومُ بِهِ الْأَمْرُ وَلَا يَسْلَمُ مِنَ الطَّغْنِ وَالتَّسَخُّطِ^(٤). وَلَنْ يَضُرَّ طَغْنُ الضَّعِيفِ مَعَ حَزْمِ الْقَوِيِّ.

وَأَمَّا مُلْكُ الْهَوَى فَلَعِبُ سَاعَةٍ وَدَمَارُ^(٥) دَهْرٍ.

الاعتدال في الكلام والسلام

إِذَا كَانَ سُلْطَانُكَ عِنْدَ جِدَّةٍ^(٦) دَوْلَةٍ، فَرَأَيْتَ أَمْرًا اسْتَقَامَ بِغَيْرِ رَأْيٍ، وَأَعْوَانًا

(١) يُلْتَبَسُ مِنْ فَعَلَ لَبَسَ. قِيلَ: فِي رَأْيِهِ لَبَسَ أَيْ اخْتَلَطَ. وَيُقَالُ: لِلْمَجْنُونِ مُخَالَطٌ، وَقَدْ التَّبَسَّ بِأَيِ حَوْلَطَ فِي عَقْلِي. وَالتَّبَسَّ عَلَيْهِ الْأَمْرُ أَيْ اخْتَلَطَ وَاشْتَبَهَ.

(٢) الْمَسُّ: الْجَنُونُ مِنْ فَعَلَ مَسَسَ، وَرَجُلٌ مُمَسَّوسٌ: بِهِ مَسٌّ مِنَ الْجَنُونِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَأَلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾: الْجَنُونِ.

(٣) يَحْبُو مِنْ فَعَلَ حَبَا، وَالْجِبَاءُ: مَا يَحْبُو بِهِ الرَّجُلُ صَاحِبَهُ وَيَكْرَهُهُ بِهِ، وَحَبَا الرَّجُلُ حَبْوَةً: أَيْ أَعْطَاهُ، وَقِيلَ: الْجِبَاءُ الْعَطَاءُ بِلَا مَوْنٍ وَلَا جَزَاءٍ. وَقِيلَ: الْجِبَاءُ: الْعَطَاءُ.

(٤) التَّسَخُّطُ: مِنْ فَعَلَ سَخَطَ، وَالسَّخَطُ وَالسَّخْطُ: ضِدُّ الرِّضَا، وَتَسَخَّطَ الشَّيْءُ: كَرِهَهُ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «إِنَّ اللَّهَ يَسَخُطُ لَكُمْ كَذَا» أَيْ يَكْرَهُهُ لَكُمْ.

(٥) فَلَعِبَ سَاعَةً وَدَمَارُ دَهْرٍ: لَعِبَ مِنْ فَعَلَ لَعِبَ وَاللَّعِبُ: ضِدُّ الْجِدِّ وَهُوَ اللَّهْوُ وَالْهَوَى. وَقَوْلُهُ دَمَارُ: مِنْ فَعَلَ دَمَرَ أَيْ هَلَكَ وَرَجُلٌ دَامِرٌ: هَالِكٌ. وَالْمَقْصُودُ أَنْ شَهْوَةَ اللَّهْوِ وَالْهَوَى لَعِبُ سَاعَةٍ وَهَذَا اللَّعِبُ قَدْ يَكُونُ فِيهِ هَلَاكُهُ أَبَدَ الدَّهْرِ.

(٦) الْجِدَّةُ: مُصْدَرُ الْجَدِيدِ مِنْ فَعَلَ جَدَدَ، وَتَجَدَّدَ الشَّيْءُ: صَارَ جَدِيدًا، وَجَدَّ الثُّوبُ، وَالشَّيْءُ يَجْدُّ بِالْكَسْرِ: صَارَ جَدِيدًا، وَهُوَ تَقْيِضُ الْخَلْقِ وَالْقَدِيمِ وَالْقَدَمِ.

أَجْزَوْا^(١) بِغَيْرِ نَيْلٍ ، وَعَمَلًا أَنْجَحَ^(٢) بِغَيْرِ حَزْمٍ ، فَلَا يَغُرَّنَكَ ذَلِكَ وَلَا تَسْتَيْمِنَ^(٣) إِلَيْهِ . فَإِنَّ الْأَمْرَ الْجَدِيدَ رُبَّمَا يَكُونُ لَهُ مَهَابَةٌ فِي أَنْفُسِ أَقْوَامٍ وَحَلَاوَةٌ فِي قُلُوبِ آخَرِينَ ، فَيُعِينُ قَوْمٌ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَيُعِينُ قَوْمٌ بِمَا قِيلَهُمْ^(٤) . وَيَسْتَتِيبُ^(٥) ذَلِكَ الْأَمْرُ غَيْرَ طَوِيلٍ ثُمَّ تَصِيرُ الشُّؤُونُ إِلَى حَقَائِقِهَا وَأُصُولِهَا .

فَمَا كَانَ مِنَ الْأُمُورِ بُنِيَ عَلَى غَيْرِ أَرْكَانٍ وَثِيقَةٍ وَلَا دَعَائِمٍ مُحْكَمَةٍ أَوْشَكَ أَنْ يَتَدَاعَى^(٦) وَيَتَصَدَّعَ .

لَا تَكُونَنَّ نَزْرُ^(٧) الْكَلَامِ وَالسَّلَامِ ، وَلَا تَبْلُغَنَّ بِهِمَا إِفْرَاطُ الْهَشَاشَةِ^(٨) وَالْبَشَاشَةِ . فَإِنَّ إِحْدَاهُمَا مِنَ الْكِبَرِ وَالْآخَرَى مِنَ السُّخْفِ^(٩) .

(١) أَجْزَوْا: من فعل جَزَأَ ، ويقال: ما لفلان جزءٌ وما له إجزاء: أي ما له كفاية . وقيل: ما أجزأنا اليومَ أحدُ فلانٍ أي فَعَلَ فِعْلاً ظَهَرَ أَثَرُهُ وَقَامَ فِيهِ مَقَامًا لَمْ يَتِمَّ غَيْرُهُ وَلَا كَفَى فِيهِ كِفَايَتُهُ .

(٢) أَنْجَحَ من فعل نَجَحَ وَنَجَحَتْ طَلِبَتُهُ وَانْجَحَتْ ، وما أَنْجَحَ فلانٌ وَلَا أَفْلَحَ . وَنَجَحَتْ هِيَ وَنَجَحَ أَمْرٌ فلانٌ: تَيْسَّرَ وَسَهَّلَ فَهُوَ نَاجِحٌ .

(٣) تَسْتَيْمِنَ من فعل مَنَّهُ أي قطع الأمرَ إِلَيْهِ وَأَسْلَمَ لَهُ الْإِنْقِيَادَ .

(٤) قِيلَهُمْ: من فعل قِيلَ ، ورأيتُه قِيلاً أي عياناً ، وَقِيلَ فلانٌ أي من أهله وقرابته وإخوانه .

(٥) يَسْتَتِيبُ: من فعل تَبَّ والجمع أَتْيَابٌ . وَاسْتَتَبَ الْأَمْرُ: تَهَيَّأَ وَاسْتَوَى . وَاسْتَبَّ أَمْرٌ فلانٌ إِذَا اطْرَدَ وَاسْتَقَامَ وَتَبَّيَّنَ . وَأَصْلُ هَذَا مِنَ الطَّرِيقِ الْمُسْتَتَبِ ، وَهُوَ الَّذِي خَدَّ فِيهِ السَّيَّارَةُ خُدُوداً فَوْضَحَ وَاسْتَبَانَ لِمَنْ يَسْلُكُهُ ، كَأَنَّهُ تَبَّبَ مِنْ كَثَرَةِ الْوُطْءِ .

(٦) يَتَدَاعَى: من فعل دَعَا ، وَتَدَاعَى الْبِنَاءُ وَالْحَائِطُ لِلْخَرَابِ إِذَا تَكَسَّرَ وَأَذَنَ بِانْهِيادٍ ، وَدَاعِيانَهَا عَلَيْهِمْ مِنْ جَوَانِبِهَا: هَدَمْنَاهَا عَلَيْهِمْ . وَفِي الْحَدِيثِ: «كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى بَعْضُهُ تَدَاعَى سَائِرُهُ بِالْشَّهْرِ وَالْحُمَى» . أَيِ تَسَاقَطَ .

(٧) نَزَرُ: من فعل نَزَرَ وَنَزَرَ الشَّيْءُ بِالضَّمِّ: قَلَّلَهُ وَقِيلَ: كُلُّ قَلِيلٍ نَزَرٌ وَمَنْزُورٌ . وَالنَّزَرُ: الْقَلِيلُ النَّافِعُ . وَقِيلَ: لَا نَزَرَ وَلَا هَذَرَ: النَّزَرُ: الْقَلِيلُ ، أَيِ لَيْسَ بِقَلِيلٍ فَيَدُلُّ عَلَى عِيٍّ وَلَا كَثِيرٍ فَاسِدٍ .

(٨) الْهَشَاشَةُ: مِنْ فِعْلِ هَشَشَ ، وَرَجُلٌ هَشٌّ وَهَشِيشٌ: بَشٌّ مُهْتَرٌ مَسْرُورٌ وَهَشَشْتُ هَشَاشَةً: بَشِشْتُ ، وَالْهَشَاشَةُ: الْارْتِيَاعُ وَالْخُفَّةُ .

(٩) السُّخْفُ: مِنْ فِعْلِ سَخَفَ . وَالسُّخْفُ: رِقَّةُ الْعَقْلِ ، وَالسُّخْفُ: ضَعْفُ الْعَقْلِ ، أَوْ نَقْصَانُ الْعَقْلِ . وَلَا يَسْتَعْمَلُ السُّخْفُ إِلَّا فِي رِقَّةِ الْعَقْلِ .

بأي شيء تكون الثقة

إذا كنت إنما تضبطُ أمورك وتصول^(١) على عدوك بقومٍ لست منهم على ثقةٍ من دينٍ ولا رأيٍ ولا حفاظٍ^(٢) من نيةٍ فلا تنفعنك نافعةٌ حتى تحولهم، إن استطعت، إلى الرأي والأدب الذي بمثله تكون الثقة، أو تستبدل بهم، إن لم تستطع نقلهم إلى ما تريد. ولا تغرنك قوتك بهم على غيرهم، فإنما أنت في ذلك كراكب الأسد الذي يهابه من نظر إليه، وهو لمركبه أهيب.

تجنب الغضب والكذب

ليس للملك أن يغضب، لأن القدرة من وراء حاجته.

وليس له أن يكذب، لأنه لا يقدر أحد على استكراهه على غير ما يريد.

وليس له أن ييخل، لأنه أقل الناس عُذراً في تخوف الفقر.

وليس له أن يكون حقوداً، لأن خطره^(٣) قد عظم عن مجازاة كل الناس.

وليس له أن يكون حلاًفاً^(٤)، لأن أحق الناس باتقاء الأيمان الملوكة، فإنما يحمل الرجل على الحلف إحدى هذه الخصال:

(١) تصول: من فعل صالَ يصولُ أي يسطو ويقتل ويقاتل. يقال: إنه ذو صولةٍ على الطعام يأكله ويتنهكه ويبالغ فيه فكانه إنما يصولُ على حيوانٍ ما أو يصولُ على أكلةٍ لذوده إياهم ومدافته لهم.

(٢) حفاظ: من فعل حفظ، ورجل حافِظ وقوم حفاظ وهم الذين رزقوا حفظ ما سمعوا، والحفظة الذين يحضنون الأعمال ويقال: إنه لذو حفاظ: إذا كانت له أمانة. والحفاظ: الدب عن المحارم والمنع لها عند الحروب، والحفاظ: المحافظة على العهد والمعاملة على الحرم ومنعها من العدو.

(٣) خطره: من فعل خطر. والخطر: الشرف والرفعة والمقصود أن قدرة ورقعة شأنه تعز عليه نفسه وترفض أن يجاري الناس في جميع أمورهم.

(٤) حلاًفاً من فعل حلف. والحلف والحلف: القسم لغتان، حلف أي أقسم ورجل حالف وحلف: كثير الحلف، والحلف: اليمين وأصلها العقد بالعزم والنية. ومنه الحديث: «من حلف على يمين فرأى غيرها خيراً منها».

إِمَّا مَهَانَةً^(١) يَجِدُهَا فِي نَفْسِهِ، وَضَرَعَ^(٢) وَحَاجَةً إِلَى تَصْدِيقِ النَّاسِ إِيَّاهُ.
وإِمَّا عِيً^(٣) بِالْكَلَامِ، فَيَجْعَلُ الْإِيمَانَ لَهُ حُشَوًّا وَوَصْلاً.
وإِمَّا تَهَمَّةٌ قَدْ عَرَفَهَا مِنَ النَّاسِ لِحَدِيثِهِ، فَهُوَ يُنْزِلُ نَفْسَهُ مَنَزَلَةً مَنْ لَا يُقْبَلُ قَوْلُهُ
إِلَّا بَعْدَ جَهْدِ الْيَمِينِ.
وإِمَّا عَبَثٌ^(٤) بِالْقَوْلِ وَإِرْسَالٌ لِلْسَّانِ عَلَى غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا حُسْنِ تَقْدِيرٍ، وَلَا
تَعْوِيدٍ، لَهُ قَوْلُ السَّدَادِ^(٥) وَالتَّبَثُ.

التفويض إلى الكفاة

لَا عَيْبَ عَلَى الْمَلِكِ فِي تَعْيِيهِ وَتَنْعِيمِهِ وَلَعِبِهِ وَلَهْوِهِ، إِذَا تَعَهَّدَ^(٦) الْجَسِيمَ مِنْ
أَمْرِهِ بِنَفْسِهِ، وَأَحْكَمَ الْمُهِمَّ، وَفَوَّضَ مَا دُونَ ذَلِكَ إِلَى الْكُفَاءِ.

ما يزين الجور ويحمل على الباطل

كُلُّ أَحَدٍ حَقِيقٌ^(٧)، حِينَ يَنْظُرُ فِي أُمُورِ النَّاسِ، أَنْ يَتَّهَمَ نَظْرَهُ بَعْضَ الرِّبِيَّةِ، وَقَلْبُهُ

(١) مهانة: من فعل هَوَّنَ، وَالْهَوْنُ: الْخِزْيُ. وَالْهَوَانُ: نَقِيزُ الْعِزِّ وَأَهَانُهُ وَاسْتِهَانُهُ بِهِ: اسْتَخْفَ بِهِ، وَرَجُلٌ فِيهِ مَهَانَةٌ أَيْ ذُلٌّ. وَالْمَهَانَةُ: مِنَ الْحَقَارَةِ مُصْدَرٌ مَهْنٌ مَهَانَةٌ إِذَا كَانَ حَقِيرًا.

(٢) الضرع من فعل ضَرَعَ، وَضَرَعَ إِلَيْهِ: خَضَعَ وَذَلَّ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ فَمَعْنَاهُ تَذَلَّلُوا وَخَضَعُوا. وَالتَضَرُّعُ: التَّلَوُّيُّ وَالِاسْتِغَاثَةُ وَالضَّارِعُ: الصَّغِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

(٣) عِيً: مِنْ فِعْلِ عَا، وَعِيً بِالْأَمْرِ عِيًّا: عَجَزَ عَنْهُ وَلَمْ يُطِقْ إِحْكَامَهُ. وَجَمْعُهُ أَعْيَاءٌ وَأَعْيَاءٌ. وَيُقَالُ عِيً عَنْ حُجَّتِهِ عِيًّا: إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لَوْجُهُ حُجَّتَهُ. وَعِيً فِي الْمَنْطِقِ عِيًّا: حَصَرٌ.

(٤) عَبَثٌ: مِنْ فِعْلِ عَبَثَ بِهِ بِالْكَسْرِ عَبَثًا: لَعِبَ، وَالْعَبَثُ: أَنْ تَعَبَثَ بِالشَّيْءِ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ إِنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا؟﴾ وَالْعَبَثُ: الْخَلْطُ.

(٥) السَّدَادُ: مِنْ فِعْلِ سَدَدَ، وَالسَّدِيدُ وَالسَّدَادُ: الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ. يُقَالُ: إِنَّهُ لَيَسِيدٌ فِي الْقَوْلِ وَهُوَ أَنْ يُصِيبَ بِعَيْنِ الْقَصْدِ. وَيُقَالُ: قُلٌّ قَوْلًا سَدَادًا أَيْ صَوَابًا. وَالتَّسْدِيدُ: التَّوْفِيقُ لِلْسَّدَادِ: وَهُوَ الصَّوَابُ وَالْقَصْدُ مِنَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

(٦) تَعَهَّدَ مِنْ فِعْلِ عَهَدَ: وَالْعَهْدُ كُلُّ مَا عُوْهِدَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَكُلُّ مَا بَيْنَ الْعِبَادِ مِنَ الْمَوَاقِيقِ، فَهُوَ عَهْدٌ. وَالْعَهْدُ: الْوَفَاءُ فِيمَا اتَّفَقَ الْمَلِكُ وَالرَّعِيَّةُ عَلَيْهِ، وَالْعَهْدُ التَّفَقُّدُ بِمَا يُلْزَمُ الرَّعِيَّةُ مِنْ أُمُورِ الْحَيَاةِ.

(٧) حَقِيقٌ: مِنْ فِعْلِ حَقَّ. وَالْحَقِيقُ: الْجَدِيرُ وَالْخَلِيقُ وَحَقِيقٌ أَنْ يَفْعَلَ كَذَا: أَيْ جَدِيرٌ بِهِ وَأَهْلٌ لَهُ، =

بِعَيْنِ الْمَقْتِ، فَإِنَّهُمَا يُزَيِّنَانِ الْجَوْرَ^(١) وَيَحْمِلَانِ عَلَى الْبَاطِلِ وَيُقَبِّحَانِ الْحَسَنَ وَيُحَسِّنَانِ الْقَبِيحَ.

وَأَحَقُّ النَّاسِ بِاتِّهَامِ نَظَرِهِ بِعَيْنِ الرِّيْبَةِ وَعَيْنِ الْمَقْتِ السَّلْطَانُ الَّذِي مَا وَقَعَ فِي قَلْبِهِ رَبَا^(٢) مَعَ مَا يُقَيِّضُ^(٣) لَهُ مِنْ تَرْيِينِ الْقُرْنَاءِ وَالْوُزَرَاءِ.

وَأَحَقُّ النَّاسِ بِإِجْبَارِ نَفْسِهِ عَلَى الْعَدْلِ فِي النَّظَرِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ الْوَالِي الَّذِي مَا قَالَ أَوْ فَعَلَ كَانَ أَمْرًا نَافِذًا غَيْرَ مُرْدُودٍ.

لِيَعْلَمَ الْوَالِي أَنَّ النَّاسَ يَصِفُونَ الْوَلَاةَ بِسُوءِ الْعَهْدِ وَنُسْيَانِ الْوَدِّ، فَلْيَكَايِدْ نَقْضَ^(٤) قَوْلِهِمْ، وَلْيَبْطِلْ عَنْ نَفْسِهِ وَعَنِ الْوَلَاةِ صِفَاتِ السُّوءِ الَّتِي يوصِفُونَ بِهَا.

تَفَقَّدَ الْوَالِي لِرَعِيَّتِهِ وَتَجَبَّهَ الْحَسَدَ

حَقُّ الْوَالِي أَنْ يَتَفَقَّدَ لَطِيفَ أُمُورِ رَعِيَّتِهِ، فَضْلًا عَنْ جَسِيمِهَا، فَإِنَّ لِلْطَّيْفِ مَوْضِعًا يَتَنَفَّعُ بِهِ، وَلِلْجَسِيمِ مَوْضِعًا لَا يَسْتَعْنِي عَنْهُ.

لِيَتَفَقَّدَ الْوَالِي، فِي مَا يَتَفَقَّدُ مِنْ أُمُورِ رَعِيَّتِهِ، فَاقَةَ الْأَخْيَارِ^(٥) وَالْأَحْرَارِ مِنْهُمْ،

= وَجَمْعُهُ أَجْفَاءٌ.

(١) الْجَوْرُ: مِنْ فَعَلَ جَوْرًا وَجَارَ، وَالْجَوْرُ: نَقِيضُ الْعَدْلِ وَقَوْمُ جَوْرَةٍ: أَيُ ظَلَمَةٍ، وَالْجَوْرُ ضِدُّ الْقَصْدِ. وَكُلُّ مَا مَالَ فَقْدَ جَارٍ، وَالْجَوْرُ: الْمَيْلُ عَنِ الْقَصْدِ. وَالْجَوَارُ: أَجْوَارُ.

(٢) رَبَا: رَبَا الشَّيْءُ يَرْبُو: نَمَا وَزَادَ. وَأَرَبَيْتُهُ: نَمَيْتُهُ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رَبًّا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُوَ عِنْدَ اللَّهِ﴾ أَيُ لِيَرْبُوَ مَا أُعْطَيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ لِتَأْخُذُوا أَكْثَرَ مِنْهُ فَذَلِكَ رُبُوءٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ زَكَاةً عِنْدَ اللَّهِ. وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تَرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَتِلْكَ تَرْبُوءٌ بِالتَّضْعِيفِ.

(٣) يُقَيِّضُ: مِنْ فَعَلَ قَيَّضَ، وَقَيَّضَ اللَّهُ لِفُلَانٍ: جَاءَهُ بِهِ وَأَتَانَهُ لَهُ وَقَيَّضَ اللَّهُ لَهُ قَرِينًا: هَيَّأَ وَسَبَّهَ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُهُ. وَمَنْ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ﴾. أَيُ هَيَّأْنَا وَسَبَّيْنَا لَهُمْ إِخْوَانَ وَأَعْوَانَ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرُونَ.

(٤) فَلْيَكَايِدْ نَقْضَ: الْكَيْدُ مِنْ فَعَلَ كَيْدًا. وَالْكَيْدُ: الْخُبْتُ وَالْمَكْرُ وَكَذَلِكَ الْمَكَايِدَةُ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَعَالَجُهُ فَاتَتْ تَكْيِيدُهُ. وَكَايَدَ الشَّيْءُ تَحْمِلَ الْمَشَاقِّ وَالْأَعْيَاءَ وَقَاسَاهُ. وَقَوْلُهُ نَقْضُ مِنْ فَعَلَ نَقَضَ. وَالنَّقْضُ: إِفْسَادٌ مَا أُبْرِمَتْ مِنْ عَقْدٍ أَوْ بِنَاءٍ وَالنَّقْضُ: ضِدُّ الْإِبْرَامِ، وَالْمُنَاقَضَةُ فِي الْقَوْلِ أَنْ يُتَكَلَّمَ بِمَا يَتَنَاقَضُ مَعْنَاهُ وَيَبْطُلُهُ.

(٥) فَاقَةُ الْأَخْيَارِ: مِنْ فَعَلَ فَوَقَّ. وَالْمُفْتَاقُ: الْمَحْتَاجُ وَافْتِاقَ الرَّجُلُ أَيُ افْتَقَرَ، وَالْفَاقَةُ الْفَقْرُ وَالْعُمُوزُ =

فَلْيَعْمَلْ فِي سَدِّهَا^(١)، وَطُعْيَانِ السَّفَلَةِ مِنْهُمْ فَلْيَقْمَعَهُ^(٢)، وَلْيَسْتَوْحِشْ^(٣) مِنَ الْكَرِيمِ الْجَائِعِ وَاللَّئِيمِ الشَّبْعَانِ، فَإِنَّمَا يَصُولُ^(٤) الْكَرِيمُ إِذَا جَاعَ، وَاللَّئِيمُ إِذَا شَبِعَ.

لَا يَتَّبِعِي لِلْوَالِي أَنْ يَحْسُدَ الْوَلَاةَ إِلَّا عَلَى حُسْنِ التَّدْبِيرِ.

وَلَا يَحْسُدَنَّ الْوَالِي مَنْ دُونَهُ فَإِنَّهُ أَقَلُّ فِي ذَلِكَ عُذْرًا مِنَ السُّوقَةِ الَّتِي إِنَّمَا تَحْسُدُ مَنْ فَوْقَهَا، وَكُلُّ لَا عُذْرَ لَهُ.

لَا يُلُومَنَّ الْوَالِي عَلَى الزَّلَّةِ^(٥) مَنْ لَيْسَ بِمُتَمِّهِ عِنْدَهُ فِي الْحِرْصِ عَلَى رِضَاةِ الْوَلَاةِ أَوْ دَبِّ وَتَقْوِيمِ^(٦)، وَلَا يَعْدِلَنَّ بِالْمُجْتَهِدِ فِي رِضَاةِ الْبَصِيرِ بِمَا يَأْتِي أَحَدًا.

فَإِنَّمَا إِذَا اجْتَمَعَا فِي الْوَزِيرِ وَالصَّاحِبِ نَامَ الْوَالِي وَاسْتَرَاحَ، وَجُلِبَتْ إِلَيْهِ حَاجَاتُهُ، وَإِنْ هَذَا عَنْهَا، وَعُمِلَ لَهُ فِيمَا يُهْمُهُ وَإِنْ غَفَلَ.

لَا يُؤْلَعَنَّ الْوَالِي بِسُوءِ الظَّنِّ لِقَوْلِ النَّاسِ، وَلْيَجْعَلْ لِحُسْنِ الظَّنِّ مِنْ نَفْسِهِ نَصِيبًا مَوْفُورًا يُرَوِّحُ بِهِ^(٧) عَنْ قَلْبِهِ وَيُضِدِّرُ عَنْهُ^(٨) فِي أَعْمَالِهِ.

= والحاجة. وفي الحديث: «كانوا أهل بيت فاقه». وفاقه الأخيار: أكثرهم حاجة وفقراً.

(١) سَدَّهَا: من فعل سدَّ. والسدُّ: الصواب من القول والقصد إليه. وقصد هنا سدَّ ما يحتاجونه ويفتقرون إليه يومياً.

(٢) يَقْمَعُهُ: من فعل قَمَعَ، وَقَمَعَهُ: رَدَعَهُ وَكَفَّهُ، وَالْقَمْعُ: أَنْ تَقْمَعَ آخِرَ الْكَلَامِ حَتَّى تَتَصَاغَرَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَاقْمَعَ الرَّجُلُ: إِذَا طَلَعَ عَلَيْهِ قَرْدُهُ وَقَمَعَهُ: قَهَرَهُ.

(٣) تَسْتَوْحِشُ من فعل وَحَشَ. والوحش: كل شيء من دواب البر مما لا يَسْتَأْنِسُ مَوْسِمًا. واستوحش منه: لم يَأْنَسْ بِهِ فَكَانَ كَالْوَحْشِيِّ.

(٤) يَصُولُ: من فعل صَالَ يَصُولُ: يَسْطُو وَيَقْهَرُ. قيل: إنه ذو صولة على الطعام يأكله وينهكه ويفضي عليه.

(٥) الزَّلَّةُ من فعل زَلَلَ، وَالزَّلَّةُ: الْخَطَا وَالذَّنْبُ. وَمَقَامُ زُلٍّ: يُزَلُّ فِيهِ. يُقَالُ: إِذَا زَلَّتْ قَدَمُهُ قِيلَ: زَلَّ وَإِذَا زَلَّ فِي مَقَالٍ أَوْ نَحْوِهِ قِيلَ زَلَّ زَلَّةً.

(٦) وتقويم من فعل قوم، يُقَالُ: اسْتَقَامَ لَهُ الْأَمْرُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ عَلَى مَعْنَى اسْتَقَامُوا: عَمِلُوا بِطَاعَتِهِ وَلِزَمُوا سُنَّةَ نَبِيِّهِ.

(٧) يُرَوِّحُ بِهِ: مِنْ فِعْلِ رَوَّحَ. وَالرَّوْحُ أَيْضاً: السَّرُورُ وَالْفَرَحُ وَقِيلَ: الرَّوْحُ: الْإِسْتِرَاحَةُ مِنْ غَمِّ الْقَلْبِ، وَفِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَيَاسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ﴾ أَيِ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، سَمَّاهَا رَوْحًا.

(٨) يصدر عنه: من فعل صدر، والصدر نقيض الورود، والمقصود أنه (أي الأديب) يجعله أساساً لبيني =

لَا يُضَيِّعَنَّ الْوَالِي التَّثَبُّتَ عِنْدَمَا يَقُولُ، وَعِنْدَمَا يُعْطِي، وَعِنْدَمَا يَعْمَلُ.

فَإِنَّ الرُّجُوعَ عَنِ الصُّمْتِ أَحْسَنُ مِنَ الرُّجُوعِ عَنِ الْكَلَامِ، وَإِنَّ الْعَطِيَّةَ بَعْدَ الْمَنَعِ أَجْمَلُ مِنَ الْمَنَعِ بَعْدَ الْإِعْطَاءِ، وَإِنَّ الْإِقْدَامَ عَلَى الْعَمَلِ بَعْدَ التَّأْنِي فِيهِ أَحْسَنُ مِنَ الْإِمْسَاكِ^(١) عَنْهُ بَعْدَ الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ.

وَكُلُّ النَّاسِ مُحْتَاجٌ إِلَى التَّثَبُّتِ.

وَأَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ مُلُوكُهُمُ الَّذِينَ لَيْسَ لِقَوْلِهِمْ وَفِعْلِهِمْ دَافِعٌ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ مُسْتَحْتَجٌّ^(٢).

كيف يكسد الفجور والدناءة

لِيَعْلَمَ الْوَالِي أَنَّ النَّاسَ عَلَى رَأْيِهِ إِلَّا مَنْ لَا بَالَ لَهُ^(٣). فَلْيَكُنْ لِلدِّينِ وَالْبِرِّ وَالْمُرُوءَةِ عِنْدَهُ نَفَاقٌ^(٤) فَيَكْسِدَ بِذَلِكَ الْفُجُورَ وَالْدَّنَاءَةَ فِي آفَاقِ الْأَرْضِ.

ما يحتاج إليه الوالي من أمر الدنيا

جِمَاعُ^(٥) مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْوَالِي مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا رَأْيَانٍ: رَأْيٌ يُقَوِّي بِهِ سُلْطَانَهُ، وَرَأْيٌ يُزِينُهُ^(٦) فِي النَّاسِ.

= عليه أفعاله.

(١) الْإِمْسَاكُ: مِنْ فَعَلَ مَسَكَ، وَمَسَكَ بِالشَّيْءِ وَامْتَسَكَ: اخْتَبَسَ وَمِنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُتِمُّونَ الْكِتَابَ﴾ وَاسْتَمْسَكَتْ بِهِ بِمَعْنَى اعْتَصَمْتُ، وَقِيلَ مَسَّيْتُ بِالْكَسْرِ وَالتَّشْدِيدِ أَيْ شَدِيدَ الْإِمْسَاكِ لِمَالِهِ وَهِيَ مِنْ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ.

(٢) مُسْتَحْتَجٌّ مِنْ فَعَلَ حَتَّ، وَالْحَتُّ: الْإِعْجَالُ فِي اتِّصَالٍ. وَحَتَّهْ وَحَتَّهْ أَيْ حَضَّهْ وَنَشَطَّهْ. وَوَلَّى حَتِيئًا أَيْ مَسْرَعًا حَرِيصًا، وَرَجُلٌ حَتِيئٌ: حَادٌّ سَرِيعٌ فِي أَمْرِهِ كَأَنَّهُ نَفْسَهُ تَحْتَهُ.

(٣) لَا بَالَ لَهُ: لَا قَدْرَ لَهُ وَلَا شَرَفَ وَلَا مَنَزَلَةَ.

(٤) نَفَاقٌ: مِنْ فَعَلَ نَفَقَ، وَنَفَقَ الْبَيْعُ نَفَاقًا: رَاجٍ، وَالْمُنْفَقُ: سِلْعَتُهُ بِالتَّشْدِيدِ: مِنَ النَّفَاقِ وَهُوَ ضِدُّ الْكَسَادِ.

(٥) جِمَاعٌ مِنْ فَعَلَ جَمَعَ: وَجَمَعَ الشَّيْءَ عَنْ تَفَرُّقِهِ: يَجْمَعُهُ جَمْعًا. وَمِنَ فِي الْحَدِيثِ: «حَدَّثَنِي بِكَلِمَةٍ تَكُونُ جِمَاعًا فَقَالَ: أَتَى اللَّهَ فِيمَا تَعْلَمُ؟» الْجِمَاعُ مَا جَمَعَ عَدَدًا أَيْ كَلِمَةٌ تَجْمَعُ كَلِمَاتٌ.

(٦) يُزِينُهُ: مِنْ فَعَلَ زَانَ، وَزَانَهُ الْحُسْنُ يُزِينُهُ، وَالْمَقْصُودُ هُنَا بِحَبِّهِ فِي النَّاسِ وَالْخَلْقِ.

وَرَأَى الْقُوَّةَ أَحَقَّهُمَا بِالْبِدْءَةِ وَأَوَّلَاهُمَا ^(١) بِالْأَثَرَةِ ^(٢).

وَرَأَى التَّزْيِينَ أَحْضَرُهُمَا حَلَاوَةً وَأَكْثَرُهُمَا أَعْوَانًا.

مَعَ أَنَّ الْقُوَّةَ مِنَ الزَّيْنَةِ، وَالزَّيْنَةُ مِنَ الْقُوَّةِ. وَلَكِنَّ الْأَمْرَ يُنْسَبُ إِلَى مُعْظَمِهِ وَأَصْلِهِ.

ماذا على المبتلي بصحبة السلطان وصحبة الوالي

إِنْ ابْتَلَيْتَ بِصُحْبَةِ السُّلْطَانِ فَعَلَيْكَ بِطُولِ الْمُوَاطَّئَةِ فِي غَيْرِ مُعَاتَبَةٍ، وَلَا يُحَدِّثَنَّ لَكَ الْاسْتِثْنَاءُ بِهِ غَفْلَةً وَلَا تَهَاوُنًا.

إِذَا رَأَيْتَ السُّلْطَانَ يَجْعَلُكَ أَخًا فَاجْعَلْهُ أَبًا، ثُمَّ إِنْ زَادَكَ فَزِدْهُ.

إِذَا نَزَلْتَ مِنْ ذِي مَنْزِلَةٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا تَرَيْنَ أَنَّ سُلْطَانَهُ زَادَكَ لَهُ تَوْقِيرًا وَإِجْلَالًا، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَزِيدَكَ وُدًّا وَلَا نُصْحًا. وَأَنْتَ تَرَى حَقًّا لَهُ التَّوْقِيرَ وَالْإِجْلَالَ. وَكُنْ فِي مُدَارَاتِهِ وَالرَّفْقِ بِهِ كَالْمُؤْتَنِفِ مَا قَبْلَهُ، وَلَا تُقَدِّرِ الْأَمْرَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَلَى مَا كُنْتَ تَعْرِفُ مِنْ أَخْلَاقِهِ، فَإِنَّ الْأَخْلَاقَ مُسْتَحِيلَةٌ ^(٣) مَعَ الْمَلِكِ، وَرَبِّمَا رَأَيْنَا الرَّجُلَ الْمُدِيلَ ^(٤) عَلَى ذِي السُّلْطَانِ بِقَدَمِهِ قَدْ أَضَرَّ بِهِ قَدَمُهُ.

إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تَصْحَبَ مَنْ صَحِبْتَ مِنَ الْوَلَاةِ إِلَّا عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ قَرَابَةٍ ^(٥) أَوْ

(١) أولاهما: من فعل أول، وآل الشيء يؤول: يرجع والمقصود هنا أولهم أي أجدرهم وأحقهم.

(٢) الأثر من فعل أثر، واستأثر بالشيء على غيره: خص به نفسه واستبد به. ورجل أثر: يستأثر على أصحابه في القسم. ومنه الحديث: قال للأنصار: «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا».

(٣) مستحيلة من فعل حول: كل شيء تغير من الاستواء إلى العوج فقد حال واستحال، وهو مستحيل، يقال: تغيرت هذه المرأة كالقوس التي أصابها الطل فنديت ونزع عنها الوتر ثلاث سنين فزاع عجزها واعوج وقيل: حال وتر القوس: زال عند الرمي.

(٤) المديل: من فعل دمل. وأدل عليه وتدل: انبسط، ودل المرأة ودلأها: تدللها على زوجها. وذلك أن ثريه جراءة عليه في تنجج وتشكل، كأنها تخالف وليس بها خلاف.

(٥) شعبة من قرابة: من فعل شعب والشعب: الجمع. وفي حديث عائشة رضي الله عنها، ووصفت أباها يراب شعبها أي يجمع متفرق أمر الأمة وكتبها. وشعبة من قرابة أي ما يجمعه من صلة =

مَوَدَّةٍ، فافْعَلْ. فَإِنْ أَخْطَأَكَ ذَلِكَ فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَعْمَلُ عَلَى السُّخْرَةِ^(١).

إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَجْعَلَ صُحْبَتَكَ لِمَنْ قَدْ عَرَفَكَ بِصَالِحِ مُرُوءَتِكَ وَصِحَّةِ دِينِكَ وَسَلَامَةِ أُمُورِكَ قَبْلَ وَلَايَتِهِ فافْعَلْ.

فَإِنَّ الْوَالِيَّ لَا عِلْمَ لَهُ بِالنَّاسِ إِلَّا مَا قَدْ عَلِمَ قَبْلَ وَلَايَتِهِ. أَمَّا إِذَا وَلِيَ فَكُلِّ النَّاسِ يَلْقَاهُ بِالتَّزَيُّنِ وَالتَّصْنَعِ^(٢) وَكُلُّهُمْ يَحْتَالُ لَأَنْ يُثْنِيَ عَلَيْهِ عِنْدَهُ بِمَا لَيْسَ فِيهِ. غَيْرَ أَنَّ الْأَنْذَالَ وَالْأَرْذَالَ هُمْ أَشَدُّ لَذَلِكَ تَصْنَعًا وَأَشَدُّ عَلَيْهِ مُثَابَرَةً وَفِيهِ تَمَحُّلاً^(٣).

فَلَا يَمْتَنِعُ الْوَالِي، وَإِنْ كَانَ بَلِيغَ الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ، مِنْ أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَهُ كَثِيرٌ مِنَ الْأَشْرَارِ بِمَنْزِلَةِ الْأَخْيَارِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْخَائَةِ^(٤) بِمَنْزِلَةِ الْأَمْنَاءِ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْغَدَرَةِ^(٥) بِمَنْزِلَةِ الْأَوْفِيَاءِ، وَيُغْطِي^(٦) عَلَيْهِ أَمْرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ الَّذِينَ يَصُونُونَ أَنْفُسَهُمْ عَنِ التَّمَحُّلِ وَالتَّصْنَعِ.

إِذَا عَرَفْتَ نَفْسَكَ مِنَ الْوَالِي بِمَنْزِلَةِ الثَّقَةِ، فَاعْرِزْ عَنْهُ كَلَامَ الْمَلَقِ^(٧)، وَلَا

= النسب والدم من القرابة.

(١) السُّخْرَةُ: من فعل سَخَرَ، وَسَخَّرَهُ تَسْخِيرًا كَلَفَهُ عَمَلًا بِلا أَجْرَةٍ. ومنه قوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ وهو الانتفاع بها في منابهم والافتداء بها في مسالكهم.

(٢) التَّصْنَعُ: من فعل صنع، والتَّصْنَعُ: تَكَلَّفُ الصَّلَاحِ وليس به، والتَّصْنَعُ: تَكَلَّفُ حُسْنِ السَّمْتِ وإظهاره والتَّزَيُّنُ به والباطن مدخول.

(٣) التَّمَحُّلُ: من فعل محل. والتَّمَحُّلُ: التَّكَايِدُ، والمَحَالُ: الغضب والتدبير، ورجل مَحِلُّ أي ذو كَيْدٍ. وَتَمَحَّلُ أي احتال فهو مَتَمَحِّلٌ يقال: تَمَحَّلَ لي خيراً أي اطلُبْهُ.

(٤) الخائَةِ: من فعل خون. والخَوْنُ أَنْ يُؤْتَمَنَ الْإِنْسَانُ فَلَا يَنْصَحُ. والجمع خائَةٍ، وخائَةِ الدَّهْرِ: غَيْرُ حاله من اللين إلى الشدة. وفي التنزيل العزيز ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ﴾.

(٥) الْغَدَرَةُ: من فعل غَدَرَ، والغَدَرُ: خِيَاةُ الْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ. وقيل: الْغَدَرُ ترك الوفاء. ويقال: غَدَرَ إِذَا نقض العهد. ويقال للمذكر غَدَرَ وللمؤنث غَدَارٌ وهما مختصان بالنداء. ومنه قول عائشة قالت للقياس: «اجْلِسْ غَدَرُ».

(٦) يُغْطِي: من فعل غطط، وَغَطَّه في الماء: غَطَّسَهُ وَغَوَّسَهُ. الغَطُّ: الغَصْرُ الشَّدِيدُ وَالْكَبْسُ. وفي الحديث: «فَأَخَذَنِي جَبْرِيلُ فَغَطَّنِي».

(٧) الْمَلَقُ: من فعل ملق والمَلَقُ: الذي لا يصدق في مودته.

تُكْثِرْنَ مِنَ الدَّعَاءِ لَهُ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ، فَإِنَّ ذَلِكَ شَبِيهُ بِالْوَحْشَةِ وَالْغُرْبَةِ، إِلَّا أَنْ تُكَلِّمَهُ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ، فَلَا تَأَلَّ (١) عَمَّا عَظَّمَهُ وَوَقَّرَهُ.

لَا يَعْرِفَنَّ الْوَلَاةُ بِالْهَوَى فِي بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ وَلَا قَبِيلَةٍ مِنَ الْقَبَائِلِ، فَيُوشِكُ أَنْ تُحْتَاجَ فِيهِمَا إِلَى حِكَايَةٍ أَوْ شَهَادَةٍ، فَتُتَّهَمَ فِي ذَلِكَ.

فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ يُقْبَلَ قَوْلُكَ فَصَحِّحْ رَأْيَكَ وَلَا تَشَوِّبْهُ (٢) بِشَيْءٍ مِنَ الْهَوَى، فَإِنَّ الرَّأْيَ الصَّحِيحَ يَقْبَلُهُ مِنْكَ الْعَدُوُّ، وَالْهَوَى يَرُدُّهُ عَلَيْكَ الْوَلَدُ وَالصَّدِيقُ.

وَاحْتَقِ مِنَ اخْتَرَسَتْ مِنْ أَنْ يَظُنَّ بِكَ خَلَطَ الرَّأْيِ بِالْهَوَى الْوَلَاةُ، فَإِنَّهَا خَدِيعَةٌ وَخِيَانَةٌ وَكُفْرٌ عِنْدَهُمْ.

إِنْ ابْتَلَيْتَ بِصُحْبَةٍ وَالٍ لَا يُرِيدُ صَلَاحَ رَعِيَّتِهِ فَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ خُيِّرْتَ بَيْنَ خَلَّتَيْنِ لَيْسَ مِنْهُمَا خِيَارٌ:

إِمَّا الْمَيْلُ مَعَ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ، وَهَذَا هَلَاكُ الدِّينِ.

وَأَمَّا الْمَيْلُ مَعَ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي، وَهَذَا هَلَاكُ الدُّنْيَا، وَلَا جِيلَةَ لَكَ إِلَّا الْمَوْتُ أَوْ الْهَرَبُ.

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكَ، وَإِنْ كَانَ الْوَالِي غَيْرَ مَرْضِيٍّ السَّيْرَةَ إِذَا عَلِقْتَ جِبَالَكَ بِجِبَالِهِ (٣)، إِلَّا الْمُحَافَظَةَ عَلَيْهِ، إِلَّا أَنْ تَجِدَ إِلَى الْفِرَاقِ الْجَمِيلِ سَبِيلًا.

تَبَصَّرْ (٤) مَا فِي الْوَالِي مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي تُحِبُّ لَهُ وَالَّتِي تُكْرَهُ وَمَا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ

(١) لَا تَأَلَّ: مَنْ فَعَلَ تَأَلَّ وَالتَّوَلَّى بِالضَّمِّ: الدَّاهِيَةُ وَقِيلَ: التَّأَلَّى: الَّذِي كَأَنَّهُ يَنْهَضُ بِرَأْسِهِ إِذَا مَشَى يُحَرِّكُهُ إِلَى فَوْقِ عَظْمَةٍ وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَنْ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ لَا تَمْدَحَ مُقْتَصِرًا بِمَا لَيْسَ فِيهِ وَيُخَالِفُهُ.

(٢) تَشَوِّبْتُهُ: مِنْ فَعَلَ شَوَّبَ، وَالشَّوْبُ: الْخَلْطُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ أَيِ خَلْطٍ وَمِزَاجٍ.

(٣) بِجِبَالِهِ: مَنْ فَعَلَ حَبَلَ. وَالْحَبْلُ: الرِّبَاطُ بِفَتْحِ الْحَاءِ. وَالْجَمْعُ أَحْبَلُ وَجِبَالٌ وَأَحْبَالٌ. وَالْحَبْلُ: التَّوَاصُلُ، وَالْحَبْلُ: الْوِصَالُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ وَالْإِعْتَصَامُ هُوَ تَرْكُ الْفَرْقَةِ وَاتِّبَاعُ الْقُرْآنِ وَهَذَا يَقْصِدُ اتِّبَاعَ الْوَالِي حَتَّى وَلَوْ كَانَ غَيْرَ مَرْضِيٍّ السَّيْرَةَ.

(٤) تَبَصَّرَ: مَنْ فَعَلَ بَصَرَ، وَالتَّبَصُّرُ: التَّنَبُّرُ وَمُشَاهَدَةُ الْأَشْيَاءِ ظَاهِرًا وَخَافِيًا عَنِ الصَّنْعَةِ الَّتِي يَتَكَشَّفُ =

الرأي الذي تَرْضَى لَهُ والذي لا تَرْضَى. ثُمَّ لَا تُكَابِرُنَّه^(١) بِالتَّحْوِيلِ لَهُ عَمَّا يُجِبُّ وَيَكْرَهُ إِلَى مَا تُحِبُّ وَتَكْرَهُ. فَإِنْ هَذِهِ رِيَاضَةٌ صَعْبَةٌ تَحْمِلُ عَلَى التَّنَائِي وَالْقَلَى^(٢).

فَإِنَّكَ قَلَّمَا تَقْدِرُ عَلَى رَدِّ رَجُلٍ عَنْ طَرِيقَةٍ هُوَ عَلَيْهَا بِالمُكَابَرَةِ وَالمُنَاقَضَةِ^(٣)، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يَجْمَعُ بِهِ^(٤) عِزُّ السُّلْطَانِ. وَلَكِنَّكَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ تُعِينَهُ عَلَى أَحْسَنِ رَأْيِهِ، وَتُسَدِّدَهُ فِيهِ وَتُزَيِّنَهُ، وَتُقَوِّيَهُ عَلَيْهِ. فَإِذَا قَوَّيْتَ مِنْهُ المَحَاسِنُ كَانَتْ هِيَ الَّتِي تَكْفِيكَ المَسَاوِيءَ. وَإِذَا اسْتَحْكَمْتَ مِنْهُ نَاجِيَةً مِنَ الصَّوَابِ كَانَ ذَلِكَ الصَّوَابُ هُوَ الَّذِي يُبْصِرُهُ مَوَاقِعَ الخَطَا بِالطَّفِّ مِنْ تَبْصِيرِكَ وَأَعْدَلَ مِنْ حُكْمِكَ فِي نَفْسِهِ. فَإِنْ الصَّوَابُ يُؤَيِّدُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَيَدْعُو بَعْضُهُ إِلَى بَعْضٍ حَتَّى تَسْتَحْكِمَ^(٥) لِصَاحِبِهِ الْأَشْيَاءَ، وَيُظْهَرَ عَلَيْهَا بِتَحْكِيمِ الرَّأْيِ، فَإِذَا كَانَتْ لَهُ مَكَانَةٌ مِنَ الْأَصَالَةِ اقْتَلَعَ ذَلِكَ الخَطَأُ كُلَّهُ.

فَاحْفَظْ هَذَا البَابَ وَأَحْكِمُهُ.

لَا تَسْأَلِ السُّلْطَانَ وَلَا تَتَدَلَّلْ عَلَيْهِ

لَا يَكُونَنَّ طَلَبُكَ مَا عِنْدَ الْوَالِي بِالمَسْأَلَةِ، وَلَا تَسْتَبْطِئْهُ، وَإِنْ أَبْطَأَ عَلَيْكَ.

= بها تمام نعت الوالي والتدبر لها بحكمة وروية.

(١) تُكَابِرُنَّه: من فعل كَبَر، وَكَبَّرَ الأمر: جعله كبيراً واستكبره: رآه كبيراً، والاستكبار: الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبراً.

(٢) القلى: من فعل قلا. والقلى: الغرض، وقليته قلى: أبغضته وكرهته غاية الكراهة فتركته، وتقلّى الشيء: تبغض. وفي التنزيل العزيز: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى﴾ معناه ما يقطع الوحي عنك ولا أبغضك.

(٣) المناقضة: من فعل نقض. والنقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو عهد والنقض: ضد الإبرام، والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه.

(٤) يجمع به: من فعل جمع، جمع الفرس بصاحبه: ذهب يجري جرياً. والجموع من الرجال: الذي يركب هواه فلا يمكن رده.

(٥) تستحكم: من فعل حكم، واحتكم الأمر واستحكم: وثق. واستحكم الرجل: إذا تناهى عما يضره في دينه أو دنياه.

ولكن اطلب ما قبله بالاستحقاق له، واستأن^(١) به وإن طالبت الأنساء منه^(٢). فإنك إذا استحققتك أنك عن غير طلب، وإن لم تستبطئه كان أعجل له.

لا تخبرن الوالي أن لك عليه حقاً، وأنك تعتد^(٣) عليه ببلاء^(٤) وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلاءك فافعل. وليكن ما يذكره به من ذلك تجديدك له النصيحة والاجتهاد، وألا يزال ينظر منك إلى آخر يذكره أول بلائك.

واعلم أن السلطان إذا انقطع عنه الآخر نسي الأول، وأن الكثير من أولئك أرحامهم^(٥) مقطوعة وجباثهم مضرومة^(٦)، إلا عمن رضوا عنه وأغنى عنهم^(٧) في يومهم وساعتهم.

إياك أن يقع في قلبك تعتب على الوالي أو استزراء له.

فإنه إن وقع في قلبك بدا في وجهك، إن كنت حليماً، وبدا على لسانك، إن كنت سفيهاً.

(١) استأن: من فعل أي الشيء وتأنى: إذا رفق. يقال: استأنيت بكم أي انتظرت ولم أعجله وقيل استأن في أمرك أي لا تعجل.

(٢) الأنساء: من فعل أي. والأنساء والإنساء: الذي يرتفق به. وقيل: آنت الشيء: أخرته. والأنساء: التؤدة. وتأنى في الأمر أي ترفق. ويقال: تأنيتك حتى لا أناة بي.

(٣) تعتد: من فعل عدد، وعد الأمر وعده فاعتد أي صار معدوداً واعتد به، وعداد فلان من بني فلان أي أنه يعد معهم في ديوانهم.

(٤) ببلاء: من فعل بلا، وبلوت الرجل بلواً وبلاء: اختبرته وجربته. وابتلاه الله: امتحنه، والبلاء يكون في الخير والشر.

(٥) أرحامهم: من فعل رجم، والرجم: الرجم، وما أقرب رجم فلان إذا كان ذا مرحمة وبر أي ما أرحمه وأبره وأقربه عطفاً وأمسس بالقرابة. والرجم: القرابة وقيل: أسباب القرابة.

(٦) مضرومة من فعل صرم. والصرم: القطع البائن. وقيل: الهجران في موضعه. الصرم: دخيل وهو القطع البائن للحبل والعذقي.

(٧) أغنى عنهم: من فعل غنا، والغناء بالفتح: النفع. وقيل غناه في الدعاء وأغناه في الخير. واستغنى الرجل: أصابه غنى. وأغنى الله الرجل أي صار له مال.

فَإِنْ لَمْ يَزِدْ ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَظْهَرَ فِي وَجْهِكَ لَأَمِنْ النَّاسِ عِنْدَكَ فَلَا تَأْمَنْ أَنْ يَظْهَرَ ذَلِكَ لِلْوَالِي .

فَإِنَّ النَّاسَ إِلَى السُّلْطَانِ بِعَوْرَاتٍ ^(١) الْإِخْوَانِ سِرَاعٌ، فَإِذَا ظَهَرَ ذَلِكَ لِلْوَالِي كَانَ قَلْبُهُ هُوَ أَسْرَعَ إِلَى التَّفَوُّرِ وَالتَّغْيِيرِ مِنْ قَلْبِكَ فَمَحَقَ ^(٢) ذَلِكَ حَسَنَاتِكَ الْمَاضِيَةَ، وَأَشْرَفَ بِكَ عَلَى الْهَلَاكِ، وَصِرْتَ تَعْرِفُ أَمْرَكَ مُسْتَدْبِرًا ^(٣) وَتَلْتَمِسُ مَرْضَاةَ سُلْطَانِكَ مُسْتَضْعِبًا. وَلَوْ شِئْتَ كُنْتَ تَرْكُهُ رَاضِيًا وَازْدَدْتُ مِنْ رِضَاهُ دُنُوًا.

احذر سخط السلطان واخضع له

اعْلَمْ أَنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ عَدُوًّا جَاهِدًا حَاضِرًا جَرِيئًا وَاشِيئًا وَزِيرُ السُّلْطَانِ ذُو الْمَكَانَةِ عِنْدَهُ. إِنَّهُ مَنُفُوسٌ عَلَيْهِ ^(٤) مَكَانُهُ بِمَا يُنْفُسُ عَلَى صَاحِبِ السُّلْطَانِ، وَمَحْسُودٌ كَمَا يُحْسَدُ. غَيْرَ أَنَّهُ يُجْتَرَأُ عَلَيْهِ، وَلَا يُجْتَرَأُ عَلَى السُّلْطَانِ. لِأَنَّ مِنْ حَاسِدِيهِ أَجْبَاءَ السُّلْطَانِ وَأَقَارِبَهُ الَّذِينَ يُشَارِكُونَهُ فِي الْمَدَاحِلِ ^(٥) وَالْمَنَازِلِ ^(٦). وَهُمْ

(١) بعورات: من فعل عَوَرَ. والعَوْرَةُ: الْخَلْلُ فِي الثَّفَرِ وَغَيْرِهِ، وَيُوصَفُ بِهِ مَنْكُورًا فَيَكُونُ لِلوَاحِدِ وَالْجَمْعِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ، وَقِيلَ: الْعَوْرَةُ: كُلُّ مُمْكِنٍ لِلشَّرِّ. وَعَوْرَةُ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ: سَوَاتِمُهُمَا وَالْجَمْعُ عَوْرَاتٌ.

(٢) مَحَقَ: الْمَحَقُّ: النِّقْصَانُ وَذَهَابُ الْبَرَكَةِ. يَقَالُ: مَحَقَهُ اللَّهُ أَيَّ ذَهَبَ خَيْرُهُ. وَمِنَ الْحَدِيثِ: وَمَا مَحَقَ الْإِسْلَامَ شَيْءٌ مَاءً.

(٣) مُسْتَدْبِرًا: مِنْ فِعْلِ دَبَّرَ. وَالْإِدْبَارُ: نَقِيضُ الْإِقْبَالِ. وَالْإِسْتِدْبَارُ: خِلَافُ الْإِسْتِقْبَالِ، وَفُلَانٌ مُسْتَدْبِرٌ الْمَجْدُ أَوْ الْأَمْرُ أَيُّ مُسْتَقْبَلٍ لِمَا يَرَى فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ مَا لَمْ يَرْقُبْ إِبْتِدَاءَهُ مِنْ كَرِيمٍ مَجْدِهِ. وَقِيلَ: فُلَانٌ مَا لَهُ قِبْلَةٌ وَلَا دِبْرَةٌ: إِذَا لَمْ يَهْتَدِ لِهَجَّةٍ أَمْرِهِ.

(٤) مَنُفُوسٌ: مِنْ فِعْلِ نَفَسَ. وَالتَّنَفُّسُ: الْعَيْنُ. وَالْمَنُفُوسُ: الْمَعْيُونُ، وَالتَّنَفُّوسُ: الْعَيُونُ الْحَسُودُ الْمُتَعِينُ لِأَمْوَالِ النَّاسِ لِبُصِيَّتِهَا، وَمَا أَنْفَسَهُ أَيُّ مَا أَشَدَّ عَيْنَهُ. وَيَقَالُ: نَفَسَ عَلَيْكَ فُلَانٌ نَفْسُ أَيُّ حَسَدِكَ.

(٥) الْمَدَاحِلُ: مِنْ فِعْلِ دَخَلَ. الْوَاحِدُ مَدْخَلٌ. وَالْمَدَخِلُ: الْبَيْتُ أَوْ بِلَاطُ السُّلْطَانِ كَمَا قَصَدَهُ ابْنُ الْمُقَفَّعِ فِيهِ يَوَاجُهُ حَسَادُهُ رَغْمَ عَنْهُ وَكَرِهَ مِنْهُ.

(٦) الْمَنَازِلُ مِنْ فِعْلِ نَزَلَ. وَالْمَنْزِلَةُ: الرُّتْبَةُ لَا تَجْمَعُ. وَامْتَنَزَلَ فُلَانٌ أَيُّ حُطَّ عَنْ مَرْتَبَتِهِ. وَالْمَنْزُولُ: الدَّرَجَةُ.

وَعَبَرَهُمْ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِينَ هُمْ حُضَارُهُ لَيْسُوا كَعَدُوِّ السَّلْطَانِ النَّائِي عَنْهُ وَالْمُكْتَبِمِ مِنْهُ. وَهُمْ لَا يَنْقَطِعُ طَمَعُهُمْ مِنَ الظَّفَرِ بِهِ، فَلَا يَغْفُلُونَ عَنْ نَصَبِ الْحَبَائِلِ ^(١) لَهُ.

فَاعْرِفْ هَذِهِ الْحَالَ، وَالْبَسْ لَهُؤُلَاءِ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ أَعْدَاؤُكَ سِلَاحَ الصَّحَّةِ وَالِاسْتِقَامَةِ وَلُزُومَ الْمَحَبَّةِ ^(٢) فِيمَا تُسِرُّ وَتُعْلِنُ. ثُمَّ رَوْحٌ عَنْ قَلْبِكَ ^(٣) حَتَّى كَأَنَّكَ لَا عَدُوَّ لَكَ وَلَا حَاسِدًا.

وَإِنْ ذَكَرَكَ ذَاكِرٌ عِنْدَ السَّلْطَانِ بِسُوءٍ فِي وَجْهِكَ أَوْ فِي غَيْبَتِكَ فَلَا يَرَيْنَ السَّلْطَانُ وَلَا غَيْرُهُ مِنْكَ اخْتِلَاطًا لِذَلِكَ وَلَا اغْتِيَاظًا وَلَا ضَجْرًا.

وَلَا يَقَعَنَّ ذَلِكَ فِي نَفْسِكَ مَوْقِعَ مَا يَكْرَهُكَ ^(٤)، فَإِنَّهُ إِنْ وَقَعَ مِنْكَ ذَلِكَ الْمَوْقِعَ، أَدَخَلَ عَلَيْكَ أُمُورًا مُشْتَبِهَةً بِالرَّيْبَةِ مُذَكَّرَةً لِمَا قَالَ فِيكَ الْعَائِبُ. وَإِنْ اضْطَرَّكَ الْأَمْرُ فِي ذَلِكَ إِلَى الْجَوَابِ فَإِيَّاكَ وَجَوَابَ الْغَضَبِ وَالِانْتِقَامِ، وَعَلَيْكَ بِجَوَابِ الْحُجَّةِ فِي جِلْمٍ وَوَقَارٍ. وَلَا تُشَكَّنْ فِي أَنَّ الْغَلْبَةَ وَالْقُوَّةَ لِلْحَلِيمِ أَبَدًا.

لَا تَتَكَلَّمَنَّ عِنْدَ الْوَالِي كَلَامًا أَبَدًا إِلَّا لِعِنَايَةٍ ^(٥)، أَوْ يَكُونَ جَوَابًا لِشَيْءٍ سُئِلْتَ عَنْهُ. وَلَا تُحْضِرَنَّ عِنْدَ الْوَالِي كَلَامًا أَبَدًا لَا تُعْنَى بِهِ أَوْ تُؤْمَرُ بِحُضُورِهِ.

(١) الحبايل: من فعل حَبَلَ. والحبايل: الذي يُنصبُ الجباكة. وقيل: ثار حبايلهم على نابيلهم إذا أوقدوا الشر بينهم هذه من أمثال العرب في الشدة ويقال للقوم الذين تنقلب أحوالهم ويثور بعضهم على بعض يُكِيدُونَ المكايد والدسائس.

(٢) المحبة: من فعل حَجَجَ. والحجج: الطرق التي يدرك بها الصواب ومنه في حديث الدعاء: «اللَّهُمَّ ثَبِّتْ حُجَّتِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». أي قولي وطريقي وإيماني.

(٣) رَوْحٌ عَنْ قَلْبِكَ: من فعل رَوَّحَ. وراح: بَرَدَ وطاب. وقيل: يوم راح: طَبَّ الرِّيحُ يَدْخُلُ السَّسَ وَالْقَلْبُ فَيَرْوِحُهَا. ومنه قوله تعالى: «فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ» أي رحمة ورزق أي استراح ويرد قلبه وانتعش.

(٤) يَكْرَهُكَ: من فعل كَرِهَ، وكرهه الأمرُ يَكْرَهُهُ وَيَكْرَهُهُ وَيَكْرَهُهُ: ساء واشتدَّ عليه، وبلغ منه المشقة. وفي حديث علي: «فِي سَكْرَةٍ مُلْهَشَةٍ وَغَمَزَةٍ كَارِثَةٍ» أي شديدة شاقة من كَرِهَهُ الْغَمُّ فَبَلَغَ مِنْهُ الْمَشَقَّةُ.

(٥) لعناية من فعل عَنَى، وَعَنَى بِالْأَمْرِ عَنَايَةً: اهتمَّ. وقيل: عَنَيْتُ بِأَمْرِهِ فَأَنَا بِهِ عَيْنٌ. وَعَنَيْتُ بِأَمْرِكَ فَأَنَا عَائِنٌ.

وَلَا تُعَدِّنْ شَتْمَ الْوَالِي شَتْمًا، وَلَا إِغْلَظْهُ إِغْلَظًا، فَإِنَّ رِيحَ الْعِزَّةِ قَدْ تَبَسَّطَ
اللِّسَانَ بِالْغِلْظَةِ فِي غَيْرِ سَخَطٍ وَلَا بَأْسٍ .

جَانِبِ الْمَسْخُوطِ عَلَيْهِ وَالظَّنِّينَ ^(١) بِهِ عِنْدَ السَّلْطَانِ . وَلَا يَجْمَعَنَّ وَإِيَّاهُ مَجْلِسٌ
وَلَا مَنْزِلٌ، وَلَا تُظْهِرَنَّ لَهُ عُذْرًا، وَلَا تُشَيِّنَنَّ عَلَيْهِ خَيْرًا عِنْدَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ .

فَإِذَا رَأَيْتَهُ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْإِعْتَابِ ^(٢) مِمَّا سَخَطَ عَلَيْهِ فِيهِ مَا تَرْجُو أَنْ تُلَيِّنَ لَهُ بِهِ قَلْبَ
الْوَالِي ، وَاسْتَيْقَنْتَ أَنَّ الْوَالِي قَدْ اسْتَيْقَنَ بِمُبَاعَدَتِكَ إِيَّاهُ وَشِدَّتِكَ عَلَيْهِ عِنْدَ النَّاسِ
فَضَعْ عُذْرَهُ عِنْدَ الْوَالِي وَاعْمَلْ فِي إِرْضَائِهِ عَنْهُ فِي رَفْقٍ وَلُطْفٍ .

لِيَعْلَمَ الْوَالِي أَنَّكَ لَا تَسْتَكْفُفُ ^(٣) عَنْ شَيْءٍ مِنْ خِدْمَتِهِ . وَلَا تَدْعَ مَعَ ذَلِكَ أَنْ
تُقَدَّمَ إِلَيْهِ الْقَوْلُ، عِنْدَ بَعْضِ حَالَاتِ رِضَاهُ وَطِيبِ نَفْسِهِ، فِي الْاسْتِعْفَاءِ مِنَ الْأَعْمَالِ
الَّتِي هِيَ أَهْلٌ أَنْ يَكْرَهَهَا ذُو الدِّينِ وَذُو الْعَقْلِ وَذُو الْعِرْضِ ^(٤) وَذُو الْمُرُوءَةِ، مِنْ
وَلَايَةِ الْقَتْلِ وَالْعَذَابِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ .

وَإِذَا أَصَبَتْ الْجَاهُ وَالْخَاصَّةَ ^(٥) عِنْدَ السَّلْطَانِ، فَلَا يُحْدِثَنَّ لَكَ ذَلِكَ تَغْيِيرًا عَلَى
أَحَدٍ مِنْ أَهْلِهِ وَأَعْوَانِهِ، وَلَا اسْتِغْنَاءَ عَنْهُمْ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى تَرَى أَدْنَى جَفْوَةٍ أَوْ
تَغْيِيرٍ فَتَذِلَّ لَهُمْ فِيهَا .

وَفِي تَلَوْنِ الْحَالِ عِنْدَ ذَلِكَ مِنَ الْعَارِ مَا فِيهِ .

لِيَكُنْ مِمَّا تُحْكِمُ مِنْ أَمْرِكَ أَلَّا تُسَارَّ ^(٦) أَحَدًا مِنَ النَّاسِ وَلَا تَهْمِسَ ^(٧) إِلَيْهِ بِشَيْءٍ

(١) الظَّنُّ: مِنْ فَعَلَ ظَنَّ . وَظَنَّتُهُ: أَتَهَمَّتُهُ . وَالظَّنَّةُ: التَّهْمَةُ . وَالظَّنُّينَ: الْمُتَهَمُ الَّذِي نُظِنَ بِهِ التَّهْمَةُ .
وَالْجَمْعُ الظَّنُّ . وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِظَنٍّ﴾ أَيِ بِمُتَّهَمٍ .

(٢) الْإِعْتَابُ: الرَّجُوعُ عَنِ الْإِسَاءَةِ إِلَى مَا يَرْضَى الْعَاتِبُ . وَالْإِعْتَابُ بِمَعْنَى الْإِعْتَابِ وَهُوَ مُخَاطَبَةُ الْإِذْلَالِ
وَكَلَامِ الْمُدْلِلِّينَ أَخْلَاءَهُمْ وَمَذَاكِرَهُمْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مَا كَرِهُوا مِمَّا كَسَبَهُمُ الْمَوْجِدَةُ .

(٣) التَّكْفُفُ: تَحْنِيكُ الدَّمْعِ عَنْ خَدِيدِكَ . وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ لَا يَبْعَدُكَ شَيْءٌ عَنْ خِدْمَتِهِ .

(٤) ذُو الْعِرْضِ: أَيِ ذُو حَسَبٍ وَشَرَفٍ .

(٥) الْخَاصَّةُ: مَنْ تَخَصَّصَ لِنَفْسِكَ .

(٦) تُسَارَّ: مِنَ السَّرِّ وَالسَّرِّ: مَا أَخْفَيْتَ، وَأَسْرُ الشَّيْءِ: كَتَمَهُ .

(٧) تَهْمِسُ: تَتَكَلَّمُ سِرًّا . وَالْهَمْسُ: الْخَفِيُّ مِنَ الصَّوْتِ وَالْوُطْءُ . وَفِي التَّنْزِيلِ ﴿فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ .

تُخَفِّيه عَلَى السُّلْطَانِ أَوْ تُعْلِنُهُ. فَإِنَّ السَّرَّارَ مِمَّا يُخِيلُ إِلَى كُلِّ مَنْ رَأَاهُ مِنْ ذِي سُلْطَانٍ أَوْ غَيْرِهِ أَنَّهُ الْمُرَادُ بِهِ. فَيَكُونُ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ حَسِيكَةً وَوَعْرًا وَثِقَلًا^(١).

الكذب يبطل الحق ويرد الصدق

لَا تَتَهَاوَنَنَّ بِإِرْسَالِ الْكَذْبَةِ عِنْدَ الْوَالِي أَوْ غَيْرِهِ فِي الْهَزْلِ، فَإِنَّهَا تُسْرِعُ فِي إِبْطَالِ الْحَقِّ وَرَدِّ الصَّدَقِ مِمَّا تَأْتِي بِهِ.

تَنَكَّبُ^(٢)، فِي مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ السُّلْطَانِ وَفِي مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْإِخْوَانِ، خُلُقًا قَدْ عَرَفْنَاهُ فِي بَعْضِ الْوُزَرَاءِ وَالْأَعْوَانِ فِي ادِّعَاءِ الرَّجُلِ، عِنْدَمَا يَظْهَرُ مِنْ صَاحِبِهِ حُسْنُ أَثَرٍ أَوْ صَوَابُ رَأْيٍ، أَنَّهُ عَمِلَ فِي ذَلِكَ وَأَشَارَ بِهِ، وَإِقْرَارِهِ بِذَلِكَ إِذَا مَدَحَهُ بِهِ مَادِحٌ. بَلْ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُعَرِّفَ صَاحِبَكَ أَنَّكَ تَنَحَّلُهُ^(٣) صَوَابَ رَأْيِكَ، فَضْلًا عَنْ أَنْ تَدْعِيَ صَوَابَهُ، وَتُسَيِّدَ ذَلِكَ إِلَيْهِ وَتُزَيِّنَهُ بِهِ، فَافْعَلْ. فَإِنَّ الَّذِي أَنْتَ آخِذٌ بِذَلِكَ أَكْثَرُ مِمَّا أَنْتَ مُعْطٍ بِأَضْعَافٍ.

لا تعجب إلا إذا سئلت، وأحسن الإصغاء

إِذَا سَأَلَ الْوَالِي غَيْرَكَ فَلَا تَكُونَنَّ أَنْتَ الْمُجِيبَ عَنْهُ. فَإِنَّ اسْتِیْلَابَكَ الْكَلَامَ خِفَّةَ بَيْتِكَ وَاسْتِخْفَافَ مِنْكَ بِالمَسْئُولِ وَبِالسَّائِلِ.

وَمَا أَنْتَ قَائِلٌ إِنْ قَالَ لَكَ السَّائِلُ: مَا إِيَّاكَ سَأَلْتُ؟ أَوْ قَالَ لَكَ الْمَسْئُولُ عِنْدَ الْمَسْأَلَةِ يُعَادُ لَهُ بِهَا: دُونَكَ فَاجِبٌ.

(١) الحسيكة: الحقد على التشبيه، وحسك الصدر: حقد العداوة. والوعر: احتراق الغيظ وشدته. ومنه: فِي صدره علي وغر بالتسكين أي ضغن وعداوة وتوقد من الغيظ. والثقل: من فعل ثقل، ونقل هنا بمعنى تناقل، وتناقل القوم: استنهضوا لنجدة فتابطوا وفتروا عن نجدتهم.

(٢) تنكَّب: من فعل نكَّب. ونكَّب عن الشيء: عدل ومثله تنكَّب. وتنكَّب فلان عنه تنكَّباً أي مال عنه واعتزله، وتُنكِّبه أي تجنِّبه. ونكَّبه الطريق: عدل إلى غيرها. والنكَّب: الميل في الشيء وفي حديث الزكاة: «نكَّبوا عن الطعام» يريد اعرضوا عنها.

(٣) تنحَّلُهُ: من فعل نحَّل. وانتحل فلان كلام فلان إذا ادَّعاه أنه قائله. وتنحَّلُهُ: ادَّعاه وهو لغيره. ونحلَّه القول: نسبَه إليه. وقال الأعشى في الانتحال: [المتدارك].

فَكَيْفَ أَنَا وَانْتِحَالِي الْقَوَا فِي بَعْدِ الْمَشِيبِ كَفَى ذَاكَ عَارًا!

وَإِذَا لَمْ يَقْصِدِ السَّائِلُ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ وَعَمَّ بِهَا جَمَاعَةٌ مِنْ عِنْدِهِ فَلَا تُبَادِرَنَّ بِالْجَوَابِ، وَلَا تُسَابِقِ الْجُلُوسَاءِ، وَلَا تُؤَاتِبْ^(١) بِالْكَلَامِ مُوَائِبَةً. فَإِنَّ ذَلِكَ يَجْمَعُ مَعَ شَيْنِ التَّكَلُّفِ وَالْخِيفَةِ أَنْكَ إِذَا سَبَقَتْ الْقَوْمَ إِلَى الْكَلَامِ صَارُوا لِكَلَامِكَ خَصْمَاءَ فَتَقَعْبُوهُ بِالْعَيْبِ وَالطَّعْنِ. وَإِذَا أَنْتَ لَمْ تَعْجَلْ بِالْجَوَابِ وَخَلَيْتَهُ لِلْقَوْمِ، اعْتَرَضَتْ^(٢) أَقَاوِيلُهُمْ عَلَى عَيْنِكَ، ثُمَّ تَدَبَّرْتَهَا وَفَكَّرْتَ فِي مَا عِنْدَكَ، ثُمَّ هَيَّاتِ مِنْ تَفْكِيرِكَ وَمَحَاسِنِ مَا سَمِعْتَ جَوَاباً رَضِيئاً، ثُمَّ اسْتَدْبَرْتَ بِهِ أَقَاوِيلَهُمْ حِينَ تُصَيِّخُ^(٣) إِلَيْكَ الْأَسْمَاعَ وَيَهْدَأُ عَنْكَ الْخُصُومُ.

وَأِنْ لَمْ يَبْلُغَكَ الْكَلَامُ حَتَّى يُكْتَفَى بِغَيْرِكَ، أَوْ يَنْقَطِعَ الْحَدِيثُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَلَا يَكُونُ مِنَ الْعَيْبِ عِنْدَكَ وَلَا مِنَ الْغَبَنِ^(٤) فِي نَفْسِكَ فَوْتُ مَا فَاتَكَ مِنَ الْجَوَابِ.

فَإِنَّ صِيَانَةَ الْقَوْلِ خَيْرٌ مِنْ سُوءِ وَضْعِهِ، وَإِنَّ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنَ الصَّوَابِ تُصِيبُ مَوْضِعَهَا خَيْرٌ مِنْ مِثَّةِ كَلِمَةٍ تَقُولُهَا فِي غَيْرِ فُرْصِهَا وَمَوَاضِعِهَا. مَعَ أَنَّ كَلَامَ الْعَجَلَةِ وَالْبِدَارِ^(٥) مُوَكَّلٌ بِهِ الزَّلَلُ وَسُوءُ التَّقْدِيرِ، وَإِنْ ظَنَّ صَاحِبُهُ أَنَّهُ قَدْ اتَّقَنَ وَأَحْكَمَ.

وَأَعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْأُمُورَ لَا تُدْرَكُ وَلَا تُمْلِكُ إِلَّا بِرَحْبِ الذَّرْعِ^(٦) عِنْدَمَا قِيلَ وَمَا

(١) تُؤَاتِبُ بِالْكَلَامِ: مِنْ فَعَلَ وَتَب. وَالْوُتْبُ: الطَّفَرُ، وَوَتَبَ وَتَبَّهَ جَعَلَهُ يَبْهَهُ أَيْ يَنْهَضُ. وَمَرَّةً وَثْبَى: سَرِيعَةً الْوُتْبِ وَالْمَقْصُودُ هُنَا أَيْ لَا تُسَابِقِ بِالْكَلَامِ مِنْ يَتَكَلَّمُ قَبْلَكَ.

(٢) اعْتَرَضَتْ: مِنْ فَعَلَ عَرَضَ. وَالْاعْتِرَاضُ فِي السَّيْرِ مِنَ النَّشَاطِ. وَعَرَضَ الرَّجُلُ صَارِذَا عَارِضَةً، وَالْعَارِضَةُ قُوَّةُ الْكَلَامِ وَتَنْقِيحُهُ وَالرَّأْيُ الْجَيِّدُ وَالْمَقْصُودُ أَنَّ الْعَاقِلَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْضُضَ أَقْوَالَ الْقَوْمِ وَاحِدَةً تَلُو الْآخَرَى فِي ذَهْنِهِ فَيَتَدَبَّرُ أَمْرَهُ بِرُويَةٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ يَذْكُرُ رَأْيَهُ.

(٣) تُصَيِّخُ: مِنْ فَعَلَ صَيَّخَ. وَأَصَاخُ لَهُ: اسْتَمَعَ وَأَنْصَتَ لَصَوْتٍ. وَفِي حَدِيثٍ سَاعَةَ الْجُمُعَةِ: «مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ مُصَيِّخَةٌ». أَيْ مُسْتَمِعَةٌ مُنْصِتَةٌ.

(٤) الْغَبْنُ: مِنْ فَعَلَ غَبَنَ. وَالْغَبْنُ بِالتَّحْرِيكِ، فِي الرَّأْيِ. وَغَبِنْتَ رَأْيَكَ أَيْ نَسِيتَهُ وَأَغْفَلْتَهُ وَجَهَلْتَهُ، الْغَبْنُ بِالتَّسْكِينِ فِي الْبَيْعِ. وَغَبِنَ رَأْيُهُ بِالْكَسْرِ: ضَعُفَ، وَرَجُلٌ غَبِينٌ فِي الرَّأْيِ وَالْعَقْلِ وَالْدِينِ.

(٥) الْبِدَارُ مِنْ فَعَلَ بَدَرَ. وَبَدَرْتُ إِلَى الشَّيْءِ: أَسْرَعْتُ. وَبَادَرَ الشَّيْءُ: عَاجَلَهُ. وَبَدَرَنِي الْأَمْرُ وَبَدَرَ إِلَيَّ: عَجَلَ إِلَيَّ وَاسْتَبَقَ.

(٦) رَحَبَ الذَّرْعُ: مِنْ فَعَلَ ذَرَعَ. وَالذَّرْعُ: الطَّاقَةُ، وَفِي الْحَدِيثِ: «قُلُّدُوا أَمْرَكُمْ رَحَبَ الذَّرْعِ». أَيْ وَاسِعَ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْبَطْشِ وَالذَّرْعُ: بَسَطَ الْبِدَ وَكْرَمَهَا.

لَمْ يُقَلِّ، وَقَلَّةُ الإِعْظَامِ لِمَا ظَهَرَ مِنَ الْمُرُوءَةِ وَمَا لَمْ يَظْهَرْ، وَسَخَاوَةُ^(١) النَّفْسِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّوَابِ مَخَافَةَ الْخِلَافِ وَالْعَجَلَةِ وَالْحَسَدِ وَالْمِرَاءِ^(٢).

إِذَا كَلَّمَكَ الْوَالِي فَاصْغِرْ إِلَى كَلَامِهِ. وَلَا تَشْغَلْ طَرْفَكَ^(٣) عَنْهُ بِنَظَرٍ إِلَى غَيْرِهِ، وَلَا أَطْرَافَكَ^(٤) بِعَمَلٍ، وَلَا قَلْبَكَ بِحَدِيثِ نَفْسٍ. وَاحْذَرْ هَذِهِ الْخَصْلَةَ مِنْ نَفْسِكَ، وَتَعَاهِذْهَا بِجَهْدِكَ.

رفق الوزير بنظرائه

ارْفُقْ بِنَظَرَاتِكَ مِنْ وَرَرَاءِ السُّلْطَانِ وَأَخْلَائِهِ^(٥) وَدُخْلَائِهِ^(٦). وَاتَّخِذْهُمْ إِخْوَانًا، وَلَا تَتَّخِذْهُمْ أَعْدَاءً. وَلَا تُنَافِسْهُمْ فِي الْكَلِمَةِ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا، أَوْ الْعَمَلِ يُؤَمَّرُونَ بِهِ دُونَكَ.

فَإِنَّمَا أَنْتَ فِي ذَلِكَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ:

إِمَّا أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ فَضْلٌ عَلَى مَا عِنْدَ غَيْرِكَ فَسَوْفَ يَتَذَوُّ ذَلِكَ وَيُحْتَاجُ إِلَيْهِ

(١) سَخَاوَةُ النَّفْسِ: مِنْ فِعْلِ سَخَا. وَالسَّخَاوَةُ: الْجَوْدُ وَالسَّخِيُّ: الْجَوَادُ وَالْجَمْعُ اسْخِيَاءً. وَسَخَى نَفْسَهُ عَنْهُ وَبَنَفَسَهُ: تَرَكَهُ. وَسَخَّيْتُ نَفْسِي عَنْهُ: تَرَكَتُهُ وَلَمْ تَتَازَعَنِي نَفْسِي إِلَيْهِ.

(٢) الْمِرَاءُ: مِنْ فِعْلِ مَرَأَ. وَمَارَيْتُ الرَّجُلَ أَمَارِيهِ مِرَاءً: إِذَا جَادَلْتَهُ وَالْمَرْيَةُ: الشُّكُّ وَالْجَدَلُ بِالْكَسْرِ وَالضَّمِّ. وَمِنْهُ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾ وَأَصْلُهُ فِي اللُّغَةِ الْجِدَالُ، وَأَنْ يَسْتَخْرِجَ الرَّجُلُ مِنْ مُنَازَرَتِهِ كَلَامًا وَمَعَانِي الْخُصُومَةِ وَغَيْرَهَا.

(٣) طَرْفَكَ: مِنْ فِعْلِ طَرَفَ؛ وَالطَّرْفُ: طَرَفُ الْعَيْنِ، وَالطَّرْفُ: إِطْبَاقُ الْجَفْنِ وَالطَّرْفُ: اسْمُ جَامِعٍ لِلْبَصَرِ لَا يَثْنَى وَلَا يَجْمَعُ لِأَنَّهُ مُصَدَّرٌ. وَالاسْمُ الطُّوفَةُ. يُقَالُ فِي الْأَمْثَالِ الْعَرَبِيَّةِ: «أَسْرَعَ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ».

(٤) أَطْرَافُكَ: مِنْ فِعْلِ طَرَفَ: وَأَطْرَافُ الرَّجُلِ: أَعْضَاؤُهُ. وَيُقَالُ: «طَرَفُ الْجَارِيَةِ بَنَانُهَا» إِذْ خَضِبَتْ أَطْرَافَ أَصَابِعِهَا بِالْحِنَّاءِ، وَفِيهِ الْحَدِيثُ: «حُمَادِيَّاتُ النِّسَاءِ غَضُّ الْأَطْرَافِ» الْمَقْصُودُ بَقْضِ الْأَطْرَافِ قَبْضُ الْيَدِ وَالرَّجُلِ عَنِ الْحَرَكَةِ وَالسَّيْرِ وَهِيَ الْأَعْضَاءُ.

(٥) أَخْلَائِهِ: مِنْ فِعْلِ خَلَّلَ، وَالْخِلُّ: الْوُدُّ وَالصَّدِيقُ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لَكَرِيمُ الْخِلِّ وَالْخِلَّةُ أَيُّ كَرِيمِ الْمَصَادَقَةِ وَالْمُؤَادَّةِ وَالْإِخَاءِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «فِيْهْدِيهَا فِي خِلَّتِهَا». أَيُّ فِي أَهْلِ وَدَّهَا وَإِخْلَاءِ السُّلْطَانِ الَّذِي يَتَفَرَّدُ بِهِمْ.

(٦) دُخْلَاتِهِ: مِنْ فِعْلِ دَخَلَ. وَدَاخِلَةُ الرَّجُلِ: بَاطِنُ أَمْرِهِ، وَقِيلَ دُخْلَةُ أَمْرِهِ أَيُّ عَرَفْتَ جَمِيعَ أَمْرِهِ وَسِرِّهِ، وَدَخِيلُ الرَّجُلِ الَّذِي يُدَاخِلُهُ فِي أُمُورِهِ وَيَخْتَصُّ بِهِ.

وَيُلْتَمَسُ مِنْكَ، وَأَنْتَ مُجْمِلٌ^(١).

وَأَمَّا أَلَّا يَكُونَ ذَلِكَ عِنْدَكَ، فَمَا أَنْتَ مُصِيبٌ مِنْ حَاجَتِكَ عِنْدَ وَزَرَاءِ السَّلْطَانِ بِمُقَارَبَتِكَ إِيَّاهُمْ وَمَلَايَنَتِكَ، وَمَا أَنْتَ وَاجِدٌ فِي مُوَافَقَتِكَ إِيَّاهُمْ وَلِيْنِكَ لَهُمْ مِنْ مُوَافَقَتِهِمْ إِيَّاكَ وَلِيْنِهِمْ لَكَ أَفْضَلُ مِمَّا أَنْتَ مُذْرِكٌ بِالْمُنَافَسَةِ وَالْمُنَافَرَةِ لَهُمْ.

لَا تَجْتَرِئَنَّ عَلَى خِلَافِ أَصْحَابِكَ عِنْدَ الْوَالِي، ثِقَةً بِاِغْتِرَافِهِمْ لَكَ وَمَعْرِفَتِهِمْ بِفَضْلِ رَأْيِكَ، فَإِنَّا قَدْ رَأَيْنَا النَّاسَ يَعْتَرِفُونَ بِفَضْلِ الرَّجُلِ وَيَتَقَادُونَ لَهُ وَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ، وَهُمْ أَخْلِيَاءُ^(٢). فَإِذَا حَضَرُوا السَّلْطَانَ، لَمْ يَرْضَ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يُقَرِّرَ لَهُ، وَلَا أَنْ يَكُونَ لَهُ عَلَيْهِ فِي الرَّأْيِ وَالْعِلْمِ فَضْلٌ، فَاجْتَرَأُوا عَلَيْهِ بِالْخِلَافِ وَالنَّقْضِ^(٣).

فَإِنْ نَاقَضَهُمْ صَارَ كَأَحَدِهِمْ. وَلَيْسَ بَوَاجِدٍ فِي كُلِّ حِينٍ سَامِعًا فِيمَا أَوْ قَاضِيًا عَدْلًا.

وَإِنْ تَرَكَ مُنَاقَضَتَهُمْ، كَانَ مَغْلُوبَ الرَّأْيِ مَرْدُودَ الْقَوْلِ.

لِكُلِّ أَلِيفٍ وَجَلِيسٍ

إِذَا أَصَبَتْ عِنْدَ السَّلْطَانِ لُطْفَ مَنْزِلَةٍ لِغِنَاءٍ^(٤) يَجِدُهُ عِنْدَكَ أَوْ هَوَى يَكُونُ لَهُ فِيكَ، فَلَا تَطْمَحَنَّ كُلَّ الطَّمَاحِ^(٥) وَلَا تُزَيِّنَنَّ لَكَ نَفْسُكَ الْمَزَايِلَةَ^(٦) لَهُ عَنْ أَلِيفِهِ

(١) مُجْمِلٌ: مَنْ فَعَلَ جَمَلَ. أَجْمَلَ الرَّجُلُ فِي صَنِيعِهِ وَفِي طَلَبِ الشَّيْءِ أَتَادَ وَاعْتَدَلَ ثِقَةً مِنْهُ بِنَاسِهِ.

(٢) أَخْلِيَاءُ: مَنْ فَعَلَ خَلَلَ، وَالْخِلْلُ وَالْخِلَّةُ، وَالْخُلَّةُ الصَّدَاقَةُ وَالْمَحَبَّةُ الَّتِي تَخَلَّلَتْ الْقَلْبَ فَصَارَتْ خِلَالَهُ أَوْ فِي بَاطِنِهِ، وَجَمَعَهُ أَخْلِيَاءُ مَنْفَرَدُونَ فِي هَذِهِ الصِّفَةِ.

(٣) النِّقْضُ: مَنْ فَعَلَ نَقَضَ. وَالنَّقْضُ: إِفْسَادُ مَا أَبْرَمْتَ مِنْ عَهْدٍ وَعَقْدٍ. وَالنَّقْضُ: جِدُّ الْإِبْرَامِ.

(٤) لِغِنَاءٍ: مَنْ فَعَلَ غَنَّا: وَالْغِنَاءُ بِالْفَتْحِ النَّفْعُ. وَقِيلَ: أَغْنَاهُ اللَّهُ أَوْ أَغْنَاهُ فِي الْخَيْرِ، وَاسْتَعْنَى الرَّجُلُ: أَصَابَ غِنًى وَفَائِدَةً أَوْ صَارَ لَهُ مَالٌ.

(٥) الطَّمَّاحُ: مَنْ فَعَلَ طَمَحَ. طَمَحَتْ: جَمَحَتْ. قِيلَ: كُنْتُ إِذَا رَأَيْتُ رَجُلًا ذَا قَشَرٍ طَمَحَ بِصُرِي إِلَيْهِ أَوْ امْتَدَّ وَعَلَا. وَرَجُلٌ طَمَّاحٌ: بَعِيدُ الطَّرْفِ. يُقَالُ: طَمَحَ فَلَانُ بِصُرِهِ: رَفَعَهُ. وَطَمَحَ فِي مَالِ السَّلْطَانِ: امْتَدَّ إِلَى مَنَفْعَةٍ كَبِيرَةٍ مِنْهُ وَطَمَحَ فِي الْوَصُولِ إِلَيْهَا.

(٦) الْمَزَايِلَةُ: مَنْ فَعَلَ زَلَّلَ. الْمَزَايِلُ: الْمَنْزِلُ، وَزَلَّ عُمْرُهُ: ذَهَبَ وَفَارَقَ. وَأَصْلُهُ مِنَ الزَّلِيلِ: وَهُوَ انْتِقَالُ الْأَمْرِ مِنْ مَكَانٍ إِلَى آخَرَ. وَزَلَّتْ مِنْهُ نِعْمَةٌ: فَارَقَهَا.

وَمَوْضِعِ ثِقَتِهِ وَسِرِّهِ قَبْلِكَ: تُرِيدُ أَنْ تَقْلَعَهُ وَتَدْخُلَ دُونَهُ. فَإِنْ هَذِهِ خَلَّةٌ مِنْ خِلَالِ السَّفَةِ قَدْ يَتَلَّى بِهَا الْحُلَمَاءُ عِنْدَ الدُّنُو مِنَ السَّلْطَانِ حَتَّى يُحَدِّثَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ نَفْسَهُ أَنْ يَكُونَ دُونَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ، لِفَضْلِ يَطْنُهُ بِنَفْسِهِ أَوْ نَقْصِ يَطْنُهُ بِغَيْرِهِ.

وَلِكُلِّ رَجُلٍ مِنَ الْمُلُوكِ أَوْ ذِي هَيْئَةٍ مِنَ السُّوْقَةِ أَلِيفٌ وَأَنْيَسٌ قَدْ عَرَفَ رُوحَهُ وَاطَّلَعَ عَلَى قَلْبِهِ. فَلَيْسَتْ عَلَيْهِ مَوْوَنَةٌ^(١) فِي تَبَذُّلٍ يَتَبَذَّلُهُ^(٢) عِنْدَهُ، أَوْ رَأْيٍ يَسْتَبِينُ مِنْهُ، أَوْ سِرٍّ يُفْشِيهِ إِلَيْهِ. غَيْرَ أَنَّ تِلْكَ الْأَنْسَةَ^(٣) وَذَلِكَ الْإِلْفُ يَسْتَخْرِجُ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ لِيُظْهَرَ مِنْهُ عِنْدَ الْأَنْقِيَاضِ وَالتَّشَدُّدِ. وَلَوْ التَّمَسَّ مُلْتَمِسٌ مِثْلَ ذَلِكَ عِنْدَ مَنْ يَسْتَأْنِفُ مُلَاطَفَتَهُ وَمُؤَانَسَتَهُ وَمُنَاسَمَتَهُ^(٤)، وَإِنْ كَانَ ذَا فَضْلٍ فِي الرَّأْيِ وَبَسْطَةِ فِي الْعِلْمِ، لَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مِثْلَ مَا هُوَ مُتَنَفِّعٌ بِهِ مِمَّنْ هُوَ دُونَ ذَلِكَ فِي الرَّأْيِ مِمَّنْ قَدْ كَفِيَ مُؤَانَسَتَهُ وَوَقَعَ^(٥) عَلَى طِبَاعِهِ.

لَأَنَّ الْأَنْسَةَ رَوْحٌ^(٦) لِلْقُلُوبِ، وَأَنَّ الْوَحْشَةَ رَوْعٌ^(٧) عَلَيْهَا. وَلَا يَلْتَا^(٨)

(١) مَوْوَنَةٌ: مِنْ فِعْلِ مَانَ. وَالْجَمْعُ مَائِنَاتٌ وَمُؤُونٌ. وَالْمَوْوَنَةُ: هِيَ مَفْعَلَةٌ مِنَ الْأَيْنِ وَهُوَ التَّعَبُ وَالشُّدَّةُ وَقِيلَ: مِنَ الْأَوْنِ وَهُوَ الْخُرْجُ وَالْعِذْلُ لِأَنَّهُ يُقْلَى عَلَى الْإِنْسَانِ. وَالْمَقْصُودُ الْمَعْنَى الْأَوَّلُ وَتَمَامُهُ أَنَّهُ عَظِيمُ التَّعَبِ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَى مَنْ يَعُولُ.

(٢) يَتَبَذَّلُهُ: مِنْ فِعْلِ بَذَلَ. ابْتَدَلَ: امْتَهَنَهُ، وَالتَّبَذُّلُ: تَرَكَ التَّصَاوُنَ، وَالْمِبْذَلُ: الثَّوْبُ الْخَلْقُ، وَالْمُتَبَذَّلُ: لِابْسِهِ. وَالْمُتَبَذِّلُ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي يَلِي الْعَمَلَ بِنَفْسِهِ.

(٣) الْأَنْسَةُ: مِنْ فِعْلِ أَنْسَ. الْأَنْسُ: تَقُولُ رَأَيْتُ بِمَكَانٍ كَذَا أَنْسًا كَثِيرًا أَيْ نَاسًا كَثِيرًا. وَالْأَنْسُ بِالتَّحْرِيكِ: خِلَافُ الْوَحْشَةِ. وَالْأَنْسُ أَيْضًا: الْحَيُّ الْمَقِيمُونَ.

(٤) مُنَاسَمَتُهُ: مِنْ فِعْلِ نَسَمَ وَالتَّسِيمُ: الرِّيحُ الطَّيِّبَةُ، وَكُنِيَ عَنْهَا الْأَدِيبُ هُنَا بِالسَّرُورِ وَالْمَسَرَّةِ وَالْإِنْشِرَاحِ. وَنَاسَمَ مُنَاسَمَةً الْمَرْءُ: قَارَبَهُ لِسُرُورِهِ وَمَسَرَّتِهِ بِهِ.

(٥) وَقَعَ عَلَى طِبَاعِهِ: مَائِلُهُ وَوَافَقَهُ فِي طِبَاعٍ مِثْلِهِ عَلَى قَدَرٍ وَمَنْزِلَةٍ كَرِيمَةٍ.

(٦) الرُّوحُ: مِنْ فِعْلِ رَوَّحَ وَالرُّوْحُ: الْإِسْتِرَاحَةُ مِنْ غَمِّ الْقَلْبِ، وَقِيلَ: الرُّوحُ: الْفَرَحُ.

(٧) رَوْعٌ: مِنْ فِعْلِ رَوَّعَ. وَالرَّوْعُ: الْفَزَعُ، وَالرَّوْعَةُ: الْفَزَعَةُ. وَمِنْهُ حَدِيثُ الدَّعَاءِ: «اللَّهُمَّ آمِنْ رَوْعَاتِي». هِيَ جَمْعُ رَوْعَةٍ وَهِيَ الْمَرَّةُ الْوَاحِدَةُ مِنَ الرُّوْعِ الْفَزَعِ، وَأَفْرَخَ رَوْعَةً: أَيَّ ذَهَبَ فَزَعُهُ وَانْكَشَفَ وَسَكَنَ.

(٨) يَلْتَا: مِنْ فِعْلِ لَطَطَ. وَلَطَّ الشَّيْءُ: أَلْزَقَهُ. وَاللُّطُّ: السَّرُّ. وَلَطَطْتُ الشَّيْءَ: سَتَرْتُهُ وَأَخْفَيْتُهُ. وَلَطَّ عَلَيْهِ الْخَبَرُ: لَوَاهُ وَكَتَمَهُ.

بالقلوب إلا ما لَانَ عَلَيْهَا. وَمَنِ اسْتَقْبَلَ الْأَنْسَ بِالْوَحْشَةِ اسْتَقْبَلَ أَمْرًا ذَا مَوْنَةٍ؛

فَإِذَا كَلَّفَتْكَ نَفْسُكَ السُّمُوَ إِلَى مَنْزِلَةٍ مِّنْ وَصَفْتُ لَكَ، فَأَقْدَعُهَا^(١) عَنْ ذَلِكَ بِمَعْرِفَةٍ فَضَّلِ الْأَلِيفَ وَالْأَنْسَ، وَإِذَا حَدَّثْتُكَ نَفْسُكَ أَوْ غَيْرُكَ، مِمَّنْ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ فَضْلٌ فِي مَرُوءَةٍ، أَنْكَ أَوْلَى بِالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ مِنْ بَعْضِ دُخْلَائِهِ وَثِقَاتِهِ فَادْكُرِ الَّذِي عَلَى السُّلْطَانِ مِنْ حَقِّ أَلِيفِهِ وَثِقَتِهِ وَأَنْبِسِهِ فِي التَّكْرِمَةِ وَالْمَكَانَةِ وَالرَّأْيِ، وَالَّذِي يُعِينُهُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الرَّأْيِ أَنَّهُ يَجِدُ عِنْدَهُ مِنَ الْإِلْفِ وَالْأَنْسِ مَا لَيْسَ وَاجِدًا عِنْدَ غَيْرِهِ.

فَلْيَكُنْ هَذَا مِمَّا تَحْفَظُ فِيهِ عَلَى نَفْسِكَ وَتَعْرِفُ فِيهِ عُذْرَ السُّلْطَانِ وَرَأْيَهُ.

وَالرَّأْيُ لِنَفْسِكَ مِثْلُ ذَلِكَ، إِنْ أَرَادَكَ مُرِيدٌ عَلَى الدُّخُولِ دُونَ أَلِيفِكَ وَأَنْبِسِكَ وَمَوْضِعِ ثِقَتِكَ وَسِرِّكَ وَجِدِّكَ وَهَزْلِكَ.

وَأَعْلَمْ أَنَّهُ يَكَادُ يَكُونُ لِكُلِّ رَجُلٍ غَالِبَةٌ حَدِيثٍ لَا يَزَالُ يُحَدِّثُ بِهِ: إِمَّا عَنْ بَلَدٍ مِنَ الْبُلْدَانِ أَوْ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ الْعِلْمِ أَوْ صِنْفٍ مِنْ صَنُوفِ النَّاسِ أَوْ وَجْهِ مِنْ وَجُوهِ الرَّأْيِ. وَعِنْدَمَا يُغْرَمُ^(٢) بِهِ الرَّجُلُ مِنْ ذَلِكَ يَبْدُو مِنْهُ السَّخْفُ^(٣) وَيُعْرَفُ مِنْهُ الْهَوَى، فَاجْتَنِبْ ذَلِكَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ، ثُمَّ عِنْدَ السُّلْطَانِ خَاصَّةً.

احتمل ما خالفك من رأي السلطان

لَا تَشْكُوكَ إِلَى وُزَرَاءِ السُّلْطَانِ وَدُخْلَائِهِ مَا أَطْلَعْتَ عَلَيْهِ مِنْ رَأْيٍ تَكْرَهُهُ لَهُ.

(١) فَأَقْدَعُهَا: مِنْ فَعَلَ قَدَعَ. وَالْقَدْعُ: الْكَفُّ وَالْمَنْعُ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «أَقْدَعُوا هَذِهِ النَّفُوسَ فَإِنَّهَا طُلُعَتْ». أَيْ كَفُّوْهَا عَمَّا تَتَطَلَّعُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ.

(٢) يُغْرَمُ: مِنْ فَعَلَ غَرَمَ. وَالْغَرَامُ: اللَّازِمُ مِنَ الْعَذَابِ وَالشَّرِّ الدَّائِمِ وَالْبَلَاءِ وَالْحُبِّ وَالْعُشْقِ مَا لَا يَسْتَطَاعُ أَنْ يُتَفَضَّى مِنْهُ. وَقَدْ أَغْرِمَ بِالشَّيْءِ أَيْ أَوْلَعَ بِهِ. وَحَثَّهُ عَلَيْهِ.

(٣) السَّخْفُ: مِنْ فَعَلَ سَخَفَ وَالسَّخْفُ وَالسَّخْفُ: دِقَّةُ الْعَقْلِ. وَرَجُلٌ سَخِيفُ الْعَقْلِ بَيْنَ السَّخْفِ، وَالسَّخْفِ: ضَعْفُ الْعَقْلِ خَاصَّةً.

فَإِنَّكَ لَا تَزِيدُ عَلَى أَنْ تُقْطَنَهُمْ لَهُوَاهُ^(١) أَنْ تُقَرِّبَهُمْ مِنْهُ وَتُغَرِّبَهُمْ بِتَزْيِينِ ذَلِكَ وَالْمِيلِ عَلَيْكَ مَمَّةٌ.

وَأَعْلَمُ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا جَاءَ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَالْخَاصَّةِ لَا مَحَالَةَ أَنْ يَرَى مِنَ الْوَالِي مَا يُخَالِفُهُ مِنَ الرَّأْيِ فِي النَّاسِ وَالْأُمُورِ. فَإِذَا أَثَرُ^(٢) أَنْ يَكْرَهُ كُلَّ مَا خَالَفَهُ أَوْشَكَ أَنْ يَمْتَعِضَ مِنَ الْجَفْوَةِ^(٣) يَرَاهَا فِي الْمَجْلِسِ، أَوِ النَّبْوَةِ^(٤) فِي الْحَاجَةِ، أَوِ الرَّدِّ لِلرَّأْيِ، أَوِ الْإِدْنَاءِ لِمَنْ لَا يَهْوَى إِدْنَاءَهُ، أَوِ الْإِقْصَاءِ لِمَنْ يَكْرَهُ إِقْصَاءَهُ.

فَإِذَا وَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ الْكَرَاهِيَةُ تَغَيَّرَ لِذَلِكَ وَجْهُهُ وَرَأْيُهُ وَكَلَامُهُ حَتَّى يَبْدُوَ ذَلِكَ لِلْسُّلْطَانِ وَغَيْرِهِ، فَيَكُونُ ذَلِكَ لِفَسَادِ مَنَزِلَتِهِ وَمُرُوءَتِهِ سَبَبًا وَدَاعِيًا.

فَدَلَّلَ نَفْسَكَ بِاحْتِمَالِ مَا خَالَفَكَ مِنْ رَأْيِ السُّلْطَانِ، وَقَرَّرْهَا عَلَى أَنَّ السُّلْطَانَ إِنَّمَا كَانَ سُلْطَانًا^(٥) لِتَبِعِهِ فِي رَأْيِهِ وَهَوَاهُ وَأَمْرِهِ، وَلَا تُكَلِّفُهُ اتِّبَاعَكَ وَتَغَضُّبَ مَنْ خِلَافِهِ إِيَّاكَ.

تصحيح النصيحة للسلطان

أَعْلَمُ أَنَّ السُّلْطَانَ يَقْبَلُ مِنَ الْوُزَرَاءِ التَّبْخِيلِ^(٦) وَيَعُدُّهُ مِنْهُمْ شَفَقَةً وَنَظَرًا لَهُ،

(١) لهواه من فعل هَوَى؛ والهوى مقصور هَوَى النَّفْسِ، هَوَى النَّفْسِ: إرادتها والجمع الأهواء. وقيل: الهوى محبة الإنسان الشيءَ وَغَلَبَتْهُ عَلَى قَلْبِهِ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى﴾ معناه نَهَاَهَا عَنْ شَهَوَاتِهَا، وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ مَعَاصِي اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

(٢) أَثَرٌ: مِنْ فَعَلَ أَثَرَ. وَآثَرُ: اخْتَارَ لِنَفْسِهِ دُونَهُمْ أَحْسَنَ الْأَشْيَاءِ وَأَفْضَلَهَا، وَآثَرَهُ: اخْتَارَهُ وَفَضَّلَهُ، وَالْآثَرَةُ: اخْتِصَاصُ الْمَرْءِ نَفْسَهُ بِأَحْسَنِ شَيْءٍ دُونَ غَيْرِهِ.

(٣) يَمْتَعِضُ مِنَ الْجَفْوَةِ: مِنْ فَعَلَ جَفَاً. وَالْجَفْوَةُ: أَلْزَمَ فِي تَرْكِ الصُّلَّةِ مِنَ الْجَفَاءِ: وَيَمْتَعِضُ مِنْ فَعَلَ مَعِضٌ وَمَعِضٌ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ يَمَعِضُ وَامْتَعِضَ مِنْهُ: غَضِبَ وَشَوَّ عَلَيْهِ وَأَوْجَعَهُ.

(٤) النَّبْوَةُ: مِنْ فَعَلَ نَبَأَ. وَنَبَأَ عَنْهُ بَصَرُهُ أَيْ تَجَافَى وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَيْهِ. كَأَنَّهُ حَقَرَهُمْ وَلَمْ يَرْفَعْ بِهِمْ رَأْسًا، وَنَبَأَ بِهِ مَنَزَلَهُ: لَمْ يُوَافِقْهُ. وَنَبَأَ فُلَانٌ عَنْ فُلَانٍ: لَمْ يَنْقُذْ لَهُ. وَهُوَ الْمَقْصُودُ.

(٥) سُلْطَانًا: الْحِجَّةُ، وَلِذَلِكَ قِيلَ لِلْأُمَرَاءِ سُلَاطِينٍ لِأَنَّهُمْ الَّذِينَ تَقَامُ بِهِمُ الْحِجَّةُ وَالْحَقُوقُ وَلِتَبِعَةِ فِي رَأْيِهِ وَهَوَاهُ وَأَمْرِهِ.

(٦) التَّبْخِيلُ: مِنْ فَعَلَ بَخَلَ وَالْجَمْعُ بُخَالٌ وَبَخِيلٌ وَالْجَمْعُ بِخَلَاءٍ: ضِدُّ الْكَرَمِ وَيَخْلُهُ: رَمَاهُ بِالْبُخْلِ =

وَيَحْمَدُهُمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ كَانَ جَوَاداً وَكُنْتَ مُبْخَلّاً، شِئْتَ (١) صَاحِبَكَ بِفَسَادِ مُرُوعَتِهِ، وَإِنْ كُنْتَ مُسْخِياً، لَمْ تَأْمَنْ إِضْرَارَ ذَلِكَ بِمَنْزِلَتِكَ عِنْدَهُ.

فَالرَّأْيُ لَكَ تَصْحِيحُ النَّصِيحَةِ عَلَى وَجْهِهَا، وَالْيَمَاسُ الْمَخْلَصُ مِنَ الْعَيْبِ وَاللَّائِمَةُ فِي مَا تَتْرُكُ مِنْ تَبْخِيلِ صَاحِبِكَ بَأَلَّا يَعْرِفَ مِنْكَ فِي مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ مَيْلاً إِلَى شَيْءٍ مِنْ هَوَاكَ وَلَا طَلَباً لِغَيْرِ مَا تَرْجُو أَنْ يَزِينَهُ وَيَنْفَعَهُ.

الطاعة للملوك

لَا تَكُونَنَّ صُحْبَتَكَ لِلْمُلُوكِ إِلَّا بَعْدَ رِيَاضَةٍ (٢) مِنْكَ لِنَفْسِكَ عَلَى طَاعَتِهِمْ فِي الْمَكْرُوهِ عِنْدَكَ، وَمُوَافَقَتِهِمْ فِي مَا خَالَفَكَ، وَتَقْدِيرِ الْأُمُورِ عَلَى أَهْوَائِهِمْ دُونَ هَوَاكَ، وَعَلَى أَلَّا تَكْتُمَهُمْ سِرَّكَ وَلَا تَسْتَطْلِعَ مَا كَتَمُوكَ، وَتُخْفِيَ مَا أَطْلَعُوكَ عَلَيْهِ عَلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ حَتَّى تَحْمِيَ نَفْسَكَ الْحَدِيثَ بِهِ، وَعَلَى اجْتِهَادٍ فِي رِضَاهُمْ، وَالتَّلَطُّفِ لِحَاجَتِهِمْ، وَالتَّشْيِيبِ لِحُجَّتِهِمْ، وَالتَّضَدِيقِ لِمَقَالَتِهِمْ، وَالتَّزْيِينِ لِرَأْيِهِمْ، وَعَلَى قِلَّةِ الْاسْتِقْبَاحِ لِمَا فَعَلُوا إِذَا أَسَاؤُوا، وَتَرْكِ الْإِتِّحَالِ لِمَا فَعَلُوا إِذَا أَحْسَنُوا، وَكَثْرَةِ النُّشْرِ لِمَحَاسِنِهِمْ، وَحُسْنِ السَّتْرِ لِمَسَاوِيئِهِمْ، وَالْمُقَارَبَةِ لِمَنْ قَارَبُوا وَإِنْ كَانُوا بُعْدَاءَ وَالْمُبَاعَدَةِ لِمَنْ بَاعَدُوا وَإِنْ كَانُوا أَقْرَبَاءَ، وَالْاهْتِمَامِ بِأَمْرِهِمْ وَإِنْ لَمْ يَهْتَمُّوا بِهِ، وَالْحِفْظِ لَهُمْ وَإِنْ ضَيَعُوهُ، وَالذِّكْرِ لَهُمْ وَإِنْ نَسَوْهُ، وَالتَّخْفِيفِ عَنْهُمْ مِنْ مَوْؤَنَتِكَ، وَالْإِحْتِمَالِ لَهُمْ كُلِّ مَوْؤَنَةٍ، وَالرِّضَى مِنْهُمْ بِالْعَفْوِ، وَقِلَّةِ الرِّضَى مِنْ نَفْسِكَ لَهُمْ إِلَّا بِالْاجْتِهَادِ.

وَإِنْ وَجَدْتَ عَنْهُمْ وَعَنْ صُحْبَتِهِمْ غِنًى، فَأَغْنِ عَنْ ذَلِكَ نَفْسَكَ وَاعْتَزِلْهُ جَهْدَكَ فَإِنَّهُ مَنْ يَأْخُذَ عَمَلَهُمْ بِحَقِّهِ، يُحَلِّ (٣) بَيْنَهُ وَبَيْنَ لَذَّةِ الدُّنْيَا وَعَمَلِ الْآخِرَةِ. وَمَنْ لَا

= ونسبه إليه، والتبخيل: التحبب والترغب في البخل.

(١) شئت: من فعل شين، والشئ: معروف خلاف الزئ. قيل: وجه فلان شئ. أي قبيح ذو شئ. والجمع مشاين: المعايير والمقاييس.

(٢) رياضة: من فعل روى. ورأى الدابة يروىها روضاً ورياضة: وطشها وزادها ودللها. ورؤت: دلت لأنه أقام الإذلال مقام الرياضة، ورؤت المهور ورياضة: فهو مروض.

(٣) يحل: من فعل حلل، وحل: إذا سكن وحل: إذا عدا. وأحل الرجل بنفسه: إذا استوجب =

يَأْخُذُ بِحَقِّهِ، يَحْتَمِلُ الْفَضِيحَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ^(١) فِي الْآخِرَةِ.

إِنَّكَ لَا تَأْمَنُ أَنْفَةَ الْمُلُوكِ إِنْ أَعْلَمْتَهُمْ، وَلَا تَأْمَنُ عُقُوبَتَهُمْ إِنْ كَتَمْتَهُمْ، وَلَا تَأْمَنُ غَضَبَتَهُمْ إِنْ صَدَقْتَهُمْ، وَلَا تَأْمَنُ سَلَوَتَهُمْ إِنْ حَدَّثْتَهُمْ. وَإِنَّكَ إِنْ لَزِمْتَهُمْ لَمْ تَأْمَنُ تَبَرُّمَهُمْ^(٢) بِكَ، وَإِنْ زَايَلْتَهُمْ لَمْ تَأْمَنُ عِقَابَهُمْ، وَإِنْ تَسْتَايَرْتَهُمْ حَمَلْتَ الْمُؤُونَةَ عَلَيْهِمْ، وَإِنْ قَطَعْتَ الْأَمْرَ دُونَهُمْ لَمْ تَأْمَنَ فِيهِ مُخَالَفَتَهُمْ. إِنَّهُمْ إِنْ سَخَطُوا عَلَيْكَ أَهْلَكُوكَ. وَإِنْ رَضُوا عَنْكَ تَكَلَّفْتَ مِنْ رِضَاهُمْ مَا لَا تُطِيقُ.

فَإِنْ كُنْتَ حَافِظًا إِنْ بَلَوَكَ، جَلَدًا^(٣) إِنْ قَرَّبَكَ، أَمِينًا إِنْ اتَّعَمَنُوكَ: تَعَلَّمَهُمْ وَأَنْتَ تُرِيهِمْ أَنَّكَ تَتَعَلَّمُ مِنْهُمْ، وَتُؤَدِّبُهُمْ وَكَأَنَّهُمْ يُؤَدِّبُونَكَ: تَشْكُرُهُمْ وَلَا تُكَلِّفُهُمْ الشُّكْرَ، بِصِيرًا بِأَهْوَائِهِمْ مُؤَثِّرًا لِمَنَافِعِهِمْ، ذَلِيلًا إِنْ ظَلَمُوكَ، رَاضِيًا إِنْ أَسَخَطُوكَ، وَإِلَّا فَالْبُعْدَ مِنْهُمْ كُلِّ الْبُعْدِ، وَالْحَذَرَ مِنْهُمْ كُلِّ الْحَذَرِ.

تَحَرَّزْ مِنْ سُكْرِ^(٤) السُّلْطَانِ وَسُكْرِ الْمَالِ وَسُكْرِ الْعِلْمِ وَسُكْرِ الْمَنْزِلَةِ وَسُكْرِ الشَّبَابِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ هَذَا شَيْءٌ إِلَّا وَهُوَ رِيحُ جَنَّةٍ^(٥) تَسْلُبُ الْعَقْلَ وَتَذْهَبُ بِالْوَقَارِ

= العاقبة، وحلَّ عليه حَقِّي يَجْلُ: نزل، ويحل بينه وبين الأمر: يَنْزِلُ مفرقاً.

(١) الْوِزْرُ: من فعل وَزَرَ. وَالْوِزْرُ: الحملُ الثقيل وجمعه أَوْزَارٌ. وقيل: الإثم والكآرة والذنب والثقل. ويقال: وَزَرَ يَزِرُ: إذا حمل ما يُثْقَلُ ظَهْرُهُ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمُثْقَلَةِ وَمِنَ الذُّنُوبِ.
(٢) تَبَرُّمُهُمْ: من فعل بَرَّمَ. وَالْبَرَمُ مصدر بَرَّمَ بِالْأَمْرِ بَرَمًا: إِذَا سَيَّمَهُ فَهُوَ بَرِمٌ صَجِرٌ، وَقَدْ أَبْرَمَهُ أَيَّ أَمَلَهُ وَأَصْجَرَهُ. وَمِنْهُ فِي حَدِيثِ الدَّعَاءِ: «السَّلَامُ عَلَيْكَ غَيْرَ مُودِعٍ بَرَمًا». مِنْ يَبْرُمُ بَرَمًا بِالْفَتْحِ إِذَا سَيَّمَهُ وَمَلَّهُ.

(٣) جَلَدًا: من فعل جَلَدَ. وَالْجَلْدُ وَالْجَلْدُ: الْمَسْكُ وَقَدْ كُنِيَ هُنَا بِهِ عَنِ الصَّبْرِ وَالْقُوَّةِ وَالشَّدَةِ وَالصَّلَابَةِ. وَمِنْهُ فِي الْحَدِيثِ: «كَانَ أَخَوْفَ جَلْدَاءَ أَيَّ صَبْرًا وَقُوَّةً».

(٤) سُكْرٌ: من فعل سَكَرَ. وَالسُّكْرُ: نَقِيضُ الصُّحُو وَالْوَعْيِ. وَأَهَمُّ أَنْوَاعِ السُّكْرِ ثَلَاثَةٌ: سُكْرُ الشَّبَابِ، وَسُكْرُ الْمَالِ، وَسُكْرُ السُّلْطَانِ، لِأَنَّ سُكْرَ كُلِّ مِنْهَا يَصْرِفُ الْإِنْسَانَ وَيُضِلُّهُ عَنِ الْبَصَرِ وَالْبَصِيرَةِ وَالْعَقْلِ عَنْ طَرِيقِ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أَيَّ عَنِ الْهُدَى إِلَى الضَّلَالِ.

(٥) جَنَّةٌ: من فعل جَنَّ. وَالْجَنُّ: نَوْعٌ مِنَ الْعَالَمِ سَمُّوا بِذَلِكَ لِاجْتِنَابِهِمْ عَنِ الْأَبْصَارِ فَلَا يُرَوْنَ. وَالْجَمْعُ جَنَّاتٌ وَهُمْ الْجَنَّةُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ وَالْوَاحِدُ جَنِّيٌّ سَمِيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تُخْفَى وَلَا تُرَى. وَأَجَنَّهُ اللَّهُ فَهُوَ مَعْجُونٌ.

وَتَصْرِفُ^(١) الْقَلْبَ وَالسَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَاللِّسَانَ إِلَى غَيْرِ الْمَنَافِعِ .

(١) نقول صَرَفَ اللهُ قُلُوبَهُمْ: أي أضلهم والمقصود أن هذا السُّكْرُ يُصْرِفُ وَيُضِلُّ البصر والبصيرة والعقل والنُّطق المبين عن النُّور إلى الظلمات وعن الهدى إلى الضلال.

في الأصدقاء

ابذل لصديقك دمك ومالك

ابْذُلْ لِصَدِيقِكَ دَمَكَ وَمَالَكَ، وَلَمَعْرِفَتِكَ^(١) رِفْدَكَ^(٢) وَمَحْضَرَكَ^(٣)، وَلِلْعَامَةِ بِشْرَكَ وَتَحَنُّنَكَ، وَلِعَدُوَّكَ عَدْلَكَ وَإِنْصَافَكَ، وَاضْنَنْ^(٤) بِدِينِكَ وَعِزِّضَكَ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ.

لا تتحل رأي غيرك

إِنْ سَمِعْتَ مِنْ صَاحِبِكَ كَلَامًا أَوْ رَأَيْتَ مِنْهُ رَأْيًا يُعْجِبُكَ فَلَا تَتَّحِلْهُ تَزِينًا بِهِ عِنْدَ النَّاسِ. وَاكْتَفِ مِنَ التَّزِينِ بِأَنْ تَجْتَنِيَ الصُّوَابَ إِذَا سَمِعْتَهُ، وَتَنْسِبَهُ إِلَى صَاحِبِهِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ اتِّحَالَكَ^(٥) ذَلِكَ مَسْخَطَةٌ لِصَاحِبِكَ، وَأَنَّ فِيهِ مَعَ ذَلِكَ عَارًا وَسُخْفًا. فَإِنْ بَلَغَ بِكَ ذَلِكَ أَنْ تُشِيرَ بِرَأْيِ الرَّجُلِ وَتَتَكَلَّمَ بِكَلَامِهِ وَهُوَ يَسْمَعُ جَمَعْتَ مَعَ

(١) لِمَعْرِفَتِكَ: من فعل عَرَفَ ومَعْرِفَتِكَ: أهل المعروف في الدنيا أي أحب الناس إليك كأصدقائك.

ومنه الحديث: وَأَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الدُّنْيَا هُمُ أَهْلُ الْمَعْرُوفِ فِي الْآخِرَةِ.

(٢) رِفْدُكَ: من فعل رَفَدَ. وَالرَّفْدُ بِالْكَسْرِ: العطاء والصلة والرَّفْدُ بِالْفَتْحِ المصدر، وَرَفَدَهُ: أعطاه، وَرَفْدَكَ: عطاؤك ومن الحديث: «من اقتراب الساعة أَنْ يَكُونَ الْفَيءُ رِفْدًا أَي صِلَةً وَعَطِيَّةً».

(٣) مَحْضَرَكَ: من فعل حَضَرَ. وَالْحَضَرُ نَقِيضُ الْغِيَابِ وَالْمَغِيبِ. وَكَانَ ذَلِكَ بِمَحْضَرِكَ مِنْهُ أَي بِمَشْهَدِكَ مِنْهُ. وَالْحَضَرَةُ: قُرْبُ الشَّيْءِ.

(٤) وَاضْنَنْ: من فعل ضَنَّ وَالضَّنُّ: الإمساكُ وَالْبَخْلُ. وَضْنِي بِدِينِي: أَي أَخْتَصَّ بِهِ لِنَفْسِي لِمَكَانِهِ مِنِّي وَمَوْقِعِهِ عِنْدِي.

(٥) اتتحالك: من فعل نَحَلَ وَنَحَلْتَهُ الْقَوْلُ أَنَحَلَهُ نَحْلًا: إِذَا أَضْفَتُ إِلَيْهِ قَوْلًا قَالَهُ غَيْرُهُ وَأَدْعَيْتَهُ عَلَيْهِ.

الظلم قلة الحياء. وهذا من سوء الأدب الفاشي في الناس.

وَمِنْ تَمَامِ حُسْنِ الْخُلُقِ وَالْأَدَبِ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ تَسْخَوْ نَفْسَكَ لِأَخِيكَ بِمَا اتَّحَلَ مِنْ كَلَامِكَ وَرَأْيِكَ، وَتَنْسِبَ إِلَيْهِ رَأْيَهُ وَكَلَامَهُ، وَتُزَيِّنَهُ مَعَ ذَلِكَ مَا اسْتَطَعْتَ.

تمام إصابة الرأي والقول

لَا يَكُونَنَّ مَنْ خُلِقَكَ أَنْ تَبْتَدِئَ حَدِيثاً ثُمَّ تَقْطَعَهُ وَتَقُولَ: «سَوْفَ» كَأَنَّكَ رَوَاتٌ^(١) فِيهِ بَعْدَ ابْتِدَائِكَ إِيَّاهُ. وَلِيَكُنْ تَرْوِيكَ فِيهِ قَبْلَ التَّفَوُّهِ بِهِ. فَإِنَّ احْتِجَانًا^(٢) الْحَدِيثِ بَعْدَ افْتِتَاحِهِ سُخْفٌ وَغَمٌّ.

اخْزَنْ عَقْلَكَ وَكَلَامَكَ إِلَّا عِنْدَ إِصَابَةِ الْمَوْضِعِ. فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي كُلِّ حِينٍ يَحْسُنُ كُلُّ صَوَابٍ. وَإِنَّمَا تَمَامُ إِصَابَةِ الرَّأْيِ وَالْقَوْلِ بِإِصَابَةِ الْمَوْضِعِ. فَإِنْ أَخْطَأَكَ ذَلِكَ أَدْخَلْتَ الْمِخَنَةَ^(٣) عَلَى عَقْلِكَ وَقَوْلِكَ حَتَّى تَأْتِيَ بِهِ إِنْ أَتَيْتَ بِهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ وَهُوَ لَا بَهَاءَ وَلَا طُلَاوَةَ لَهُ.

وَلْيَعْرِفِ الْعُلَمَاءُ حِينَ تُجَالِسُهُمْ أَنَّكَ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصُ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ.

لا تخلط الجدل بالهزل

إِنْ أَثَرَتْ أَنَّهُ تُفَاجِرُ أَحَدًا مِمَّنْ تَسْتَأْنِسُ إِلَيْهِ فِي لَهْوِ الْحَدِيثِ فَاجْعَلْ غَايَةَ ذَلِكَ الْجِدَّ، وَلَا تَعْتَدْ^(٤) أَنْ تَتَكَلَّمَ فِيهِ بِمَا كَانَ هَزْلاً، فَإِذَا بَلَغَهُ أَوْ قَارَبَهُ فَدَعُهُ.

(١) رَوَاتٌ: مَنْ فَعَلَ رَأْيَ وَالرُّؤْيَةَ النَّظَرَ بِالْعَيْنِ وَالْقَلْبِ وَقِيلَ: عَلَى رِيَّتِكَ أَيْ رُؤْيَيْكَ وَفِيهِ ضَعْفٌ وَحَقِيقَتُهَا أَنَّهُ أَرَادَ رُؤْيَيْكَ. وَالْمَقْصُودُ أَنَّهُ نَظَرَ فِي الْأَمْرِ وَتَذَبَّرَهُ وَتَعَقَّلَهُ دُونَ أَنْ يَحْرَرَ جَوَاباً سَرِيعاً.

(٢) احْتِجَانٌ مِنْ فَعَلَ حَجَنَ. وَالْإِحْتِجَانُ: جَمْعُ الشَّيْءِ وَضْمُهُ إِلَيْكَ وَاحْتِجَنَ الشَّيْءُ: احْتَوَى عَلَيْهِ. وَقِيلَ: وَاحْتِجَنَاهُ دُونَ غَيْرِنَا: حَجَرْنَا، وَاحْتِجَنَتِ الشَّيْءُ: إِذَا جَذَبَتْهُ بِالْمِخْنَةِ إِلَى نَفْسِكَ.

(٣) الْمِخْنَةُ: مَنْ فَعَلَ مَحَنَ. وَالْمِخْنَةُ: وَاحِدَةُ الْمِخْنِ الَّتِي يَمْتَحِنُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ بَلِيَّةٍ نَسْتَجِيرُ بِكَرَمِ اللَّهِ مِنْهَا. وَالْمُتَمَحِّنُ: الْمُوطَأُ الْمُذَلَّلُ.

(٤) يَعْتَدُ: مَنْ فَعَلَ عَوْدَ. وَعَوْدُ الشَّيْءِ: جَعَلَهُ يَعْتَادُهُ. وَالْمُعَاوِدُ: الْمُوَاطِبُ. وَيُقَالُ لِلرَّجُلِ الْمَوَاطِبِ عَلَى أَمْرِ: مُعَاوِدٌ وَفِي كَلَامٍ بَعْضُهُمْ: الزَّمَا نَقَى اللَّهُ وَاسْتَعِيدَ وَهِيَ أَيْ تَعَوَّدَهَا.

ولا تَخْلُطَنَّ بِالْجِدِّ هَزْلاً، ولا بِالْهَزْلِ جِدّاً. فَإِنَّكَ إِنْ خَلَطْتَ بِالْجِدِّ هَزْلاً هَجَجْتَهُ^(١)، وَإِنْ خَلَطْتَ بِالْهَزْلِ جِدّاً كَذَرْتَهُ.

غَيْرَ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ مَوْطِئاً وَاحِداً إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تَسْتَقْبِلَ فِيهِ الْجِدَّ بِالْهَزْلِ أَصَبْتَ الرَّأْيَ وَظَهَرْتَ^(٢) عَلَى الْأَقْرَانِ: وَذَلِكَ أَنْ يَتَوَرَّدَكَ^(٣) مُتَوَرِّدٌ بِالسَّفْهِ وَالْغَضَبِ وَسُوءِ اللَّفْظِ، فَتُجِيبَهُ إِجَابَةَ الْهَازِلِ الْمُدَاعِبِ، بِرُحْبٍ مِنَ الذَّرْعِ^(٤)، وَطَلَاقَةٍ مِنَ الْوَجْهِ وَتَبَاتٍ مِنَ الْمَنْطِقِ.

لا تتناول على الأصحاب

إِنْ رَأَيْتَ صَاحِبَكَ مَعَ عَدُوِّكَ فَلَا يُغْضِبَنَّكَ ذَلِكَ، فَإِنَّمَا هُوَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ: إِنْ كَانَ رَجُلًا مِنْ إِخْوَانِ الثَّقَةِ فَانْتَفِعْ مَوَاطِنِهِ لَكَ أَقْرَبُهَا مِنْ عَدُوِّكَ لِشَرِّ يَكْفُهُ عَنْكَ، أَوْ لِعَوْرَةٍ^(٥) يَسْتُرُهَا مِنْكَ، أَوْ غَائِبَةٍ يَطْلُعُ عَلَيْهَا لَكَ، فَأَمَّا صَدِيقُكَ فَمَا أَغْنَاكَ أَنْ يَحْضُرَهُ ذُو ثِقَتِكَ.

وَإِنْ كَانَ رَجُلًا مِنْ غَيْرِ خَاصَّةٍ إِخْوَانِكَ فَبِأَيِّ حَقٍّ تَقْطَعُهُ عَنِ النَّاسِ وَتُكَلِّفُهُ الْإِلَّا يُصَاحِبَ وَلَا يُجَالِسَ إِلَّا مَنْ تَهْوَى؟

- (١) هَجَجْتَهُ: مِنْ فَعَلَ هَجَجَ. وَالْهَجَجَةُ مِنَ الْكَلَامِ: مَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْعَيْبُ. وَتَهَجُّجُ الْأَمْرِ: تَقْيِيحُهُ.
- (٢) ظَهَرْتَ: مِنْ فَعَلَ ظَهَرَ. وَظَهَرَ بِهِ وَعَلَيْهِ يَظْهَرُ: قَوِي. وَبَعِيرٌ ظَهِيرٌ، بَيْنَ الظَّاهِرَةِ إِذَا كَانَ شَدِيداً قَوِيّاً. وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَوِ الْطُّفُلَ الَّذِي لَمْ يَظْهَرْ عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ﴾.
- (٣) يَتَوَرَّدُ: مِنْ فَعَلَ وَرَدَ. وَالْوَرْدُ: الَّذِي يُورَدُ. وَالْوَرْدُ: اسْمٌ مِنْ وَرَدَ يَوْمَ الْوَرْدِ. وَوَرَدَ عَلَيْهِ: أَشْرَفَ دَخَلَ أَوْ لَمْ يَدْخُلْهُ وَرَجُلٌ وَارِدٌ مِنْ قَوْمٍ وَرَادٌ وَكُلٌّ مِنْ أُنَى مَكَاناً مِنْهُلاً أَوْ غَيْرِهِ فَقَدْ وَرَدَهُ وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ أَيِ يَرُدُّونَهَا مَعَ الْكُفَّارِ وَلَا يَدْخُلُهَا الْمُسْلِمُونَ.
- (٤) يَرْحُبُ مِنَ الذَّرْعِ: مِنْ فَعَلَ ذَرَعَ. رَحْبُ الذَّرْعِ أَيِ وَاسِعُهَا. وَوَاسِعُ الذَّرْعِ وَالذَّرْعُ أَيِ الْخُلُقِ. وَالذَّرْعُ: الطَّاقَةُ. وَأَصْلُ الذَّرْعِ إِنَّمَا هُوَ بَسْطُ الْيَدِ. وَقِيلَ: قَلَّدُوا أَمْرَكُمْ رَحْبَ الذَّرْعِ أَيِ وَاسِعَ الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ وَالْبَطْشِ.
- (٥) الْعَوْرَةُ: مِنْ فَعَلَ عَوَرَ. وَالْعَوْرَاءُ: الْكَلِمَةُ الْقَبِيحَةُ أَوْ الْفَعْلَةُ. وَالْعَوْرَاءُ الْكَلِمَةُ الَّتِي تَهْوِي فِي غَيْرِ عَقْلِ وَلَا رُشْدٍ. وَالْعَوْرُ: شَيْنٌ وَقَبِيحٌ. وَالْعَرَبُ تَقُولُ لِلرَّدِيِّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَمِنْ كُلِّ تَصَرُّفٍ يَسْتَحْيَا مِنْهُ: أَعُورَ.

تَحَفَّظَ فِي مَجْلِسِكَ وَكَلَامِكَ مِنَ التَّطَاوُلِ عَلَى الْأَصْحَابِ، وَطَبَّ^(١) نَفْسًا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا يَعْرِضُ لَكَ فِيهِ صَوَابُ الْقَوْلِ وَالرَّأْيِ، مُدَارَةً لِئَلَّا يَظُنَّ أَصْحَابُكَ أَنَّ دَابَّكَ التَّطَاوُلَ عَلَيْهِمْ.

إِذَا أَقْبَلَ إِلَيْكَ مُقْبِلٌ بِوَدِّهِ فَسَرِّكَ أَلَّا يُدْبِرَ عَنْكَ، فَلَا تُنْعِمِ الْإِقْبَالَ عَلَيْهِ^(٢) وَالتَّفَتُّحَ^(٣) لَهُ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ طَبَعَ عَلَى ضَرَائِبِ^(٤) لُؤْمٍ. فَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يَرْحَلَ عَمَّنْ لَصِقَ بِهِ وَيَلْصِقَ بِمَنْ رَحَلَ عَنْهُ إِلَّا مَنْ حَفِظَ بِالْأَدَبِ نَفْسَهُ وَكَابَرَ طَبْعَهُ^(٥).

فَتَحَفَّظَ مِنْ هَذَا فِيكَ وَفِي غَيْرِكَ.

ادِّعَاءُ الْعِلْمِ فَضِيحَةٌ

لَا تُكْثِرَنَّ ادِّعَاءَ الْعِلْمِ فِي كُلِّ مَا يَعْرِضُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكَ مِنْ ذَلِكَ بَيْنَ فَضِيحَتَيْنِ:

إِمَّا أَنْ يُنَازِعوكَ فِيمَا ادَّعَيْتَ فَيُهْجَمَ مِنْكَ عَلَى الْجَهَالَةِ وَالصَّلَافِ^(٦)، وَإِمَّا أَلَّا

(١) طَبَّ نَفْسًا: مِنْ فَعَلَ طَبَّبَ لِنَفْسِكَ أَيْ أَبْدَأُ أَوَّلًا بِإِصْلَاحِ نَفْسِكَ وَقِيلَ: اغْمَلْ فِي هَذَا عَمَلٍ مِنْ طَبٍّ لِمَنْ حَبَّ. وَالطَّبُّ: الرِّفْقُ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا إِطْمِئْنَانُ نَفْسًا، فَهِنَا لَكَ.

(٢) تُنْعِمُ الْإِقْبَالَ عَلَيْهِ: مِنْ فَعَلَ نَعِمَ. وَالتَّعْنُمُ بِالضَّمِّ: خِلَافُ الْبُؤْسِ. وَنَعْمُ الشَّيْءِ نَعُومَةٌ أَيْ صَارَ نَاعِمًا لِيَنَاءَ. وَالتَّعْنُمُ: التَّرْفُّهُ، وَقَوْلُهُ: تُنْعِمُ الْإِقْبَالَ عَلَيْهِ: أَيْ تَفْضُلُ الْهَبَاتِ وَالْعَطَايَا بِإِغْرَاءِ مَبَالِغٍ فِيهِ.

(٣) التَّفَتُّحُ مِنْ فَعَلَ فَتَحَ. وَالتَّفَتُّحُ: النَّصْرُ. وَفِي حَدِيثِ الْحَدِيدَةِ: أَهْوَفْتَحُ؟ أَيْ نَصَرَ. وَاسْتَفْتَحْتُ الشَّيْءَ؛ وَالِاسْتَفْتَاخُ: الْاسْتِنْتِصَارُ. وَمَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ﴾ أَيْ النَّصْرُ.

(٤) ضَرَائِبُ: مِنْ فَعَلَ ضَرَبَ، وَضَرْبُ الشَّيْءِ: مِثْلُهُ وَشَكْلُهُ. وَالضَّرِيَّةُ: الطَّبِيعَةُ وَالسَّجِيَّةُ، وَهَذِهِ ضَرِيَّتُهُ الَّتِي ضُرِبَ عَلَيْهَا أَيْ طَبَعَ عَلَيْهَا وَقَطُرَ، أَيْ طُبِعَ. قِيلَ: فَلَانَ كَرِيمَ الضَّرِيَّةِ أَيْ حَسَنَ السَّجِيَّةِ وَالطَّبِيعَةِ.

(٥) كَابَرَ: مِنْ فَعَلَ كَبَّرَ. الْكُبْرُ: الْغَالِبُ. وَقَوْلُهُ فِي الْحَدِيثِ: وَلَا تَكَابِرُوا الصَّلَاةَ بِمِثْلِهَا مِنَ التَّسْبِيحِ فِي مَقَامٍ وَاحِدٍ. كَأَنَّهُ أَرَادَ لَا تَغَالِبُوهَا.

(٦) الصَّلَافُ: مَنْ فَعَلَ صَلَفَ. وَالصَّلَافُ: مُجَاوِزَةُ الْقَدْرِ فِي الظُّرْفِ وَالْبِرَاعَةِ وَالْادِّعَاءِ فَوْقَ ذَلِكَ تَكْبَرًا. =

يُنَازِعُونَكَ وَيُخْلَوْنَ فِي يَدَيْكَ مَا ادَّعَيْتَ مِنَ الْأُمُورِ، فَيَنْكَشِفُ مِنْكَ التَّصَنُّعُ وَالْمَعْجَزَةُ.
وَأَسْتَحْيِ الْحَيَاءَ كُلَّهُ مِنْ أَنْ تُخَيِّرَ صَاحِبَكَ أَنْكَ عَالِمٌ وَأَنْتَ جَاهِلٌ: مُصْرَحاً أَوْ
مُعْرِضاً^(١).

وَإِنْ اسْتَطَلَّتْ عَلَى الْأَكْفَاءِ فَلَا تَيْقَنْ مِنْهُمْ بِالْصَّفَاءِ.
وَإِنْ آنَسْتَ مِنْ نَفْسِكَ فَضْلاً فَتَحَرَّجْ^(٢) أَنْ تَذْكُرَهُ أَوْ تُبْدِيَهُ. وَاعْلَمْ أَنَّ ظُهُورَهُ
مِنْكَ بِذَلِكَ الْوَجْهِ يُقَرِّرُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ مِنَ الْعَيْبِ أَكْثَرَ مِمَّا يُقَرِّرُ لَكَ مِنَ الْفَضْلِ.
وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ صَبَرْتَ وَلَمْ تَعْجَلْ ظَهَرَ ذَلِكَ مِنْكَ بِالْوَجْهِ الْجَمِيلِ الْمَعْرُوفِ
عِنْدَ النَّاسِ.

وَلَا يَخْفَيْنَ عَلَيْكَ أَنَّ حِرْصَ الرَّجُلِ عَلَى إِظْهَارِ مَا عِنْدَهُ وَقَلَّةَ وَقَارِهِ فِي ذَلِكَ
بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْبُخْلِ وَاللَّوْمِ.

وَأَنْ مِنْ خَيْرِ الْأَعْوَانِ^(٣) عَلَى ذَلِكَ السَّخَاءُ وَالتَّكْرَمُ.

وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَلْبَسَ ثَوْبَ الْوَقَارِ وَالْجَمَالِ وَتَتَحَلَّى بِجِلْيَةِ الْمَوَدَّةِ عِنْدَ الْعَامَةِ
وَتَسْلُكِ الْجَدِّدِ^(٤) الَّذِي لَا خَبَارَ^(٥) فِيهِ وَلَا عَثَارَ^(٦) فَكُنْ عَالِماً كَجَاهِلٍ وَنَاطِقاً كَعَبِيٍّ.

- = وَقِيلَ أَفَةُ الظُّرْفِ الصَّلْفُ: وَهُوَ الْعُلُوفُ فِي الظُّرْفِ وَالزِّيَادَةُ عَلَى الْمِقْدَارِ مَعَ تَكْبَرِ.
(١) مُعْرِضاً: مِنْ فَعَلَ عَرَضَ. وَالْمُعْرِضُ: مَا عُرِضَ بِهِ وَلَمْ يُصْرَحْ بِهِ وَإِعْرَاضُ الْكَلَامِ: التَّوْرِيَةُ بِالشَّيْءِ
عَنِ الشَّيْءِ.
(٢) فَتَحَرَّجَ: مِنْ فَعَلَ حَرَجَ. وَالْحَرَجُ وَالْحَرَجُ: الْإِثْمُ. وَالْمُتَحَرِّجُ: الْكَافُّ عَنِ الْإِثْمِ. وَرَجُلٌ مُتَحَرِّجٌ:
مُتَأَنِّمٌ يُلْقِي الْحَرَجَ وَالْحِجْنَ وَالْحُوبَ عَنْ نَفْسِهِ.
(٣) الْأَعْوَانُ: الْوَاحِدُ الْعَوْنُ: وَالْعَوْنُ: الظَّهِيرُ عَلَى الْأَمْرِ.
(٤) الْجَدُّ: مِنْ فَعَلَ جَوَدَ. وَالْجَوْدُ: مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ وَأَصْحَرَ وَالصَّحْرَاءُ جَدَّدُ الْفَضَاءِ جَدَّدَ لَا
وَعَثَ فِيهِ وَلَا جَبَلَ وَلَا أَكْمَةَ. وَهِيَ أَجْدَادُ الْأَرْضِ. وَقِيلَ: كَانَ لَا يَبَالِي أَنْ يَصْلِيَ فِي الْمَكَانِ الْجَدِّدِ
أَيِ الْمُسْتَوِيِّ مِنَ الْأَرْضِ.
(٥) الْخَبَارُ: مِنْ فَعَلَ خَبَرَ. وَالْخَبَارُ: أَرْضٌ رَخْوَةٌ تَتَعَثَّرُ فِيهَا الدَّوَابُّ قِيلَ: دَفَعْنَا فِي خَبَارٍ مِنَ الْأَرْضِ:
أَيِ سَهْلَةٍ لينة. وَالْخَبَارُ مِنَ الْأَرْضِ مَا لَانَ وَاسْتَرَخَى وَكَانَتْ فِيهِ جِجْرَةٌ وَتَحَفَّرَ.
(٦) عَثَارٌ: مِنْ فَعَلَ عَثَرَ. وَالْعَثَرَةُ: الزَّلَّةُ. يَقَالُ: عَثَرَ بِهِ فَرَسُهُ فَسَقَطَ. وَتَعَثَّرَ لِسَانُهُ: تَلَعَثَ. وَلَا حَلِيمٌ إِلَّا

فَأَمَّا الْعِلْمُ فَيُزَيِّنُكَ وَيُرْشِدُكَ. وَأَمَّا قِلَّةُ ادِّعَائِهِ فَتَنْفِي عَنْكَ الْحَسَدَ. وَأَمَّا الْمَنْطِقُ
(إِذَا احْتَجَّتْ إِلَيْهِ) فَيُبَلِّغُكَ حَاجَتَكَ. وَأَمَّا الصَّمْتُ فَيُكْسِبُكَ الْمَحَبَّةَ وَالْوَقَارَ.

وَإِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يُحَدِّثُ حَدِيثًا قَدْ عَلِمْتَهُ أَوْ يُخْبِرُ خَبْرًا قَدْ سَمِعْتَهُ فَلَا تُشَارِكْهُ
فِيهِ وَلَا تَتَعَقَّبْهُ عَلَيْهِ، حِرْصًا عَلَى أَنْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنَّكَ قَدْ عَلِمْتَهُ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ
خِفَّةً^(١) وَسُخَاءً وَسُوءَ آدَبٍ وَسُخْفًا.

وَلْيُعْرِفْ إِخْوَانُكَ وَالْعَامَّةُ أَنَّكَ، إِنْ اسْتَطَعْتَ، إِلَى أَنْ تَفْعَلَ مَا لَا تَقُولُ أَقْرَبُ
مِنْكَ إِلَى أَنْ تَقُولَ مَا لَا تَفْعَلُ.

فَإِنَّ فَضْلَ الْقَوْلِ عَلَى الْفِعْلِ^(٢) عَارٌ وَهَجْنَةٌ^(٣)، وَفَضْلُ الْفِعْلِ عَلَى الْقَوْلِ
زِينَةٌ.

وَأَنْتَ حَقِيقٌ^(٤) فِيمَا وَعَدْتَ مِنْ نَفْسِكَ أَوْ أُخْبِرْتَ بِهِ صَاحِبَكَ أَنْ تَحْتَجِّنَ^(٥)

= دُوْ عَشْرَةٌ، أَي لَا يَحْصُلُ لَهُ الْجَلْمُ وَيُوصَفُ بِهِ حَتَّى يَرْكَبَ الْأُمُورَ وَيَعْتَرِ فِيهَا فَيَعْتَبِرُ بِهَا وَيَسْتَبِينُ
مَوَاضِعَ الْخَطَا فَيَتَجَنَّبُهَا.

(١) خِفَّةٌ: مِنْ فَعَلَ خَفَفَ. وَالْخِفَّةُ: ضِدُّ الثَّقَلِ وَيَكُونُ فِي الْجِسْمِ وَالْعَقْلِ وَالْعَمَلِ. وَخِفَةُ الرَّجُلِ:
طَيْشُهُ وَخِفَّتُهُ فِي عَمَلِهِ. يُقَالُ: أَخَفَّنِي الشَّيْءُ إِذَا أَغْضَبَكَ حَتَّى حَمَلَكَ عَلَى الطَّيْشِ.

(٢) فَضْلُ الْقَوْلِ عَلَى الْفِعْلِ، وَالْفَضْلُ: ضِدُّ النَّقْصِ. وَفَضْلُهُ: مَزَاهُ. وَالتَّفَاضُلُ بَيْنَ الْقَوْمِ: أَنْ يَكُونَ
بَعْضُهُمْ أَفْضَلَ مِنْ بَعْضٍ. وَيُقَالُ: فَضَّلَ فُلَانٌ عَلَى غَيْرِهِ إِذَا غَلَبَ بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ وَكَانَ فَعْلُهُ أَكْبَرَ مِنْ
قَوْلِهِ أَي زَادَ فَعْلُهُ عَلَى قَوْلِهِ.

(٣) هَجْنَةٌ مِنْ فَعَلَ هَجَنَ. وَالهَجْنَةُ مِنَ الْكَلَامِ: مَا يَعْيبُ. وَالْجَمْعُ هُجْنٌ.

(٤) حَقِيقٌ: مِنْ فَعَلَ حَقَّقَ. وَأَحَقَّقْتُ الشَّيْءَ أَي أَوْجَبْتَهُ. وَأَنَا حَقِيقٌ عَلَى كَذَا أَي حَرِيصٌ عَلَيْهِ، وَحَقِيقٌ
عَلَيَّ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ أَي جَدِيرٌ بِهِ. وَالْجَمْعُ أَحْقَاقٌ.

(٥) تَحْتَجِّنُ: مِنْ فَعَلَ حَجَنَ. وَالْحُجْنَةُ: مَا اخْتَزَنَتْ مِنْ شَيْءٍ وَاخْتَصَصَتْ بِهِ نَفْسُكَ. وَمِنْ ذَلِكَ يُقَالُ
لِلرَّجُلِ إِذَا اخْتَصَّ بِشَيْءٍ لِنَفْسِهِ قَدْ اخْتَجَّنَتْ لِنَفْسِهِ دُونَ أَصْحَابِهِ. وَالْإِخْتِجَانُ: جَمْعُ الشَّيْءِ وَضْمُهُ
إِلَيْكَ، وَاحْتَجَنَ الشَّيْءُ: اخْتَوَى عَلَيْهِ.

بعض ما في نفسك، إعداداً لفضل الفعل على القول، وتحرزاً^(١) بذلك عن تقصير فعلٍ إن قصر. ولما يكون إلا مقصراً.

العدل نحو العدو والرضى نحو الصديق

احفظ قول الحكيم الذي قال: لَتَكُنْ غَايَتُكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ الْعَدْلَ، وَفِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ صَدِيقِكَ الرِّضَاءَ.

وذلك أن العدو خضمّ تصرّعه بالحجة وتغلبه بالحكام، وأن الصديق ليس بينك وبينه قاضٍ، فإنما حكمه رضاه.

كيف تختار صديقك

اجعل غاية تشيئك في مؤاخاة من تواخي ومواصل من تواصل توطين نفسك على أنه لا سبيل لك إلى قطيعة أخيك، وإن ظهر لك منه ما تكره، فإنه ليس كالمملوك تعتقه متى شئت أو كالمراة التي تطلقها إذا شئت، ولكنه عرّضك ومروءتك. فإنما مروءة الرجل إخوانه وأخذانه^(٢). فإن عثر الناس على أنك قطعت رجلاً من إخوانك، وإن كنت مُعذراً^(٣)، نزل ذلك عند أكثرهم بمنزلة الخيانة للإخاء والملا ل فيه. وإن أنت مع ذلك تصبرت على مقاربتة^(٤) على غير الرضى عاد ذلك إلى العيب والنيصة.

(١) تحرزاً: من فعل حرز. والحرز: الموضع الحصين. تحرزاً: تحصناً. وأحرزت الشيء إحرازاً إذا حفظته وضممته إليك وصّته عن الأخذ.

(٢) أخذانه: من فعل خذّن، والخذن والخدين: الصديق وقيل: الصاحب المحدث والجمع أخذان والخدين: الذي يُحَادِثُكَ فيكون معك في كل أمر ظاهر وباطن. وخاذنت الرجل: صاحبت.

(٣) مُعذراً: من فعل عذّر. والعذر: الحجة التي يُعْتَذَرُ بها. والجمع أعذار. ولي في هذا الأمر عذر. والمُعْتَذِرُ يكون محققاً أو غير مُحَقِّقٍ. واعتذر الرجل إذا أتى بعذر. واعتذر إذا لم يأت بعذر.

(٤) مقارنته: من فعل قرر. والقرارة: ما بقي من مصادقته مع الخدين. وكذلك قررت أي لما سكنت. وقارة مقارة أي قرّ معه وسكن. وقررت عنده الخبر حتى استقر. والمقصود إقرار الإنسان على الصديق وبقاؤه معه والوثوق به.

فَالْإِتِّدَادَ الْإِتِّدَادَ^(١) ! وَالتَّثَبُّتَ التَّثَبُّتَ^(٢) .

وَإِذَا نَظَرْتَ فِي حَالِ مَنْ تَرْتِيهِ لِإِخَائِكَ ، فَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِ الدِّينِ فَلْيَكُنْ
فَقِيهًا غَيْرَ مُرَاءٍ^(٣) ، وَلَا حَرِيصٍ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ إِخْوَانِ الدُّنْيَا فَلْيَكُنْ حُرًّا لَيْسَ بِجَاهِلٍ
وَلَا كَذَّابٍ وَلَا شَرِيرٍ وَلَا مَشْنُوعٍ^(٤) .

فَإِنَّ الْجَاهِلَ أَهْلٌ أَنْ يَهْرُبَ مِنْهُ أَبَوَاهُ ، وَإِنَّ الْكَذَّابَ لَا يَكُونُ أَحَاً صَادِقًا . لِأَنَّ
الْكَذِبَ الَّذِي يَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ إِنَّمَا هُوَ مِنْ فُضُولِ كَذِبِ قَلْبِهِ ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ
الصَّدِيقُ مِنَ الصَّدَقِ . وَقَدْ يُتَّهَمُ صَدَقَ الْقَلْبُ وَإِنْ صَدَقَ اللِّسَانُ . فَكَيْفَ إِذَا ظَهَرَ
الْكَذِبُ عَلَى اللِّسَانِ ؟ وَإِنَّ الشَّرِيرَ يُكْسِبُكَ الْعَدُوَّ . وَلَا حَاجَةَ لَكَ فِي صَدَاقَةٍ تَجْلِبُ
الْعِدَاوَةَ . وَإِنَّ الْمَشْنُوعَ شَانِعٌ صَاحِبُهُ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ انْتِقِيَاظَكَ عَنِ النَّاسِ يُكْسِبُكَ الْعِدَاوَةَ . وَأَنْ انْبِسَاطَكَ إِلَيْهِمْ يُكْسِبُكَ
صَدِيقَ السَّوَاءِ . وَسَوْءُ الْأَصْدِقَاءِ أَضَرُّ مِنْ بُغْضِ الْأَعْدَاءِ . فَإِنَّكَ إِنْ وَاصَلْتَ صَدِيقَ
السَّوَاءِ أَعْيَيْتَكَ^(٥) جَرَائِرُهُ^(٦) ، وَإِنْ قَطَعْتَهُ شَانَكَ اسْمُ الْقَطِيعَةِ ، وَالزَّمَكَ ذَلِكَ مَنْ يَرْفَعُ

(١) الإِتِّدَادُ : مِنْ فَعَلَ أَوْدَ . وَالْأَصْلُ فِيهَا الْوَادُ . وَآدَ عَلَيْهِ : عَطَفَ فِي التَّؤَدَةِ بِمَعْنَى التَّائِي . .

(٢) التَّثَبُّتُ : مِنْ فَعَلَ ثَبَتَ . وَتَثَبَّتَ فِي الْأَمْرِ وَالرَّأْيِ : تَأَتَّى فِيهِ وَلَمْ يَعْجَلْ وَاسْتَثَبَّتْ فِي الْأَمْرِ إِذَا شَاوَرَ
وَفَحَصَ عَنْهُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَتَثْبِيئًا مِنْ
أَنْفُسِهِمْ ﴾ .

(٣) مُرَاءٍ : مِنْ فَعَلَ مَرَأَ . وَمَرَأَهُ حَقَّهُ أَيْ جَحَدَهُ . وَمَارَيْتُ الرَّجُلَ أَمَارِيهِ مُرَاءٍ إِذَا جَادَلْتَهُ ، وَالْمُرْيَةُ الْمُرْيَةُ :
الْجِدَلُ وَالشُّكُّ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ فَلَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ﴾ .

(٤) مَشْنُوعٌ : مِنْ فَعَلَ شَنَعَ . وَالشَّنَاعَةُ : الْفُطَاعَةُ . شَنَعَ الْأَمْرُ أَوْ الشَّيْءُ : قَبِحَ . وَشَنَعَ بِالْأَمْرِ : رَأَاهُ شَنِيعًا ،
وَتَشَنَّعَ الْقَوْمُ : قَبِحَ أَمْرُهُمْ بِاخْتِلَافِهِمْ وَاضْطِرَابِ رَأْيِهِمْ . وَالْمَشْنُوعُ : مَنْ قَبِحَ الشَّيْءُ الَّذِي يُسْتَشْنَعُ
قُبْحُهُ . فَهُوَ شَنِيعٌ . وَالشَّانِعُ الَّذِي يَأْتِي بِالْأَمْرِ الْفَاضِحِ الْقَبِيحِ السُّمِّ .

(٥) أَعْيَيْتَكَ : مِنْ فَعَلَ عَيَا . عَيَّ بِالْأَمْرِ : عَجَزَ عَنْهُ . وَجَمَعَهُ أَعْيَاءُ . أَعْيَانِي هَذَا الْأَمْرُ أَنْ أَضْطِطَّهُ أَيْ
جَهَلْتُهُ ، وَعَيَّ فِي الْمَنْطِقِ عَيْبًا : حَصَرَ . الْعَيُّْ خِلَافُ الْبَيَانِ . وَقِيلَ : عَيَّ بِأَمْرِهِ وَعَيَّ إِذَا لَمْ يَهْتَدِ
لَوْجِهِ .

(٦) جَرَائِرُهُ : الْوَاحِدَةُ جَرِيرَةٌ . وَالْجَرِيرَةُ : الْجَنَاحَةُ مِنْ فَعَلَ جَنَى . وَجَنَى الذَّنْبَ عَلَيْهِ جَنَاحَةً : جَرَّهُ .
وَالْجَنَاحَةُ : الذَّنْبُ وَالْجُرْمُ وَمَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ مِمَّا يَجُوبُ عَلَيْهِ الْعِقَابُ أَوْ الْفُصَاصُ فِي الدُّنْيَا =

عَيْكَ وَلَا يَنْشُرُ عُذْرَكَ. فَإِنَّ الْمَعَايِبَ تَنْمِي وَالْمَعَاذِيرَ لَا تَنْمِي^(١).

لباس انقباض ولباس انبساط

الْبَسَ لِلنَّاسِ لِبَاسَيْنِ لَيْسَ لِلْعَاقِلِ بُدٌّ مِنْهُمَا، وَلَا عَيْشَ وَلَا مُرُوءَةً إِلَّا بِهِمَا:

لِبَاسَ انْقِبَاضٍ^(٢) وَاحْتِجَازٍ مِنَ النَّاسِ، تَلْبُسُهُ لِلْعَامَّةِ فَلَا يَلْقَوْنَكَ إِلَّا مُتَحَفِّظًا مُتَشَدِّدًا مُتَحَرِّزًا مُسْتَعِدًّا.

وَلِبَاسَ انْبِسَاطٍ^(٣) وَاسْتِثْنَاءٍ، تَلْبُسُهُ لِلْخَاصَّةِ الثَّقَاتِ مِنْ أَصْدِقَائِكَ فَتَلْقَاهُمْ بِذَاتِ صَدْرِكَ وَتُقْضِي إِلَيْهِمْ بِمَصُونِ حَدِيثِكَ وَتَضَعُ عَنْكَ مَوْزَنَةَ الْحَذَرِ وَالتَّحَفُّظِ فِي مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ.

وَأَهْلُ هَذِهِ الطَّبَقَةِ، الَّذِينَ هُمْ أَهْلُهَا، قَلِيلٌ مِنْ قَلِيلٍ حَقًّا. لِأَنَّ ذَا الرَّأْيِ لَا يُدْخِلُ أَحَدًا مِنْ نَفْسِهِ هَذَا الْمَدْخَلَ إِلَّا بَعْدَ الْاِخْتِيَارِ وَالتَّكْشُفِ^(٤) وَالثَّقَةِ بِصِدْقِ النَّصِيحَةِ وَوَفَاءِ الْعَهْدِ.

= وَالْآخِرَةَ. وَجَنَى فُلَانٌ عَلَى نَفْسِهِ إِذَا جَرَّ جَرِيرَةً يَجْنِي جَنَائَةً عَلَى قَوْمِهِ.

(١) تَنْمِي: مِنْ فَعَلَ تَمَى. وَالنَّمَاءُ: الزِّيَادَةُ. وَأَنْمَيْتُ الشَّيْءَ: جَعَلْتُهُ نَامِيًا. وَأَنْمَيْتُ الْحَدِيثَ: أَدْعَيْتُهُ عَلَى وَجْهِ النَّمِيمَةِ وَالْإِشَاعَةِ. فَالْمَعَايِبُ تَنْمِي عَلَى وَجْهِ النَّمِيمَةِ وَالْمَحَاسِنُ تَنْمِي عَلَى وَجْهِ الْإِصْلَاحِ.

(٢) الْإِنْقِبَاضُ: مِنْ فَعَلَ قَبَضَ. وَالْإِنْقِبَاضُ: خِلَافُ الْإِنْبِسَاطِ وَالْإِحْتِشَامِ عَلَى التَّشْبِيهِ وَالْمَجَازِ وَالْمَقْصُودُ تَدْبِيرُ الْأَمْرِ بِتَحَفُّظٍ وَتَحَرُّزٍ وَاسْتِعْدَادٍ.

(٣) لِبَاسُ انْبِسَاطٍ: مِنْ فَعَلَ بَسَطَ. وَالرَّجُلُ الْبَسِيطُ الْمُنْبَسِطُ اللِّسَانِ. وَالْمَقْصُودُ لِيَكُنْ وَجْهُكَ بَسِطًا تَكُنْ أَحَبَّ إِلَى النَّاسِ مِمَّنْ يُعْطِيهِمُ الْعَطَاءَ أَيْ مُنْبَسِطًا مُنْطَلِقًا وَمُسْتَنْسَأً.

(٤) التَّكْشُفُ: مِنْ فَعَلَ كَشَفَ. وَالتَّكْشُفُ: رَفَعُكَ الشَّيْءَ عَمَّا يُوَارِيهِ وَيُغْطِيهِ وَكَذَلِكَ التَّكْشُفُ. وَكَشَفَ الْأَمْرَ: أَظْهَرَهُ. وَفِي الْحَدِيثِ: «لَوْ تَكَاشَفْتُمْ مَا تَدَاغْتُمْ» أَيْ لَوْ انْكَشَفَ عَيْبُ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ. وَعَلَيْهِ يَدْرِكُ كُلُّ مَنْهُمْ مَا بِدَاخِلِ الْآخَرِ وَمَا فِي نَفْسِهِ مِنْ خَفَايَا وَهَذَا لَا يُسْتَبَانُ إِلَّا لِأَهْلِ الثَّقَةِ وَفَاءِ الْعَهْدِ وَصَدَقًا لِلنَّصِيحَةِ.

صُنْ لِسَانَكَ

اعْلَمْ أَنَّ لِسَانَكَ أَدَاةٌ مُصَلَّتَةٌ^(١)، يَتَغَالَبُ عَلَيْهِ عَقْلُكَ وَغَضَبُكَ وَهَوَاكَ وَجَهْلُكَ. فَكُلَّ غَالِبٍ عَلَيْهِ مُسْتَمْتِعٌ بِهِ وَصَارْفُهُ فِي مَحَبَّتِهِ، فَإِذَا غَلَبَ عَقْلُكَ فَهُوَ لَكَ، وَإِنْ غَلَبَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَشْبَاهِ مَا سَمَّيْتُ لَكَ فَهُوَ لِعَدُوِّكَ.

فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَحْفَظَ بِهِ وَتَصُونَهُ فَلَا يَكُونُ إِلَّا لَكَ، وَلَا يَسْتَوْلِي عَلَيْهِ أَوْ يُشَارِكَ فِيهِ عَدُوُّكَ، فَافْعَلْ.

مُؤَاسَاةُ الصَّدِيقِ^(٢)

إِذَا نَابَتْ^(٣) أَخَاكَ إِحْدَى النَّوَائِبِ مِنْ زَوَالِ نِعْمَةٍ أَوْ نُزُولِ بَلِيَّةٍ، فَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ ابْتُلِيَْتَ مَعَهُ: إِمَّا بِالْمُؤَاسَاةِ فَتُشَارِكُهُ فِي الْبَلِيَّةِ، وَإِمَّا بِالْخِذْلَانِ^(٤) فَتَحْتَمِلُ الْعَارَ.

فَالْتَمِسِ الْمَخْرَجَ عِنْدَ أَشْبَاهِ ذَلِكَ، وَآثِرْ مُرُوءَتَكَ عَلَى مَا سِوَاهَا.

فَإِنْ نَزَلَتْ الْجَائِحَةُ^(٥) الَّتِي تَأْتِي نَفْسَكَ مُشَارِكَةً أَخِيكَ فِيهَا فَاجْمِلْ^(٦)، فَلَعَلَّ الْإِجْمَالَ يَسَعُكَ^(٧)، لِقَلَّةِ الْإِجْمَالِ فِي النَّاسِ.

(١) مُصَلَّتَةٌ: مِنْ فَعَلَ صَلَّتَ. وَالصَّلْتُ: الْبَارَزُ. وَاللِّسَانُ الْمَصْلُتُ: الْمَجْرَدُ وَالْجَمْعُ أَصْلَاتُ وَأَنْصَلَتْ فِي الْأَمْرِ: أَنْجَرَدَ. وَفِي بَعْضِ الْأَقْوَالِ: كَانَ سَهْلُ اللِّسَانِ وَالْخَذْيَيْنِ صَلَّتْهَا وَلِسَانُ صَلَّتْ: أَيِ مَاضٍ فِي الْأَمْرِ وَمُسْرَعٌ.

(٢) الْمُؤَاسَاةُ: عَلَى مَعْنَى التَّعَزُّيِ وَالتَّأْسِيِ وَالصَّبْرِ. وَهِيَ التَّعْزِيَةُ مِنْ عَزَيْتُ. وَالْإِعْتِزَاءُ: الْإِتِّصَالُ بِصَاحِبِ النَّائِبَةِ دَعْوَةً لِلتَّصْبِيرِ وَالْعِزَاءِ عَنْ كُلِّ مَا فَقَدَ.

(٣) الْخِذْلَانُ: مِنْ فَعَلَ خَذَلَ. وَالتَّخْذِيلُ: حَمْلُ الرَّجُلِ عَلَى خُذْلَانِ صَاحِبِهِ وَتَثْقِيلُهُ عَنْ نَصْرَتِهِ. وَالْخِذْلَانُ: تَرْكُ النَّصْرَةِ وَالْعَوْنِ. وَخِذْلَانُ اللَّهِ الْعَبْدُ: أَنْ لَا يَقْصِمَهُ مِنَ الشُّبْهِ فَيَقِعَ فِيهَا.

(٤) الْجَائِحَةُ: مِنْ فَعَلَ جَنَحَ. وَجَنَحَ: مَالٌ. وَالْجُنَاحُ: مَا تُحْمَلُ مِنَ الْهَمِّ وَالْأَذَى وَقِيلَ: الْجُنَاحُ: الْجَنَائِيَةُ وَالْجُرْمُ وَالْمَقْصُودُ هُنَا الْمَصِيبَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَنْزِلُ بِالْإِنْسَانِ فَيَتَحَمَّلُ غَارَهَا وَيَلْأَها.

(٥) أَجْمَلَ: مِنْ فَعَلَ جَمَلَ. وَجَمَلَ الرَّجُلُ: فَهُوَ جَمِيلٌ. وَجَمَلُهُ: زِينَتُهُ. يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ أَجْمَلَ فِيهِ بِمَعْنَى جَمِيلٍ. وَقِيلَ: إِلْزَمَ تَجَمُّلَكَ وَاصْنَعْهُ، وَلَا تَفْرِطْ وَلَا تَتَرَدَّدْ.

(٦) يَسَعُكَ: مِنْ فَعَلَ سَعَى. وَالسَّعَى: الْعَمَلُ. وَأَصْلُ السَّعَى التَّصَرُّفُ فِي كُلِّ عَمَلٍ. وَالْمَقْصُودُ تَقْدِيرُكَ عَمَلَ الْخَيْرِ. وَمِنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِتَجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾.

وَإِذَا أَصَابَ أَخَاكَ فَضْلٌ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي دُنُوكَ مِنْهُ وَابْتِغَائِكَ مَوَدَّتَهُ وَتَوَاضُعِكَ لَهُ مَذَلَّةٌ. فَاعْتَنِمِ ذَلِكَ وَاعْمَلْ بِهِ.

إلى من تعتذر

لَا تَعْتَذِرَنَّ إِلَّا إِلَى مَنْ يُحِبُّ أَنْ يَجِدَ لَكَ عُذْرًا، وَلَا تَسْتَعِينَنَّ إِلَّا بِمَنْ يُحِبُّ أَنْ يُظْفِرَكَ بِحَاجَتِكَ، وَلَا تُحَدِّثَنَّ إِلَّا مَنْ يَرَى حَدِيثَكَ مَعْتَمًا، مَا لَمْ يَغْلِبِكَ اضْطِرَارٌ. وَإِذَا اعْتَذَرَ إِلَيْكَ مُعْتَذِرٌ، فَتَلَقَّهُ بِوَجْهِ مُشْرِقٍ وَبِشْرِ وَلِسَانٍ طَلْقٍ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِنْ قَطِيعَتِهِ غَنِيمَةً^(١).

إِذَا غَرَسْتَ مِنَ الْمَعْرُوفِ غَرْسًا وَأَنْفَقْتَ عَلَيْهِ نَفَقَةً فَلَا تَضِنَّ فِي تَرْبِيَةِ مَا غَرَسْتَ وَاسْتِنْمَائِهِ، فَتَذْهَبِ النِّفَقَةُ الْأُولَى ضَيَاعًا.

إخوان الصدق

اعْلَمْ أَنَّ إِخْوَانَ الصِّدْقِ هُمْ خَيْرُ مَكَاسِبِ الدُّنْيَا، هُمْ زِينَةُ فِي الرِّخَاءِ، وَعُدَّةٌ^(٢) فِي الشَّدَةِ، وَمَعُونَةٌ عَلَى خَيْرِ الْمَعَاشِ وَالْمَعَادِ^(٣). فَلَا تُفَرِّطَنَّ^(٤) فِي

(١) غَنِيمَةٌ: من فعل غَنَمَ. والغنيمة: هي ما أصيب من أموال. يقال: فلان يتغنم الأمر أي يحرص عليه كما يحرص على الغنيمة. والجمع الغانمون والمقصود إن البعد عن الأشرار والذين يحوكون الدسائس ضدك غنيمة.

(٢) عُدَّةٌ: من فعل عدد، والعِدَانُ: الزمان والعَهْدُ. قيل: وهو من العُدَّةِ كَأَنَّهُ أُعِدَّ لَهُ وَهِيَءٌ. وأنا على عِدَانِ ذَلِكَ أَيِ حِينِهِ وَإِبَانِهِ. من الاستعداد الكامل إن من المال أو غيره لحوادث الدهر ونوائبه.

(٣) الْمَعَاشُ وَالْمَعَادُ: المعاش من فعل عِش. قيل: الْأَرْضُ مَعَاشُ الْخَلْقِ، وَالْمَعَاشُ مَطْنَةُ الْمَعِيشَةِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزُ: ﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾. أَيِ مُلْتَمَسًا لِلْعِيشِ فِي الدُّنْيَا وَالْمَعَادُ من فعل عَوَدَ. وَالْمَعَادُ: الْمَصِيرُ وَالْمَرْجِعُ وَالْآخِرَةُ: مَعَادُ الْخَلْقِ وَقِيلَ: وَالْمَعَادُ الْآخِرَةُ وَالْحَجَّ وَمِنَ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لَرَأْدُكَ إِلَى مَعَادٍ﴾ وَقِيلَ الْمَعَادُ: الْآخِرَةُ وَقِيلَ: يَوْمَ الْبَعْثِ أَيِ: إِلَى مَعْدَنِكَ مِنَ الْجَنَّةِ.

(٤) تُفَرِّطَنَّ فِي اكْتِسَابِهِمْ: من فعل فَرَطَ، فَرَطٌ، قَصَرٌ. وَمِنَ الْحَدِيثِ: «إِنَّهُ نَامَ عَنِ الْعِشَاءِ حَتَّى تَفَرَّطَتْ». أَيِ فَاتَ وَقْتُهَا قَبْلَ أَدَائِهَا. وَتَفَارَطَ الْغَزْوُ أَيِ فَاتَ وَقْتُهُ.

اِكْتِسَابِهِمْ وَابْتِغَاءِ الْوُصْلَاتِ^(١) وَالْأَسْبَابِ^(٢) إِلَيْهِمْ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ وَاجِدٌ رَغْبَتَكَ مِنَ الْإِخَاءِ عِنْدَ أَقْوَامٍ قَدْ حَالَتْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ بَعْضُ الْأَبْهَةِ الَّتِي قَدْ تَعْتَرِي بَعْضَ أَهْلِ الْمُرُوءَاتِ فَتَحْجِزُ عَنْهُمْ كَثِيرًا مِمَّنْ يَرْغُبُ فِي أَمْثَالِهِمْ. فَإِذَا رَأَيْتَ أَحَدًا مِنْ أَوْلِيكَ قَدْ عَثَرَ الدَّهْرُ فَأَقْلُهُ^(٣).

الاستطالة تهدم الصنعة وتكدر المعروف

إِذَا كَانَتْ لَكَ عِنْدَ أَحَدٍ صَنِيعَةٌ أَوْ كَانَ لَكَ عَلَيْهِ طَوْلٌ^(٤) فَالْتِمِسْ إِحْيَاءَ ذَلِكَ بِإِمَاتَتِهِ، وَتَعْظِيمَهُ بِالتَّصْغِيرِ لَهُ. وَلَا تَقْتَصِرَنَّ فِي قِلَّةِ الْمَنِّ بِهِ عَلَى أَنْ تَقُولَ: لَا أَذْكُرُهُ وَلَا أَصْغِي بِسَمْعِي إِلَى مَنْ يَذْكُرُهُ، فَإِنَّ هَذَا قَدْ يَسْتَحْيِي مِنْهُ بَعْضُ مَنْ لَا يُوصَفُ بِعَقْلِ وَلَا كَرَمٍ. وَلَكِنْ احْذَرُ أَنْ يَكُونَ فِي مَجَالَسَيْكَ إِيَّاهُ، وَمَا تُكَلِّمُهُ بِهِ، أَوْ تَسْتَعِينُهُ عَلَيْهِ، أَوْ تُجَارِيهِ فِيهِ، شَيْءٌ مِنَ الاسْتِطَالَةِ^(٥)، فَإِنَّ الاسْتِطَالَةَ تَهْدِمُ الصَّنِيعَةَ وَتُكَدِّرُ الْمَعْرُوفَ.

احترس من سورة الغضب

احْتَرِسْ مِنْ سَوْرَةِ^(٦) الْغَضَبِ وَسَوْرَةِ الْحَمِيَّةِ وَسَوْرَةِ الْحِقْدِ وَسَوْرَةِ الْجَهْلِ،

(١) الْوُصْلَاتُ: مِنْ فِعْلِ وَصَلَ. وَصَلْتُ الشَّيْءَ وَصَلًا أَوْ الْوَصَلَ: ضِدُّ الْهَجْرَانِ وَخِلَافُ الْفَضْلِ، وَالْوَاحِدَةُ الْوَصْلَةُ، وَالْوَصْلَةُ: الْإِتِّصَالُ.

(٢) الْأَسْبَابُ: مِنْ فِعْلِ سَبَبَ. وَالسَّبَبُ: كُلُّ شَيْءٍ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى غَيْرِهِ وَالْجَمْعُ أَسْبَابٌ وَكُلُّ شَيْءٍ يَتَوَصَّلُ بِهِ إِلَى الشَّيْءِ فَهُوَ سَبَبٌ.

(٣) أَقْلُهُ: مِنْ فِعْلِ قَلَّلَ. وَاسْتَقْلَ الطَّائِرُ فِي طَيْرَانِهِ: نَهَضَ لِلطَّيْرَانِ وَارْتَفَعَ فِي الْهَوَاءِ. وَمَنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا أَقْلَتْ سَحَابًا بِقَالٍ﴾ ارْتَفَعَتْ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا قُمْ وَانْهَضْ إِلَى مُسَاعِدَتِهِ وَنَصْرَتِهِ حَتَّى يَنْتَهِي فِي عَثْرَتِهِ.

(٤) طَوْلٌ: مِنْ فِعْلِ طَوَّلَ. وَالطَّوْلُ الْغِنَى وَالْفَضْلُ. يُقَالُ: إِنَّهُ لَيَطْوِلُ عَلَى النَّاسِ بِفَضْلِهِ وَخَيْرِهِ.

(٥) الاسْتِطَالَةُ: مِنْ فِعْلِ طَوَّلَ. وَالطَّوْلُ: الْفَضْلُ، وَالْمَنُّ. وَقِيلَ: التَّطَاوُلُ وَالْاسْتِطَالَةُ التَّفَضُّلُ وَرَفْعُ النَّفْسِ.

(٦) سَوْرَةٌ: مِنْ فِعْلِ سَوَّرَ وَالسَّوْرَةُ: سُوْرَةٌ كُلُّ شَيْءٍ حَذُّهُ. وَقِيلَ: السُّوْرَةُ: الرَّفْعَةُ وَبِهَا سُمِّيَتِ السُّوْرَةُ مِنَ الْقُرْآنِ أَيْ رَفْعَةً وَخَيْرَ.

وَأَعِدُّ لِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ عُدَّةً تُجَاهِدُهُ بِهَا مِنَ الْجَلَمِ وَالتَّفَكُّرِ وَالرَّوْيَةِ وَذِكْرِ الْعَاقِبَةِ وَطَلَبِ الْفَضِيلَةِ .

وَأَعْلَمْ أَنَّكَ لَا تُصِيبُ الْغَلَبَةَ إِلَّا بِالْاجْتِهَادِ وَالْفَضْلِ ، وَأَنَّ قِلَّةَ الْإِعْدَادِ لِمُدَافَعَةِ الطَّبَائِعِ الْمُتَطَلِّعَةِ هُوَ الْاسْتِسْلَامُ لَهَا . فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا وَفِيهِ مِنْ كُلِّ طَبِيعَةٍ سُوءٌ غَرِيزَةٌ . وَإِنَّمَا التَّفَاضُلُ بَيْنَ النَّاسِ فِي مُغَالَبَةِ طَّبَائِعِ السُّوءِ .

فَأَمَّا أَنْ يَسْلَمَ أَحَدٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِيهِ تِلْكَ الْغَرَائِزُ فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ مَطْمَعٌ . إِلَّا أَنْ الرَّجُلَ الْقَوِيَّ إِذَا كَابَرَهَا بِالْقَمْعِ ^(١) لَهَا كُلَّمَا تَطَلَّعَتْ لَمْ يَلْبَثْ أَنْ يُمِيتَهَا حَتَّى كَأَنَّهَا لَيْسَتْ فِيهِ . وَهِيَ فِي ذَلِكَ كَامِنَةٌ كُمُونَ النَّارِ فِي الْعُودِ ، فَإِذَا وَجَدَتْ قَادِحاً ^(٢) مِنْ عِلَّةٍ ، أَوْ غَفْلَةً اسْتَوْرَتْ ^(٣) كَمَا تُسْتَوْرَى النَّارُ عِنْدَ الْقَدْحِ ، ثُمَّ لَا يَبْدَأُ ضَرْهَا إِلَّا بِصَاحِبِهَا ، كَمَا تَبْدَأُ النَّارُ إِلَّا بِعُودِهَا الَّذِي كَانَتْ فِيهِ .

ذَلَّلْ نَفْسَكَ عَلَى الصَّبْرِ

ذَلَّلْ نَفْسَكَ بِالصَّبْرِ عَلَى جَارِ السُّوءِ ، وَعَشِيرِ السُّوءِ ، وَجَلِيسِ السُّوءِ . فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَكَادُ يُخْطِئُكَ .

وَأَعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ صَبْرَانِ : صَبْرُ الْمَرْءِ عَلَى مَا يَكْرَهُ ، وَصَبْرُهُ عَمَّا يُحِبُّ .

وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ أَكْبَرُهُمَا وَأَشْبَهُهُمَا ^(٤) أَنْ يَكُونَ صَاحِبُهُ مُضْطَرَّأً .

وَأَعْلَمْ أَنَّ اللَّثَامَ أَصْبَرُ أَجْسَاداً ، وَأَنَّ الْكِرَامَ هُمْ أَصْبَرُ نَفُوساً .

(١) الْقَمْعُ مِنْ فَعَلَ قَمَعَ . وَالْقَمْعُ : الدُّلُّ وَالرَّدْعُ وَالْكَفُّ . وَقِيلَ الْقَمْعُ : أَنْ تَقْمَعَ آخَرَ بِالْكَلَامِ حَتَّى تَتَضَاعَرَ إِلَيْهِ نَفْسُهُ . وَقَمَعَهُ : قَهَرَهُ .

(٢) قَادِحاً : مَنْ فَعَلَ قَذَحَ . وَالْقَادِحُ وَالْقَذَّاحُ : الْحَجَرُ الَّذِي يُقَذَّحُ بِهِ النَّارُ وَقِيلَ : الْحَجَرُ الَّذِي يُورَى مِنْهُ النَّارُ . وَالْقَذْحُ : قَذْحُكَ بِالزُّنْدِ وَالْقَذَّاحُ لُثُورِي وَيَقَالُ لِلَّذِي يُضْرَبُ فَتَخْرُجُ مِنْهُ النَّارُ قَذَّاحَةٌ .

(٣) اسْتَوْرَتْ : مِنْ فَعَلَ وَرَى . وَوَرَّتِ النَّارُ تَرَى وَرِياً وَرِئَةً حَسَنَةً . وَوَرَى الزُّنْدُ يَرَى . وَوَرَى الزُّنْدُ : أَتَقَدَّ . وَقِيلَ : هُوَ أَوْرَأَهُمْ زَنْدًا : يَضْرَبُ مِثْلًا لِنَجَاحِهِ وَظَفَرِهِ .

(٤) أَشْبَهُهُمَا : مِنْ فَعَلَ شَبَّهَ . وَالشَّبُّ وَالشَّبَّةُ : الْمِثْلُ . وَالْجَمْعُ أَشْبَاهُ ، وَأَشْبَهَ الشَّيْءُ الشَّيْءَ : مِثْلُهُ . وَمِنْهُ فِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ : ﴿ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ ﴾ فَالْمُتَشَابِهَاتُ الْمُتَمَاثِلَاتُ .

وَلَيْسَ الصَّبْرُ الْمَمْدُوحُ بِأَنْ يَكُونَ جِلْدُ الرَّجُلِ وَقَاحاً^(١) عَلَى الضَّرْبِ، أَوْ رِجْلُهُ قَوِيَّةٌ عَلَى الْمَشْيِ، أَوْ يَدُهُ قَوِيَّةٌ عَلَى الْعَمَلِ. فَإِنَّمَا هَذَا مِنْ صِفَاتِ الْحَمِيرِ.

وَلَكِنَّ الصَّبْرَ الْمَمْدُوحَ أَنْ يَكُونَ لِلنَّفْسِ غَلُوباً^(٢)، وَلِلْأُمُورِ مُحْتَمِلاً، وَفِي الضَّرَاءِ مُتَجَمِّلاً^(٣)، وَلِنَفْسِهِ عِنْدَ الرَّأْيِ وَالْحِفَاطِ^(٤) مُرْتَبِطاً^(٥)، وَلِلْحَزْمِ مُؤَثِّراً، وَلِلهَوَى تَارِكاً، وَلِلْمَشَقَّةِ الَّتِي يَرْجُو حُسْنَ عَاقِبَتِهَا مُسْتَخِفّاً، وَعَلَى مُجَاهَدَةِ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ مُوَظِّباً، وَلِبَصِيرَتِهِ بِعَزْمِهِ مُنْفِذاً.

حَبِّبَ الْعِلْمَ إِلَى نَفْسِكَ

حَبَّبَ إِلَى نَفْسِكَ الْعِلْمَ حَتَّى تَلْزِمَهُ وَتَأَلَّفَهُ، وَيَكُونَ هُوَ لَهْوِكَ وَلَذَّتِكَ وَسَلَوَتِكَ وَيُلْغَتَكَ^(٦).

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِلْمَ عِلْمَانِ: عِلْمٌ لِلْمَنَافِعِ، وَعِلْمٌ لِتَذَكِّيَةِ الْعُقُولِ^(٧).

(١) وَقَاحاً: مِنْ فَعَلَ وَقَحَ. وَحَافِرٌ وَقَاحٌ: صُلْبٌ بَاقٍ عَلَى الْحِجَارَةِ. وَالتَّعْتُ وَقَاحٌ لِلذِّكْرِ وَالْأُنْثَى فِيهِ

سَوَاءٌ. وَجَمْعُهُ وَقُحٌ. وَرَجُلٌ وَقِيحُ الْوَجْهِ وَقَاحُهُ: صُلْبُهُ قَلِيلُ الْحَيَاءِ.

(٢) غَلُوباً: مِنْ فَعَلَ غَلَبَ. وَغَلَبَ عَلَى الرَّجُلِ الْكَرَمُ أَيْ هُوَ أَكْثَرُ خِصَالِهِ. وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبِي». إِشَارَةٌ إِلَى سَعَةِ الرَّحْمَةِ وَشُمُولِهَا الْخَلْفَ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا إِشَارَةٌ إِلَى الصَّبْرِ وَتَغْلِيهِهِ عَلَيْهَا.

(٣) مُتَجَمِّلاً: مِنْ فَعَلَ جَمَلَ. وَأَجْمَلْتُ فِي الطَّلَبِ. وَجَمَلْتُ الشَّيْءَ تَجْمِيلاً، وَأَجْمَلْتُ الصَّنِيعَةَ عِنْدَ فُلَانٍ وَأَجْمَلْتُ فِي صَنِيعِهِ: أَتَادَ وَاعْتَدَلَ فَلَمْ يُفْرِطْ. وَقِيلَ: إِلْزَمَ الْأَمْرَ الْأَجْمَلَ وَالصَّبْرَ الْمَشْرُوفَ.

(٤) الْحِفَاطُ: مِنْ فَعَلَ حَفَظَ. الْوَاحِدَةُ الْحَفِظَةُ: وَالْحَفِظَةُ: الْغَضَبُ لِحَرَمَةِ تَنْتَهَكُ مِنْ حَرَمَاتِكَ أَوْ جَارٍ ذِي قَرَابَةٍ يُظَلَمُ مِنْ ذَوِيكَ أَوْ عَهْدٍ يُنْكَثُ، وَقِيلَ الْحَفِظَةُ: الْغَضَبُ وَكَذَلِكَ الْحِفَاطُ وَالْمُحْفِظَاتُ: الْأُمُورُ الَّتِي تَحْفَظُ الرَّجُلَ أَيْ تُغَضِّبُهُ إِذَا وَثَرَ فِي حَقِيمِهِ.

(٥) مُرْتَبِطاً: مِنْ فَعَلَ رَبَطَ. وَالرَّبَاطُ فِي الْأَصْلِ: الْإِقَامَةُ عَلَى جِهَادِ الْعَدُوِّ وَارْتِبَاطُ الْخَيْلِ وَإِعْدَادُهَا. قِيلَ: قَرَّبْتُ عَلَيْهِ اسْتَبْقَى نَفْسِي أَيْ تَأَخَّرْتُ عَنْهُ كَأَنَّهُ حَبَسَ نَفْسَهُ وَشَدَّهَا وَثَبَتَهَا.

(٦) بَلْغْتَكَ مِنْ فَعَلَ بَلَغَ - وَالْبِلَاغُ: الْكِفَايَةُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: «أَمْ لَكُمْ أَيْمَنُ عَلَيْنَا بِالْبَغَةِ» مَعْنَاهُ قَدْ انْتَهَتْ إِلَى غَايَتِهَا، وَالْمَبَالِغَةُ أَنْ تَبْلُغَ فِي الْأَمْرِ جُهْدَكَ. وَيُقَالُ: بَلَغَ فُلَانٌ أَيْ جُهِدَ.

(٧) تَذَكِّيَةُ الْعُقُولِ: مِنْ فَعَلَ ذَكَأَ. ذَكَتِ النَّارُ تَذْكُو: اشْتَدَّ لَهَبُهَا وَاشْتَعَلَتْ. وَذَكَتِ الْعُقُولُ وَالنَّفُوسُ: رَفَعَ شَأْنَهَا بِالْعِلْمِ وَزِيَادَةِ الْمَعْرِفَةِ وَنَمَا عَلَيْهَا مَا تَذْكُو بِهِ. وَالتَّذْكُورَةُ وَالتَّذَكِّيَةُ مَا ذَكَأَهَا بِهِ مِنَ الْعُلُومِ وَالْفَهْمِ وَالْإِنْسَانِيَةِ.

وَأَفْشَى الْعِلْمَيْنِ وَأَحْرَاهُمَا أَنْ يَنْشَطَ لَهُ صَاحِبُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُحَضَّ عَلَيْهِ عِلْمُ
الْمَنَافِعِ . وَلِلْعِلْمِ الَّذِي هُوَ ذِكَاؤُ الْعُقُولِ وَصِقَالُهَا^(١) وَجَلَاؤُهَا فَضِيلَةٌ مَنَزَلَةٌ عِنْدَ
أَهْلِ الْفَضِيلَةِ وَالْأَلْبَابِ .

في السخاء كمال الجود والكرم

عَوْدُ نَفْسِكَ السَّخَاءِ .

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ سَخَاءَانِ: سَخَاوَةُ نَفْسِ الرَّجُلِ بِمَا فِي يَدَيْهِ، وَسَخَاوَتُهُ عَمَّا فِي
أَيْدِي النَّاسِ .

وَسَخَاوَةُ نَفْسِ الرَّجُلِ بِمَا فِي يَدَيْهِ أَكْثَرُهُمَا وَأَقْرَبُهُمَا مِنْ أَنْ تَدْخُلَ فِيهِ
الْمُفَاخَرَةُ . وَتَرَكُّهُ مَا فِي أَيْدِي النَّاسِ أَمْحَضُ^(٢) فِي التَّكْرَمِ وَأَبْرَأُ مِنَ الدَّنَسِ وَأَنْزَهُ .
فَإِنْ هُوَ جَمَعَهُمَا قَبْلَ وَعَفَّ فَقَدْ اسْتَكْمَلَ الْجُودَ وَالْكَرَمَ .

لا تكن حسوداً

لِيَكُنْ مِمَّا تَصْرِفُ بِهِ الْأَذَى وَالْعَذَابَ عَنْ نَفْسِكَ أَلَّا تَكُونَ حَسُوداً .

فَإِنَّ الْحَسَدَ خُلُقٌ لَثِيمٌ . وَمَنْ لُؤْمِهِ أَنَّهُ مُوَكَّلٌ^(٣) بِالْأَذَى فَلْأَذَى مِنَ الْأَقَارِبِ
وَالْأَكْفَاءِ وَالْمَعَارِفِ وَالْخُلَطَاءِ وَالْإِخْوَانِ .

فَلْيَكُنْ مَا تُعَامِلُ بِهِ الْحَسَدَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ خَيْرَ مَا تَكُونُ حِينَ تَكُونُ مَعَ مَنْ هُوَ
خَيْرٌ مِنْكَ ، وَأَنْ غُنْمًا حَسَنًا لَكَ أَنْ يَكُونَ عَشِيرُكَ وَخَلِيلُكَ أَفْضَلَ مِنْكَ فِي الْعِلْمِ ،

(١) صِقَالُهَا: من فعل صَقَلَ . وَالصَّقْلُ: الْجَلَاءُ . وَصَقَلَ الشَّيْءُ صِقَالًا: جَلَّاهُ . وَجَلَّاهُ الْعُقُولُ فَضِيلَةٌ
مَنَزَلَةٌ عِنْدَ أُولَى الْأَلْبَابِ .

(٢) أَمْحَضُ: من فعل مَحَضَ . وَالْمَحْضُ من كل شيء: الْخَالِصُ الَّذِي لَا يَشُوبُهُ مَا يَخَالِطُهُ ، وَهُوَ عَلَى
صِيفَةِ الْمَبَالِغَةِ .

(٣) مُوَكَّلٌ: من فعل وَكَّلَ . وَالْوَكِيلُ: الْمُقِيمُ الْكَفِيلُ الْمَلَازِمُ وَحَقِيقَتُهُ أَنَّهُ يَسْتَقِلُّ بِأَمْرِ الْمُوَكَّلِ إِلَيْهِ . وَمِنْهُ
قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَنْ لَا تَتَّخِذُوا مِنْ دُونِي وَكِيلًا﴾ وَقِيلَ: الْوَكِيلُ: الْحَافِظُ .

أَفْتَقْتَسَ مِنْ عِلْمِهِ، وَأَفْضَلَ مِنْكَ فِي الْقُوَّةِ، فَيَدْفَعُ عَنْكَ بِقُوَّتِهِ، وَأَفْضَلَ مِنْكَ فِي الْمَالِ، فَتَفِيدُ مِنْ مَالِهِ، وَأَفْضَلَ مِنْكَ فِي الْجَاهِ، فَتُصِيبُ حَاجَتَكَ بِجَاهِهِ، وَأَفْضَلَ مِنْكَ فِي الدِّينِ، فَتَزِدُّهُ صَلاَحًا بِصَلاَحِهِ.

كيف تعامل عدوك

لِيَكُنْ مِمَّا تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أَمْرِ عَدُوِّكَ وَحَاسِدِكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ لَا يَنْفَعُكَ أَنْ تُخْبِرَ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ أَنَّكَ لَهُ عَدُوٌّ، فَتُذِرَهُ بِنَفْسِكَ وَتُؤْذِنُهُ بِحَرْبِكَ قَبْلَ الْإِعْدَادِ وَالْفُرْصَةِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَى التَّسَلُّحِ لَكَ، وَتُوَفِّدُ نَارَهُ عَلَيْكَ.

وَأَعْلَمَ أَنَّهُ أَعْظَمُ لَخَطَرِكَ^(١) أَنْ يَرَى عَدُوَّكَ أَنَّكَ لَا تَتَّخِذُهُ عَدُوًّا فَإِنَّ ذَلِكَ غِرَّةٌ^(٢) لَهُ وَسَبِيلٌ لَكَ إِلَى الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ. فَإِنْ أَنْتَ قَدَّرْتَ وَاسْتَطَعْتَ اغْتِفَارَ الْعَدَاوَةِ عَنْ أَنْ تُكَافِيَءَ بِهَا فَهُنَالِكَ اسْتَكْمَلْتَ عَظِيمَ الْخَطَرِ.

إِنْ كُنْتَ مُكَافِئًا بِالْعَدَاوَةِ وَالضَّرَرِ فإِيَّاكَ أَنْ تُكَافِيَءَ عَدَاوَةَ السَّرِّ بِعَدَاوَةِ الْعَلَانِيَةِ، وَعَدَاوَةَ الْخَاصَّةِ بِعَدَاوَةِ الْعَامَّةِ، فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ الظُّلْمُ.

وَأَعْلَمَ مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ الْعَدَاوَةِ وَالضَّرَرِ يُكَافَأُ بِمِثْلِهِ: كَالْخِيَانَةِ لَا تُكَافَأُ بِالْخِيَانَةِ، وَالسَّرِقَةِ لَا تُكَافَأُ بِالسَّرِقَةِ.

وَمِنْ الْحِيلَةِ فِي أَمْرِكَ مَعَ عَدُوِّكَ أَنْ تُصَادِقَ أَصْدِقَاءَهُ وَتُؤَاجِيءَ إِخْوَانَهُ، فَتَدْخُلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فِي سَبِيلِ الشَّقَاقِ وَالتَّلَاحِي^(٣) وَالتَّجَافِي حَتَّى يَنْتَهِيَ ذَلِكَ بِهِمْ إِلَى

(١) لَخَطَرِكَ: مِنْ فِعْلِ خَطَرَ. وَالْخَطَرُ: ارْتِفَاعُ الْقَدْرِ وَالْمَالِ وَالشَّرَفِ وَالْمَنْزِلَةِ. وَرَجُلٌ خَطِيرٌ أَيْ لَهُ قَدْرٌ وَخَطَرٌ. يُقَالُ: إِنَّهُ لِعَظِيمِ الْخَطَرِ فِي حَسَنِ فِعَالِهِ وَشَرَفِهِ وَخَطَرُ الرَّجُلِ: قَدْرُهُ وَمَنْزِلَتُهُ، وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الرَّفْعَةَ، وَجَمَعَهُ أَخْطَارٌ.

(٢) غِرَّةٌ: مِنْ فِعْلِ غَرَزَ. وَالْغِرَّةُ مِنَ الْغَارِ وَهُوَ الْغَافِلُ. الثَّغَرَةُ: مَصْدَرُ غَرَزْتَهُ إِذَا أَلْقَيْتَهُ فِي الْغَرَرِ وَهُوَ مِنَ التَّغْرِيرِ.

(٣) التَّلَاحِي: مِنْ فِعْلِ لَحَا. وَلَحَا الرَّجُلُ: شَتَمَهُ، وَاللُّحَاءُ اللَّعْنُ وَالْعَذْلُ وَاللُّوَاحِي الْعَوَازِلُ. وَتَلَاحَى الرَّجُلَانِ: تَشَاتَمَا. وَلَاحَى فَلَانًا كَلَالَاتٍ وَلِحَاءً إِذَا اسْتَقْصَى عَلَيْهِ. وَقِيلَ: الْمَلَا حَاجَةَ الْمَلَاوِمَةِ وَالْمُبَاغِضَةِ ثُمَّ كَثُرَ ذَلِكَ حَتَّى جَعَلْتَ كُلَّ مُمَانَعَةٍ وَمُدَافَعَةٍ مَلَا حَاجَةٍ.

الْقَطِيعَةِ وَالْعِدَاوَةِ لَهُ. فَإِنَّهُ لَيْسَ رَجُلٌ طَرُقَ^(١) يَمْتَنِعُ مِنْ مُوَاخَاتِكَ إِذَا التَّمَسَّتْ ذَلِكَ مِنْهُ. وَإِنْ كَانَ إِخْوَانُ عَدُوِّكَ يَغْيِرُ ذَوِي طَرُقٍ فَلَا عَدُوَّ لَكَ.

لَا تَدْعُ، مَعَ السَّكُوتِ عَنْ شَتْمِ عَدُوِّكَ، إِحْصَاءَ مَثَالِيهِ^(٢) وَمَعَايِيهِ وَاتِّبَاعَ عَوْرَاتِهِ، حَتَّى لَا يَشْذَّ عَنْكَ مِنْ ذَلِكَ صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ، مَنْ غَيْرُ أَنْ تُشِيعَ ذَلِكَ عَلَيْهِ فَيَتَّقِيكَ بِهِ، وَيَسْتَعِدَّ لَهُ، أَوْ تَذْكُرَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَتَكُونَ كَمُسْتَعْرِضِ الْهَوَاءِ يَنْبُلُهُ قَبْلَ إِمْكَانِ الرَّمْيِ.

وَلَا تَتَّخِذَنَّ اللَّعْنَ وَالشَّتْمَ عَلَى عَدُوِّكَ سِلَاحًا، فَإِنَّهُ لَا يَجْرَحُ فِي نَفْسٍ وَلَا مَنَزِلَةٍ وَلَا مَالٍ وَلَا دِينٍ.

إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَكُونَ دَاهِيًا^(٣) فَلَا تُحِبَّنْ أَنْ تُسَمَّى دَاهِيًا. فَإِنَّهُ مَنْ عُرِفَ بِالدَّهَاءِ خَاتَلَ^(٤) عَلَانِيَةً، وَحَذَرَهُ النَّاسُ، حَتَّى يَمْتَنِعَ مِنْهُ الضَّعِيفُ، وَيَتَعَرَّضَ لَهُ الْقَوِيُّ.

وإِنْ مِنْ إِرْبٍ^(٥) الْأَرِيبِ دَفَنَ إِرْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ حَتَّى يُعْرِفَ بِالمُسَامَحَةِ فِي الْخَلِيقَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ فِي الطَّرِيقَةِ.

وَمِنْ إِرْبِهِ أَلَا يُؤَارِبُ^(٦) الْعَاقِلُ الْمُسْتَقِيمَ الطَّرِيقَةَ وَالَّذِي يَطْلُعُ عَلَى غَامِضٍ

(١) طَرُقَ: مِنْ فَعَلَ طَرَقَ. وَتَطَرَّقَ إِلَى الْأَمْرِ: ابْتَغَى إِلَيْهِ طَرِيقًا، وَالتَّطَرَّقَ السَّبِيلَ، وَالتَّطَرَّقَ السَّيْرَةَ الْمَذْهَبَ، الْأَسْلُوبَ وَفُلَانٌ حَسَنَ الطَّرِيقَةِ وَسَيِّئُهَا، وَطَرَائِقُ الْمَاكِرِ: أَسَالِيْبُهُ الدَّاهِيَةِ الْمُتَقَلِّبَةُ.
(٢) مَثَالِيهِ: مِنْ فَعَلَ ثَلَبَ. وَثَلَبَ الْمَرْءُ: لَابَسَهُ وَعَابَهُ وَصَرَّحَ بِالْعَيْبِ وَقِيلَ: وَتَنَقَّصَهُ. وَالثَّلَبُ: شِدَّةُ اللَّوْمِ وَالْأَخْذُ بِاللِّسَانِ وَهُوَ الْمُثْلَبُ يَجْرِي فِي الْعُقُوبَاتِ وَالثَّلَبُ، وَالمَثَالِبُ: الْعُيُوبُ، مَثَالِبُ الْأَمِيرِ: مَعَايِبُهُ.

(٣) دَاهِيًا: مِنْ فَعَلَ دَهَا. وَالدَّهْوُ: الْمُتَكَرَّرُ وَجُودَةُ الرَّأْيِ. وَرَجُلٌ دَاهِيَةٌ وَدَهَا: عَابَهُ وَتَنَقَّصَهُ، وَقِيلَ: الدَّهْوُ وَالدَّهَاءُ: الْعَقْلُ وَالرَّأْيُ وَهَذَا الْآخِرُ هُوَ الْمَقْصُودُ.

(٤) خَاتَلَ: مِنْ فَعَلَ خَتَلَ، وَالتَّخْتَلُّ: تَخَادَعُ عَنْ غَفْلَةٍ وَفِي الْحَدِيثِ: «مَنْ أَشْرَاطُ السَّاعَةِ أَنْ تُعْطَلَ السُّيُوفُ مِنَ الْجِهَادِ وَأَنْ تُخْتَلَ الدُّنْيَا بِالْأَدِينِ». أَيْ تَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ. وَمَنْ خَتَلَ إِذَا خَدَعَهُ وَقِيلَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يُخْتَلُ الرَّجُلُ لِيَطْعِنَهُ أَيْ يُدَاوِرُهُ وَيَطْلُبُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ.

(٥) إِرْبٍ: مِنْ فَعَلَ أَرَبَ، وَالإِرْبُ وَالْأَرَبُ: الدَّهَاءُ وَالبَصَرُ بِالْأُمُورِ، وَهُوَ مِنَ الْعَقْلِ. وَأَرَبَ بِالشَّيْءِ: دَرَبَ بِهِ وَصَارَ فِيهِ مَاهِرًا بِصِيرًا فَهُوَ أَرَبٌ، وَمِنْهُ الْأَرِيبُ أَيْ ذُو دَهْيٍ وَبَصَرٍ.

(٦) يُؤَارِبُ: مِنْ فَعَلَ أَرَبَ. وَالمُؤَارَبَةُ: المُدَاهَاةُ. وَفُلَانٌ يُؤَارِبُ صَاحِبَهُ إِذَا دَهَا وَخَادَعَهُ. وَفِي =

إِزْبِهِ فَيَمُوتُهُ عَلَيْهِ .

وَإِنْ أَرَدْتَ السَّلَامَةَ فَاشْعِرْ قَلْبَكَ الْهَيْبَةَ لِلْأُمُورِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تَظْهَرَ مِنْكَ الْهَيْبَةُ
فَتُفْطِنَ النَّاسُ بِنَفْسِكَ وَتُجَرِّئُهُمْ عَلَيْكَ وَتَدْعُو إِلَيْكَ مِنْهُمْ كُلُّ الَّذِي تَهَابُ .
فَاشْعَبْ^(١) لِمُدَارَاةِ ذَلِكَ مِنْ كِتْمَانِ الْهَيْبَةِ وَإِظْهَارِ الْجُرْأَةِ وَالتَّهَاؤُنِ طَائِفَةً مِنْ
رَأْيِكَ .

وَإِنْ ابْتُلِيتَ بِمَحَارِبَةِ عَدُوِّكَ فَحَالِفْ هَذِهِ الطَّرِيقَةَ الَّتِي وَصَفْتُ لَكَ مِنْ
اسْتِشْعَارِ الْهَيْبَةِ وَإِظْهَارِ الْجُرْأَةِ وَالتَّهَاؤُنِ، وَعَلَيْكَ بِالْحَذَرِ وَالْجِدِّ فِي أَمْرِكَ، وَالْجُرْأَةِ
فِي قَلْبِكَ، حَتَّى تَمْلَأَ قَلْبَكَ جَرَاءَةً وَيَسْتَفْرِغَ عَمَلُكَ الْجَدْرَ .
اعْلَمْ أَنَّ مِنْ عَدُوِّكَ مَنْ يَعْمَلُ فِي هَلَاقِكَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ فِي مُصَالَحَتِكَ،
وَمِنْهُمْ مَنْ يَعْمَلُ فِي الْبُعْدِ مِنْكَ .
فَاعْرِفْهُمْ عَلَى مَنَازِلِهِمْ .

وَمِنْ أَقْوَى الْقُوَّةِ لَكَ عَلَى عَدُوِّكَ، وَأَعَزُّ أَنْصَارِكَ فِي الْغَلَبَةِ لَهُ، أَنْ تُحْصِيَ
عَلَى نَفْسِكَ الْعُيُوبَ وَالْعَوْرَاتِ كَمَا تُحْصِيهَا عَلَى عَدُوِّكَ، وَتَنْتَظِرَ عِنْدَ كُلِّ عَيْبٍ تَرَاهُ أَوْ
تَسْمَعُهُ لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ : هَلْ قَارَفْتَ ذَلِكَ الْعَيْبَ أَوْ مَا شَاكَلَهُ أَوْ سَلِمْتَ مِنْهُ .
فَإِنْ كُنْتَ قَارَفْتَ شَيْئاً مِنْهُ جَعَلْتَهُ مِمَّا تُحْصِي عَلَى نَفْسِكَ . حَتَّى إِذَا أَحْصَيْتَ
ذَلِكَ كُلَّهُ فَكَائِثُ^(٢) عَدُوُّكَ بِإِصْلَاحِ نَفْسِكَ وَعَشْرَاتِكَ وَتُحْصِينَ عَوْرَاتِكَ وَإِحْرَازِ
مَقَاتِلِكَ^(٣) .

= الحديث : «مُؤَارَاةُ الْأَرَبِ جَهْلٌ وَعَنَاءٌ» . وَأَرَبَ الدُّهْرُ : اسْتَدَّ . وَقَوْلُهُ تَعَالَى : «غَيْرَ أُولِي الْإِزْبَةِ مِنْ
الرِّجَالِ» أَيِ الْمَعْتُوَّةِ .

(١) اشْعَبَ : مِنْ فَعَلَ شَعَبَ . وَالشَّعْبُ : الْجَمْعُ وَقِيلَ : فِي الشَّعْبِ أَنَّهُ يَكُونُ بِمَعْنَيْنِ يَكُونُ إِصْلَاحاً

وَيَكُونُ تَفْرِيقاً . وَجَمْعُهُ شُعْبٌ . وَمِنْهُ الْحَدِيثُ : «يَرَأُبُ شُعْبَهَا» . أَيِ يَجْمَعُ مُتَفَرِّقَ أَمْرِ الْأُمَّةِ وَكَلِمَتَهَا .

(٢) فَكَائِثٌ : مَنْ فَعَلَ كَثَّرَ وَكَثَّرَ : غَالِبٌ . وَالْمَكْثُورُ : الْمَغْلُوبُ وَهُوَ الَّذِي تَكَاثَّرَ عَلَيْهِ النَّاسُ فَقَهَرُوهُ .

وَقِيلَ : مَا رَأَيْنَا مَكْثُوراً أُجْزَأَ مَقْدَماً مِنْهُ . وَالتَّكَاثُرُ : الْمَكَاثِرَةُ . الْمَغَالِبَةُ .

(٣) مَقَاتِلِكَ : مَنْ فَعَلَ قَتَلَ . وَرَجُلٌ قَتِيلٌ مَقْتُولٌ وَجَمْعُهُ قُتْلَاءٌ وَقَتَلَ الرَّجُلُ : عَرَضَهُ لِلْقَتْلِ وَأَصْبَرَهُ =

وَحَذَّ نَفْسَكَ بِذَلِكَ مُمَسِّياً وَمُضْبِحاً.

فَإِذَا آنَسْتَ مِنْهَا دَفَعاً وَتَهَاوُنًا بِهِ فَاعْدُدْ نَفْسَكَ عَاجِزاً ضَائِعاً خَائِياً، مُعَوِّراً^(١) لِعَدُوِّكَ مُمَكِّناً لَهُ مِنْ رَمِيكَ.

وَإِنْ حَصَلَ مِنْ عِيُوبِكَ وَعَوْرَاتِكَ مَا لَا تَقْدِرُ عَلَى إِصْلَاحِهِ مِنْ ذَنْبٍ مَضَى لَكَ، أَوْ أَمْرٍ يَعْيبُكَ عِنْدَ النَّاسِ وَلَا تَرَاهُ أَنْتَ عَيْباً، فَاحْفَظْ ذَلِكَ وَمَا عَسَى أَنْ يَقُولَ فِيهِ قَائِلٌ مِنْ حَسَبِكَ^(٢) أَوْ مَثَالِبِ آبَائِكَ أَوْ عَيْبِ إِخْوَانِكَ ثُمَّ اجْعَلْ ذَلِكَ كُلَّهُ نُصَبَ عَيْنِكَ. وَاعْلَمْ أَنَّ عَدُوَّكَ مُرِيدُكَ بِذَلِكَ. فَلَا تَغْفُلْ عَنِ التَّهَيُّؤِ لَهُ وَالْإِعْدَادِ لِقُوتِكَ وَحُجَّتِكَ وَحِيلَتِكَ فِيهِ سِرّاً وَعَلَانِيَةً.

فَإِذَا الْبَاطِلُ فَلَا تَرَوْعَنَّ بِهِ قَلْبَكَ وَلَا تَسْتَعِدِّنْ لَهُ وَلَا تَشْتَغِلَنَّ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ، فَإِنَّهُ لَا يَهُولُكَ مَا لَمْ يَقَعْ، وَمَا إِنْ وَقَعَ اضْمَحَلَّ.

الشهود العدل

وَاعْلَمْ أَنَّهُ قَلَّمَا بُدِيَ^(٣) أَحَدٌ بِشَيْءٍ يَعْرِفُهُ مِنْ نَفْسِهِ، وَقَدْ كَانَ يَطْمَعُ فِي إِخْفَائِهِ عَنِ النَّاسِ، فَيَعْيِرُهُ بِهِ مُعَيَّرٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ أَوْ غَيْرِهِ، إِلَّا كَادَ يَشْهَدُ بِهِ عَلَيْهِ وَجْهُهُ وَعَيْنَاهُ وَلِسَانُهُ، لِلَّذِي يَبْدُو مِنْهُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَالَّذِي يَكُونُ مِنْ انْكِسَارِهِ وَفُتُورِهِ عِنْدَ تِلْكَ الْبِدْيَةِ.

= عليه. والواحد مَقْتُلٌ وهو إذا ما تعرض الجسم للقتال وأصيب أحد أطرافه لم يسلم باقي الجسم في الأعضاء من الحمى والسهر والمرض.

(١) مُعَوِّراً: من فعل عَوَّرَ. والأعور: الرديء من كل شيء. والعَوْرُ: شَيْنٌ وَفُجٌّ والأعور: الضعيف الجبان البليد. ورجل مُعَوَّرٌ: قبيح السريرة. ومكان مُعَوَّرٌ: مُخَوَّف. وكل عيب وخلل في شيء: فهو عَوْرَةٌ.

(٢) حَسَبِكَ: من فعل حَسَبَ. والحَسَبُ: ما يَعُدُّه الإنسان من مَفَاحِيرِ آبَائِهِ. قيل الشَّرَفُ والمَجْدُ لَا يَكُونَانِ إِلَّا بِالْأَبَاءِ وَمِنْهُمْ مَنْ جَعَلَ الْمَالَ بِمَنْزِلَةِ شَرَفِ النَّفْسِ أَوْ الْآبَاءِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «حَسَبُ الرَّجُلِ تَقَاءُ نَوْتَيْهِ» أَيُّ أَنَّهُ يُؤَقَّرُ لَذَلِكَ.

(٣) بُدِيَ: من بَدَى. والبَدَى والبُدَى: أول كل شيء وما يفجأ منه. والبُدَى بَأَنٍ تَسْتَقْبِلُ الْإِنْسَانَ بِأَمْرِ مَفْاجَأَةٍ. وَبَدَّهَ بِالْأَمْرِ: اسْتَقْبَلَهُ بِهِ. يُقَالُ: بَادَّهَنِي مُبَادَّةً أَيُّ بَاغْتَنِي مُبَاغَةً.

فاحْذَرْ هَذِهِ وَتَصَنِّعْ لَهَا، وَخُذْ أَهْبَتَكَ^(١) لِيَبْتَغَايَهَا وَتَقَدَّمَ فِي أَخْذِ الْعِتَادِ لِنَفْسِهَا.

حاذر الغرام بالنساء

اعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَوْقَعِ الْأُمُورِ فِي الدِّينِ وَأَنْهَكِهَا لِلْجَسَدِ وَأَتْلَفِهَا لِلْمَالِ وَأَقْتَلَهَا لِلْعَقْلِ وَأَزْرَاَهَا لِلْمُرُوءَةِ وَأَسْرَعَهَا فِي ذَهَابِ الْجَلَالَةِ وَالْوَقَارِ الْغَرَامُ بِالنِّسَاءِ.

وَمِنْ الْبَلَاءِ عَلَى الْمُغْرَمِ بِهِنَّ أَنَّهُ لَا يَنْفَكُ يَأْجُمُ^(٢) مَا عِنْدَهُ وَتَطْمَحُ عَيْنَاهُ إِلَى مَا لَيْسَ عِنْدَهُ مِنْهُنَّ.

وَأِنَّمَا النِّسَاءُ أَشْبَاهُ^(٣).

وَمَا يَتَزَيَّنُ فِي الْعُيُونِ وَالْقُلُوبِ مِنْ فَضْلِ مَجْهُولَاتِهِنَّ عَلَى مَعْرُوفَاتِهِنَّ بِاطِلٍ وَخُدْعَةٍ. بَلْ كَثِيرٌ مِمَّا يَرْغَبُ عَنْهُ الرَّاعِبُ مِمَّا عِنْدَهُ أَفْضَلُ مِمَّا تَتَوَقَّعُ إِلَيْهِ نَفْسُهُ مِنْهُنَّ.

وَأِنَّمَا الْمُتَرَتِّبُ عَمَّا فِي رَحْلِهِ^(٤) مِنْهُنَّ إِلَى مَا فِي رِحَالِ النَّاسِ كَالْمُرْتَغِبِ عَنْ طَعَامِ بَيْتِهِ إِلَى مَا فِي بُيُوتِ النَّاسِ: بَلِ النِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ أَشْبَهُ مِنَ الطَّعَامِ بِالطَّعَامِ، وَمَا فِي رِحَالِ النَّاسِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ أَشَدَّ تَفَاضُلًا وَتَفَاوُتًا مِمَّا فِي رِحَالِهِمْ مِنَ النِّسَاءِ.

وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي لَا بَأْسَ بِلُبِّهِ^(٥) وَرَأْيِهِ يَرَى الْمَرْأَةَ مِنْ بَعِيدٍ مُتَلَفِّفَةً فِي ثِيَابِهَا، فَيَصُورُ لَهَا فِي قَلْبِهِ الْحُسْنُ وَالْجَمَالَ حَتَّى تَعْلُقَ بِهَا نَفْسُهُ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ

(١) أَهْبَتَكَ: مِنْ فَعَلَ هَبَّ. وَهَبَّ مِنْ نَوْمِهِ: انْتَبَهَ. يُقَالُ: اخْذَرْ هَبَّةَ السِّيفِ أَيْ وَقَعَتَهُ. وَإِنَّهُ لِحَسَنِ الْهَبَّةِ: يُرَادُّ بِهِ الْحَالُ.

(٢) يَأْجُمُ: مِنْ فَعَلَ أَجَمَ. وَأَجَمَ الطَّعَامُ وَاللَّبَنُ وَغَيْرُهُمَا: كَرِهَهُ وَمَلَّهُ مِنَ الْمَدَامَةِ عَلَيْهِ. وَيُقَالُ: أَكَلْتُهُ حَتَّى أَجَمْتُهُ. وَتَأْجَمُ النَّهَارُ تَأْجُمًا: اشْتَدَّ حَرُّهُ. وَتَأْجَمَتِ النَّارُ: ذَكَتْ مِثَالُ تَأْجَجَتْ.

(٣) أَشْبَاهُ: مِنْ فَعَلَ شَبَّ. وَالشَّبَّ وَالشَّبَّه: الْمَثَلُ وَالْجَمْعُ: أَشْبَاهُ وَأَشْبَهُ الشَّيْءِ الشَّيْءُ: مِثْلُهُ. وَفِي الْمَثَلِ: مَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ. وَبَيْنَ النِّسَاءِ أَشْبَاهُ أَيْ أَشْيَاءُ يَتَشَابَهُونَ فِيهَا. وَشَبَّ عَلَيْهِ: خَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرَ حَتَّى اشْتَبَهَ بغيره، وَفِيهِ مِثَابُهُ مِنْ فُلَانٍ أَيْ أَشْبَاهُ.

(٤) رَحْلُهُ: مِنْ فَعَلَ رَحَلَ. الرَّحْلُ: مَرْكَبٌ لِلْبَعِيرِ وَالنَّاقَةِ. وَجَمْعُهُ أَرْحُلٌ وَرِحَالٌ. وَقِيلَ: إِنْ الرَّجُلُ وَالرَّحَالَةُ مِنْ مَرَكَبِ الرِّجَالِ دُونَ النِّسَاءِ. وَيُقَالُ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّجُلِ رَحْلَهُ أَيْ مَنَزَلَهُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ.

(٥) بِلُبِّهِ: مِنْ فَعَلَ لَبَّ. وَلُبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلُبَابُهُ: خَالِصُهُ وَخِيَارُهُ، وَلُبُّ الرَّجُلِ: مَا جُعِلَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْعَقْلِ. وَاللُّبَابُ الْخَالِصُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

ولا خَبْرٌ مُخْبِرٌ، ثُمَّ لَعَلَّهُ يَهْجُمُ مِنْهَا عَلَى أَقْبَحِ الْقُبْحِ وَأَدَمِ الدَّمَامَةِ^(١)، فَلَا يَعْظُهُ وَلَا يَقْطَعُهُ عَنْ أَمْثَالِهَا. وَلَا يَزَالُ مُشْغَوْفًا بِمَا لَمْ يَذُقْ، حَتَّى لَوْ لَمْ يَبْقَ فِي الْأَرْضِ غَيْرُ امْرَأَةٍ وَاحِدَةٍ، لَظَنَّ أَنَّ لَهَا شَأْنًا غَيْرَ شَأْنِ مَا ذَاقَ. وَهَذَا هُوَ الْحُمَقُ وَالشَّقَاءُ وَالسَّفَهُ.

وَمَنْ لَمْ يَحْمِ نَفْسَهُ وَيُظْلِفُهَا^(٢) وَيُحَلِّثُهَا^(٣) عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالنِّسَاءِ فِي بَعْضِ سَاعَاتِ شَهْوَتِهِ وَقُدْرَتِهِ، كَانَ أَيْسَرَ مَا يُصِيبُهُ مِنْ وَبَالِ ذَلِكَ أَنْقِطَاعُ تِلْكَ اللَّذَاتِ عَنْهُ بِخُمُودِ نَارِ شَهْوَتِهِ وَضَعْفِ حَوَامِلِ^(٤) جَسَدِهِ. وَقَلَّ مَنْ تَجَدَّهُ إِلَّا مُخَادِعًا لِنَفْسِهِ فِي أَمْرِ جَسَدِهِ عِنْدَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ وَالْحِجْمَةِ وَالِدَّوَاءِ، وَفِي أَمْرِ مُرُوءَتِهِ عِنْدَ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ، وَفِي أَمْرِ دِينِهِ عِنْدَ الرِّبْيَةِ وَالشُّبْهَةِ وَالطَّمَعِ.

كن متواضعاً سكوتاً واحذر المراءاة

إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَضَعَ نَفْسَكَ دُونَ غَايَتِكَ فِي كُلِّ مَجْلِسٍ وَمَقَامٍ وَمَقَالٍ وَرَأْيٍ وَفِعْلٍ فَافْعَلْ، فَإِنْ رَفَعَ النَّاسُ إِيَّاكَ فَوْقَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي تَحْطُ إِلَيْهَا نَفْسُكَ، وَتَقْرِيْبُهُمْ إِيَّاكَ إِلَى الْمَجْلِسِ الَّذِي تَبَاعَدْتَ مِنْهُ، وَتَعْظِيمُهُمْ مِنْ أَمْرِكَ مَا لَمْ تُعْظِّمْ، وَتَرْيِيْبُهُمْ مِنْ كَلَامِكَ وَرَأْيِكَ وَفِعْلِكَ مَا لَمْ تُزَيِّنْ هُوَ الْجَمَالُ.

لَا يُعْجِبَنَّكَ الْعَالِمُ مَا لَمْ يَكُنْ عَالِمًا بِمَوَاضِعِ مَا يَعْلَمُ، وَلَا الْعَامِلُ إِذَا جَهِلَ مَوْضِعَ مَا يَعْمَلُ. وَإِنْ غَلِبَتْ عَلَى الْكَلَامِ وَقْتًا فَلَا تُغْلِبَنَّ عَلَى السَّكُوتِ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ

(١) الدَّمَامَةُ: مَنْ فَعَلَ دَمَمَ. وَالدَّمَامَةُ بِالْفَتْحِ: الْقِصْرُ وَالْقُبْحُ. وَمِنْهُ حَدِيثُ الْمُتَعَةِ: «هُوَ قَرِيبٌ مِنَ الدَّمَامَةِ». وَقَدْ دَمَمْتَ وَتَدِمْتُ دَمَامَةً فِي كُلِّ شَيْءٍ. وَأَدَمَمْتَ أَيَّ أَقْبَحَتْ الْفِعْلَ.

(٢) يُظْلِفُهَا: مَنْ فَعَلَ ظَلَفَ. وَأَصَابَ فَلَانٌ ظِلْفَهُ أَيَّ مَا يُوَافِقُهُ وَيُرِيدُهُ. وَتَقُولُ الْعَرَبُ وَجَدْتَ الدَّابَّةَ ظِلْفَهَا، يُضْرَبُ مَثَلًا لِلَّذِي يَجِدُ مَا يُوَافِقُهُ وَيَكُونُ أَرَادَ بِهِ مِنَ النَّاسِ وَالِدُّوَابِّ. وَقَدْ يُقَالُ ذَلِكَ لِكُلِّ دَابَّةٍ رَافَقَتْ هَوَاهَا.

(٣) يُحَلِّثُهَا: مَنْ فَعَلَ حَلَا. وَحَلَا الْإِبِلَ: طَرَدَهَا أَحْبَسَهَا عَنِ الْوُرُودِ وَمَنَعَهَا أَنْ تَرِدَهُ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «يَرُدُّ عَلَيَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَهْطٌ فَيُحَلِّثُونَنِي عَنِ الْحَوْصِ». أَيَّ يُصَلُّونَ عَنْهُ وَيَمْنَعُونَ مِنْ وُرُودِهِ.

(٤) حَوَامِلُ: مَنْ فَعَلَ حَمَلَ. وَكُلُّ مَنْ خَانَ الْأَمَانَةَ فَقَدْ حَمَلَهَا. وَكَذَلِكَ كُلُّ مَنْ أَثِمَ فَقَدْ حَمَلَ الْإِثْمَ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا» مَعْنَى يَحْمِلْنَهَا يَحْتَنِيهَا.

يَكُونُ أَشَدَّهُمَا لَكَ زِينَةً، وَأَجْلِيَهُمَا إِلَيْكَ لِلْمَوَدَّةِ، وَأَبْقَاهُما لِلْمَهَابَةِ، وَأَنْفَاهُما^(١) لِلْحَسَدِ.

أَحْذَرِ الْمِرَاءَ^(٢)، وَأَغْرِبْهُ^(٣)، وَلَا يَمْنَعَنَّكَ حَذَرُ الْمِرَاءِ مِنْ حُسْنِ الْمُنَاطَرَةِ^(٤)، وَالْمُجَادَلَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْمُمَارِي هُوَ الَّذِي لَا يُرِيدُ أَنْ يَتَعَلَّمَ وَلَا أَنْ يُتَعَلَّمَ مِنْهُ. فَإِنْ زَعَمَ زَاعِمٌ أَنَّهُ مُجَادِلٌ فِي الْبَاطِلِ عَنِ الْحَقِّ، فَإِنَّ الْمُجَادِلَ، وَإِنْ كَانَ ثَابِتَ الْحُجَّةِ ظَاهِرَ الْبَيِّنَةِ حَاضِرَ الدَّهْنِ، فَإِنَّهُ يُخَاصِمُ إِلَى غَيْرِ قَاضٍ، وَإِنَّمَا قَاضِيهِ الَّذِي لَا يَعْدِلُ بِالْخُصُومَةِ إِلَّا إِلَيْهِ عَدْلُ صَاحِبِهِ وَعَقْلُهُ. فَإِنْ أَنْسَ أَوْ رَجَا عِنْدَ صَاحِبِهِ عَدْلًا يَقْضِي بِهِ عَلَى نَفْسِهِ فَقَدْ أَصَابَ وَجْهَ أَمْرِهِ. وَإِنْ تَكَلَّمَ عَلَى غَيْرِ ذَلِكَ كَانَ مُمَارِيًّا.

وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تُخْبِرَ أَخَاكَ عَنْ ذَاتِ نَفْسِكَ^(٥) بِشَيْءٍ إِلَّا وَأَنْتَ مُحْتَجِنٌ عَنْهُ بَعْضَ ذَلِكَ الْتِمَاسًا لِفَضْلِ الْفِعْلِ عَلَى الْقَوْلِ وَاسْتِعْدَادًا لِنَقْصِيرِ فِعْلٍ، إِنْ قَصَرَ، فَافْعَلْ.

وَاعْلَمْ أَنَّ فَضْلَ الْفِعْلِ عَلَى الْقَوْلِ زِينَةٌ، وَفَضْلُ الْقَوْلِ عَلَى الْفِعْلِ هُجْنَةٌ^(٦)، وَأَنْ إِحْكَامَ هَذِهِ الْخَلَّةِ مِنْ غَرَائِبِ الْجَلَالِ.

(١) أَنْفَاهُما: مِنْ فِعْلِ نَفَى الشَّيْءِ: تَنَحَّى، وَجَحَدَ. وَقَوْلُهُ أَنْفَاهُما لِلْحَسَدِ: أَرَادَهُمَا عَنْهُ أَنْفَاءً وَاسْتِنْكَافًا. وَأَبْعَدَهُمَا.

(٢) الْمِرَاءُ: مِنْ فِعْلِ مَرَأَ. وَالْمِرَاءُ الْجِدَالُ. وَالتَّمَارِي وَالْمُمَارَاةُ: الْمُجَادَلَةُ عَلَى مَذْهَبِ الشُّكِّ وَالرِّيْبَةِ. وَيُقَالُ لِلْمُنَاطَرَةِ مُمَارَةً لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَخْرُجُ مَا عِنْدَ صَاحِبِهِ وَيَمْتَرِيهِ. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا﴾.

(٣) أَغْرِبْهُ: مِنْ فِعْلِ غَرَبَ. وَالْغَرْبُ: الذَّهَابُ وَالتَّوَحُّيُّ عَنِ النَّاسِ وَقَدْ غَرَبَ عَنَّا وَأَغْرَبَهُ: نَحَاهُ. وَالْغَرْبُ: النَّوَى وَالْبُعْدُ. وَأَغْرُبُ عَنِّي: أَيُّ تَبَاعَدَ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «أَنَّهُ أَمَرَ بِتَغْرِيبِ الزَّانِي». وَالتَّغْرِيبُ: النَّفْيُ عَنِ الْبَلَدِ الَّذِي وَقَعَتِ الْجِنَايَةُ فِيهِ.

(٤) الْمُنَاطَرَةُ: مِنْ فِعْلِ نَظَرَ. وَالْمُنَاطَرَةُ أَنْ تَنْظُرَ أَخَاكَ فِي أَمْرٍ مَا وَالْمُنَاطَرَةُ شَبْهُ الْمُمَارَاةِ لِأَنَّ كُلَّ مُنَاطِرٍ يَخْرُجُ مَا فِي نَفْسِهِ وَنَفْسَ أَخِيهِ فَيُجَادِلُ فِيهِ وَيَمْتَرِيهِ. وَالتَّنَاطُرُ: التَّرَاوُضُ فِي الْأَمْرِ وَالتَّجَادُلُ فِيهِ.

(٥) ذَاتِ نَفْسِكَ: مَا تَجْعَلُهُ مِنْ نَفْسِكَ وَبَاطِنِ قَلْبِكَ وَتَكْتَنُ عَنِ الْآخَرِينَ وَتُخْفِيهِ ضَنْأً بِهِ لِحِفْظِهِ وَصِيَانَتِهِ وَعَلَوْ قَدْرِهِ مِنْ نَفْسِكَ.

(٦) هُجْنَةٌ: مِنْ فِعْلِ هَجَنَ وَالهَجْنَةُ مِنَ الْكَلَامِ: مَا يُعْيِيكَ.

الصبر على الأعمال يخففها

إِذَا تَرَاكَمَتْ عَلَيْكَ الْأَعْمَالُ فَلَا تَلْتَمِسِ الرُّوحَ ^(١) فِي مُدَافَعَتِهَا ^(٢) بِالرُّوْغَانِ ^(٣) مِنْهَا. فَإِنَّهُ لَا رَاحَةَ لَكَ إِلَّا فِي إِصْدَارِهَا ^(٤)، وَإِنَّ الصَّبْرَ عَلَيْهَا هُوَ الَّذِي يُخَفِّفُهَا عَنْكَ، وَالضَّجَرَ هُوَ الَّذِي يُرَاكِمُهَا عَلَيْكَ.

فَتَعَهِّذْ مِنْ ذَلِكَ فِي نَفْسِكَ خَصْلَةً قَدْ رَأَيْتَهَا تَعْتَرِي بَعْضَ أَصْحَابِ الْأَعْمَالِ. وَذَلِكَ أَنَّ الرَّجُلَ يَكُونُ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ، فَيَسِرُّدُ عَلَيْهِ شُغْلٌ آخَرُ، أَوْ يَأْتِيهِ شَاغِلٌ مِنَ النَّاسِ يَكْرَهُ إِيَّانَهُ فَيَكْدُرُ ذَلِكَ بِنَفْسِهِ تَكْدِيرًا يُفْسِدُ مَا كَانَ فِيهِ وَمَا وَرَدَ عَلَيْهِ، حَتَّى لَا يُحْكِمَ وَاحِدًا مِنْهُمَا. فَإِذَا وَرَدَ عَلَيْكَ مِثْلُ ذَلِكَ فَلْيَكُنْ مَعَكَ رَأْيُكَ وَعَقْلُكَ اللَّذَانِ بِهِمَا تَخْتَارُ الْأُمُورَ، ثُمَّ اخْتَرِ أَوَّلَى الْأُمُورَيْنِ بِشُغْلِكَ، فَاشْتَغِلْ بِهِ حَتَّى تَفْرُغَ مِنْهُ. وَلَا يَعْظُمَنَّ عَلَيْكَ فَوْتُ مَا فَاتَ وَتَأْخِيرُ مَا تَأَخَّرَ إِذَا أَعْلَمْتَ الرَّأْيَ مُعْمَلَةً ^(٥) وَجَعَلْتَ شُغْلَكَ فِي حَقِّهِ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِي كُلِّ شُغْلٍ غَايَةً تَرْجُو الْقُوَّةَ وَالتَّمَامَ عَلَيْهَا.

لا تجاوز الغاية

اعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ جَاوَزْتَ الْغَايَةَ فِي الْعِبَادَةِ صِرْتَ إِلَى التَّقْصِيرِ، وَإِنْ جَاوَزْتَهَا فِي حَمْلِ الْعِلْمِ لِحَقَّتْ بِالْجُهَالِ، وَإِنْ جَاوَزْتَهَا فِي تَكَلُّفِ رِضَى النَّاسِ وَالْخِيفَةِ ^(٦)

(١) الرُّوحُ: من فعل رَوَّحَ. والرُّوْحُ: الاستراحة. ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَّوْخَ وَرِيْحَانَ﴾ أي استراحة ويرد، والرُّوْحُ أيضاً: السرور والفرح.

(٢) مُدَافَعَتِهَا: من فعل دَفَعَ. والمُدَافِعَةُ: المُمَاطَلَةُ، ودافع فلان فلاناً في حاجته إذا ماطله فيها فلم يَقْضِهَا.

(٣) الرُّوْغَانُ: من فعل راغ بمعنى حَادَ. وَرَاغَ إِلَى كَذَا أَيْ مَالَ إِلَيْهِ سِرًّا وَحَادَ. وَفُلَانٌ يُرَاوِغُ فُلَانًا إِذَا كَانَ يَحِيدُ عَمَّا يُدِيرُهُ عَلَيْهِ وَيُحَاطِصُهُ. وَأَرَاغَهُ هُوَ وَرَاوَعَهُ: خَادَعَهُ.

(٤) إِصْدَارِهَا: من فعل صدر. أَصْدَرَ بمعنى أورد ويقال: للذي يَبْتَدِيءُ أَمْرًا وَيَتِمُّهُ أَصْدَرَ أَمْرًا.

(٥) إِذَا أَعْمَلْتَ الرَّأْيَ مُعْمَلَةً فِي كَذَا وَكَذَا: إِذَا دَبَّرَهُ بِفَهْمِهِ. وَأَعْمَلَ فُلَانٌ ذَهْنَهُ وَرَأْيَهُ وَلِسَانَهُ وَاسْتَعْمَلَهُ: عَمِلَ بِهِ بِحِكْمَةٍ وَحَنَكَةٍ.

(٦) الْخِيفَةُ: من فعل خَفَّفَ. وَالْخِيفَةُ: ضِدُّ الثَّقَلِ يَكُونُ فِي الْجِسْمِ وَالْعَقْلِ وَالْعَمَلِ، قِيلَ: الْخَفِيفُ فِي الْجِسْمِ، وَالْخُفَافُ فِي التَّوَفُّدِ وَالدُّكَاءِ وَالْجَمْعِ: خِفَافٌ. وَقِيلَ: الْخِيفَةُ: الطَّيْشُ وَزَوَالُ التَّعَقُّلِ وَالتَّرْصَن.

مَعَهُمْ فِي حَاجَاتِهِمْ كُنْتُ الْمَحْشُودَ^(١) الْمُضْنِعَ^(٢).

وَأَعْلَمُ أَنَّ بَعْضَ الْعَطِيَّةِ لُؤْمٌ، وَبَعْضُ السَّلَاطَةِ^(٣) غَمٌّ، وَبَعْضُ الْبَيَانِ عِيٌّ، وَبَعْضُ الْعِلْمِ جَهْلٌ. فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَكُونَ عَطَاؤُكَ جَوْرًا، وَلَا بَيَانُكَ هَذَرًا^(٤)، وَلَا عِلْمُكَ وَبَالًا، فَافْعَلْ.

احفظ المליح والرائع من الأحاديث

أَعْلَمُ أَنَّهُ سَتَمَرَّ عَلَيْكَ أَحَادِيثُ تُعْجِبُكَ: إِمَّا مَلِيحَةٌ وَإِمَّا رَائِعَةٌ.

فَإِذَا أَعْجَبَتْكَ كُنْتَ خَلِيقًا^(٥) أَنْ تَحْفَظَهَا، فَإِنَّ الْحِفْظَ مُوَكَّلٌ بِمَا مَلَحَ^(٦) وَرَاعَ^(٧). وَسَتَحْرِصُ عَلَى أَنْ تَعْجَبَ مِنْهَا الْأَقْوَامُ. فَإِنَّ الْحِرْصَ عَلَى ذَلِكَ التَّعْجِبِ مِنْ شَأْنِ النَّاسِ. وَلَيْسَ كُلُّ مُعْجِبٍ لَكَ مُعْجِبًا لِغَيْرِكَ.

(١) المحشود: من فعل حشد. وَرَجُلٌ مَحْشُودٌ: عِنْدَهُ حَشْدٌ مِنَ النَّاسِ أَيْ جَمَاعَةٌ. وَقِيلَ: إِذَا كَانَ النَّاسُ يَحْفُونَ بِخِدْمَتِهِ لِأَنَّهُ مَطَاعٌ فِيهِمْ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَحْفُودٌ مَحْشُودٌ» أَيْ أَنَّ أَصْحَابَهُ يَخْدُمُونَهُ وَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ.

(٢) المضنع: من فعل صنع. والمضنعة: أَنْ تَصْنَعَ لَهُ شَيْئًا لِيَصْنَعَ لَكَ شَيْئًا آخَرَ وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ الصَّنْعِ، وَصَانَعَهُ عَنِ الشَّيْءِ: خَادَعَهُ عَنْهُ. وَيُقَالُ صَانَعْتُ فَلَانًا أَيْ رَافَقْتُهُ وَأَعْتَنَيْتُ أَمْرًا ابْتَدَعْتَهُ كَذِبًا وَتَخْلُقًا وَافْتِرَاءً.

(٣) السَّلَاطَةُ: مِنَ فِعْلِ سَلَطَ. وَالسَّلَاطَةُ الْقَهْرُ. وَرَجُلٌ سَلِيطٌ أَيْ فَصِيحٌ حَدِيدُ اللِّسَانِ بَيْنَ السَّلَاطَةِ وَالسُّلُوطَةِ.

(٤) هَذَرًا: مِنَ فِعْلِ هَذَرَ. وَالْهَذَرُ: الْكَلَامُ الَّذِي لَا يُعْبَأُ بِهِ. وَقِيلَ: الْكَثِيرُ الرَّدِيِّ، وَقِيلَ: هُوَ سَقَطُ الْكَلَامِ. وَأَهْذَرَ الرَّجُلُ فِي كَلَامِهِ: أَكْثَرَ فِيهِ الْخَطَأَ وَالْبَاطِلَ.

(٥) خَلِيقًا: مِنَ فِعْلِ خَلَقَ. وَرَجُلٌ خَلِيقٌ بَيْنَ الْخَلْقِ وَفُلَانٌ خَلِيقٌ لَكَذَا أَيْ جَدِيرٌ بِهِ. وَأَنْتَ خَلِيقٌ بِذَلِكَ أَيْ جَدِيرٌ.

(٦) مَلَحَ: الْمَلَحُ مِنَ الْمَلَاةِ وَقَدْ مَلَحَ أَيْ حَسَنَ. وَمَلَحَ: جَاءَ بِكَلِمَةٍ مَلِيحَةٍ، قِيلَ: أَمْلَحْتُ أَيْ جِئْتُ بِكَلِمَةٍ مَلِيحَةٍ. وَقِيلَ: بَلَّغْتُ بِالْعِلْمِ وَنَلْتُ بِالْمَلَحِ. وَأَمْلَحَنِي بِنَفْسِكَ: زَيَّنِّي.

(٧) رَاعَ: مِنَ فِعْلِ رَوَعَ. وَكُلُّ شَيْءٍ يَرُوعُكَ مِنْهُ جَمَالٌ وَكَثْرَةٌ تَقُولُ رَاعَنِي فَهُوَ رَائِعٌ. وَرَجُلٌ أَرَوَعُ وَرَوَاعٌ: حَيُّ النَّفْسِ ذَكِيٌّ. وَقِيلَ: رَاعَنِي الشَّيْءُ: أَعْجَبَنِي. وَالْأَرَوَعُ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي يُعْجِبُكَ حُسْنُهُ.

فإذا نَشَرْتَ ذَلِكَ الْمَرَّةَ وَالْمَرَّتَيْنِ، فَلَمْ تَرَهُ وَقَعَ مِنَ السَّامِعِينَ مَوْقِعُهُ (١) مِنْكَ فَارْذَجِرْ (٢) عَنِ الْعَوْدَةِ. فَإِنَّ الْعَجَبَ مِنْ غَيْرِ عَجِيبٍ سُخْفٌ شَدِيدٌ.

وقَدْ رَأَيْنَا مِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْلُقُ الشَّيْءَ وَلَا يَقْلَعُ عَنْهُ وَعَنِ الْحَدِيثِ بِهِ، وَلَا يَمْنَعُهُ قِلَّةُ قَبُولِ أَصْحَابِهِ لَهُ مَنْ أَنْ يَعُودَ إِلَيْهِ ثُمَّ يَعُودَ.

ثُمَّ انْظُرِ الْأَخْبَارَ الرَّائِعَةَ فَتَحَفِّظْ مِنْهَا. فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ شَأْنِهِ الْجَرُّصُ عَلَى الْأَخْبَارِ، وَلَا سِيَّما مَا رَأَى مِنْهَا، فَأَكْثَرَ النَّاسِ مَنْ يُحَدِّثُ بِمَا سَمِعَ، وَلَا يُسَالِي مِمَّنْ سَمِعَ. وَذَلِكَ مَفْسَدَةٌ لِلصَّدِّقِ وَمَرْأَةٌ (٣) بِالْمَرْوَةِ، فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا تُخْبِرَ بِشَيْءٍ إِلَّا وَأَنْتَ بِهِ مُصَدِّقٌ، وَلَا يَكُونُ تَصَدِيقُكَ إِلَّا بِبُرْهَانٍ، فَافْعَلْ. وَلَا تَقُلْ كَمَا يَقُولُ السُّفَهَاءُ: أَخْبِرْ بِمَا سَمِعْتُ. فَإِنَّ الْكَذِبَ أَكْثَرُ مَا أَنْتَ سَامِعٌ، وَإِنَّ السُّفَهَاءَ أَكْثَرُ مَنْ هُوَ قَائِلٌ. وَإِنَّكَ إِنْ صِرْتَ لِلْأَحَادِيثِ وَاعِيًا وَحَامِلًا كَانَ مَا تَعَيَّ وَتَحْمِلُ عَنِ الْعَامَةِ أَكْثَرَ مِمَّا يَخْتَرِعُ الْمُخْتَرِعُ بِأُضْعَافٍ.

من تصاحب من الناس

انْظُرْ مَنْ صَاحَبْتَ مِنَ النَّاسِ: مِنْ ذِي فَضْلٍ عَلَيْكَ بِسُلْطَانٍ أَوْ مَنْزِلَةٍ، أَوْ مَنْ دُونَ ذَلِكَ مِنَ الْأَكْفَاءِ وَالْخُلَطَاءِ وَالْإِخْوَانِ، فَوَطَّنْ نَفْسَكَ فِي صُحْبَتِهِ عَلَى أَنْ تَقْبَلَ مِنْهُ الْعَفْوَ وَتَسْخَوْ نَفْسَكَ عَمَّا اغْتِصَاصَ (٤) عَلَيْكَ مِمَّا قِيلَهُ، غَيْرَ مُعَاتِبٍ وَلَا مُسْتَبْطِئٍ

(١) مَوْقِعُهُ: من فعل وقع، وَوَقَعَ منه الأمرُ موقعاً حَسَنًا أَوْ سَيِّئًا: ثبت لديه؛ وقوله لم يقع موقعه من السامعين: أي لم يلق استحساناً.

(٢) ارْذَجِرْ: الرُّجْرُ: المَنْعُ والنَّهْيُ والانتِهَارُ. وحيث وقع الرُّجْرُ في الحديث فإنما يراد به النهي، والرُّجْرُ كالرُّدْعِ لِلإِنْسَانِ. وكذلك الرُّجْرُ للدواب والإبل والسباع. وَرَجَرْتُ فلاناً عن السوء فأنزَجَر.

(٣) مَرْأَةٌ: من فعل مَزَرَ. والمزرة الواحدة تُحَرِّمُ أي المصَّة الواحدة. وَالتَّمْزَرُ: الذُّوقُ شيئاً بعد شيء والمقصود هنا مَزَرُوا وأَمَزَرُوا النَّاسَ أَخْبَثَهُمْ وَأَفْسَقَهُمْ. وَالتَّمْزِيرُ: الشَّدِيدُ الْقَلْبِ النَّافِذُ الْقَوِيُّ بَيْنَ الْمَرْأَةِ.

(٤) اغْتِصَاصٌ: من فعل عَوَصَ، وَالْعَوَصُ: ضِدُّ الإِمْكَانِ وَالْيُسْرِ. وقد اغْتِصَصَ فِي الْمَنْطِقِ: غَمَّضَهُ. وَاغْتِصَصَ عَلَيَّ هَذَا الْأَمْرُ يَغْتِصَصُ: إِذَا التَّأَثَّرَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ فَلَمْ يَهْتَدِ لَجِهَةِ الصَّوَابِ فِيهِ. وَاعْوَصَ بِالْخَصْمِ: أَدْخَلَهُ فِيمَا لَا يَفْقَهُمُ.

وَلَا مُسْتَزِيدٍ. فَإِنَّ الْمُعَابَةَ مَقْطَعَةٌ لِلوَدِّ، وَإِنَّ الاسْتِزَادَةَ مِنَ الْجَشَعِ، وَإِنَّ الرِّضَا بِالْعَفْوِ وَالْمُسَامَحَةِ فِي الْخُلُقِ مُقَرَّبٌ لَكَ كُلِّ مَا تَتَوَقَّعُ إِلَيْهِ نَفْسُكَ مَعَ بَقَاءِ الْعِرْضِ وَالْمَوَدَّةِ وَالْمُرُوءَةِ.

وَأَعْلَمُ أَنَّكَ سَتُبْلَى ^(١) مِنْ أَقْوَامٍ بِسَفِهِ، وَأَنْ سَفَهَ السَّفِيهِ سَيُطْلَعُ لَهُ مِنْكَ حَقْدًا، فَإِنْ عَارَضْتَهُ ^(٢) أَوْ كَافَأْتَهُ بِالسَّفِهِ فَكَأَنَّكَ قَدْ رَضِيتَ مَا أَتَى بِهِ، فَأَخْبِيتَ أَنْ تَحْتَذِيَ عَلَى مِثَالِهِ. فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ عِنْدَكَ مَذْمُومًا فَحَقِّقْ ذَمَّكَ إِيَّاهُ بِتَرْكِ مُعَارَضَتِهِ. فَأَمَّا أَنْ تَذُمَّهُ وَتَمَثِّلَهُ ^(٣) فَلَيْسَ فِي ذَلِكَ لَكَ سَدَادٌ ^(٤).

لا تصاحب أحداً إلا بمرءة

لَا تُصَاحِبَنَّ أَحَدًا، وَإِنْ اسْتَأْنَسْتَ بِهِ أَخًا ذَا قَرَابَةٍ أَوْ أَخًا ذَا مَوَدَّةٍ، وَلَا وَالِدًا وَلَا وَلَدًا إِلَّا بِمُرُوءَةٍ، فَإِنْ كَثُرَ مِنْ أَهْلِ الْمُرُوءَةِ قَدْ يَحْمِلُهُمُ الْاسْتِرْسَالُ ^(٥) وَالتَّبَذُّلُ ^(٦) عَلَى أَنْ يَصْحَبُوا كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ بِالْإِدْلَالِ ^(٧) وَالتَّهَؤُنِ وَالتَّبَذُّلِ.

(١) سَبُلَى: من فعل بَلَاءَ والبَلَاءُ الإِصَابَةُ وَالْإِنْعَامُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَتَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ أَيِ سَيُصِيبُكُمُ الْإِنْعَامُ وَالْإِحْسَانُ فِي الْخَيْرِ وَالْأَمْرُ الرَّدِيءُ فِي كُلِّ شَرٍّ. وَالْمَقْصُودُ هُنَا مِنَ الْقَوْمِ السُّفَهَاءِ.

(٢) عَارَضْتَهُ: من فعل عَرَضَ. وَالْعَارِضُ مَنْ عَارَضَ الشَّيْءَ بِالشَّيْءِ مُعَارَضَةً: قَابَلَهُ. وَعَارَضْتُ كِتَابِي بِكِتَابِهِ أَيْ قَابَلْتُهُ. وَفُلَانٌ يُعَارِضُنِي أَيْ يُبَارِينِي.

(٣) تَمَثَّلَهُ: من فعل مَثَّلَ. وَامْتَثَلْتُ مِثَالَ فُلَانٍ اخْتَذَيْتُ حَذْوَهُ وَسَلَكْتُ طَرِيقَتَهُ. وَقِيلَ: امْتَثَلْتُ طَرِيقَتَهُ: تَبِعْتُهَا فَلَمْ يَعْذُهَا. وَامْتَثَلْتُ أَمْرَ فُلَانٍ: اخْتَذَاهُ.

(٤) سَدَادٌ: من فعل سَدَدَ؛ وَالسَّدَادُ: الصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ. يُقَالُ: إِنَّهُ لَيْسَ فِي الْقَوْلِ وَهُوَ أَنْ يُصِيبَ السَّدَادَ يَعْنِي الْقَصْدَ. وَسَدَّ قَوْلُهُ يَسِيدُ بِالْكَسْرِ: إِذَا صَارَ سَدِيدًا. يُقَالُ: قُلٌّ قَوْلًا سَدَدًا أَيْ صَوَابًا فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.

(٥) الْاسْتِرْسَالُ: من فعل رَسَلَ، وَالتَّرْسُلُ كَالرَّسْلِ فِي الْأُمُورِ وَالْمَنْطِقِ كَالْتَمَهْلِ وَالتَّوَقُّرِ وَالتَّثَبُّتِ وَالتَّرْفُقِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَرْفَعَ صَوْتَهُ شَدِيدًا. وَالْاسْتِرْسَالُ: التَّوَجُّيْهِ مَعَ التَّرْفُقِ وَالتَّمَهُّلِ.

(٦) التَّبَذُّلُ: من فعل بَذَلَ؛ وَالتَّبَذُّلُ: ضِدُّ الْمَنْعِ، بِذَلِ الشَّيْءِ: أَعْطَاهُ وَجَادَ بِهِ. وَكُلُّ مَنْ طَابَتْ نَفْسُهُ بِإِعْطَاءِ شَيْءٍ فَهُوَ بِإِذِلِّ لَهُ. وَالْإِبْتِذَالُ: ضِدُّ الصِّيَانَةِ، وَاسْتَبَذَلْتُ فُلَانًا شَيْئًا: إِذَا سَأَلْتَهُ أَنْ يُبْذِلَهُ لَكَ فَبَذَلَهُ بِلَا صَوْنٍ.

(٧) الْإِدْلَالُ: من فعل دَلَّلَ، وَأَدَّلَ عَلَيْهِ وَتَدَلَّلَ: انْبَسَطَ. وَقِيلَ: أَذَلَّ عَلَيْهِ وَثِقَ بِمُحِبَّتِهِ فَأَفْرَطَ عَلَيْهِ. وَفِي =

وَمَنْ فَقَدَ مِنْ صَاحِبِهِ صُحْبَةَ الْمُرُوءَةِ وَوَقَارَهَا وَجَلَالَهَا أَحَدَتْ ذَلِكَ لَهُ فِي قَلْبِهِ رِقَّةً شَانٍ وَسُخْفَ مَنَزَلَةٍ.

وَلَا تَلْتَمِسْ غَلْبَةَ صَاحِبِكَ وَالظَّفَرَ عَلَيْهِ عِنْدَ كُلِّ كَلِمَةٍ وَرَأْيٍ، وَلَا تَجْتَرِئَنَّ عَلَى تَقْرِيعِهِ بِظَفْرِكَ إِذَا اسْتَبَانَ، وَحُجِّبِكَ عَلَيْهِ إِذَا وَصَحْتَ.

فَإِنَّ أَقْوَاماً قَدْ يَحْمِلُهُمْ حُبُّ الْعَلْبَةِ وَسَفَهُ الرَّأْيِ فِي ذَلِكَ عَلَى أَنْ يَتَعَقَّبُوا الْكَلِمَةَ بَعْدَ مَا تُنْسَى، فَيَلْتَمِسُوا فِيهَا الْحُجَّةَ، ثُمَّ يَسْتَطِيلُوا^(١) بِهَا عَلَى الْأَصْحَابِ. وَذَلِكَ ضَعْفٌ فِي الْعَقْلِ وَلُؤْمٌ فِي الْأَخْلَاقِ.

أي إكرام يعجب

لَا يُعْجِبُكَ إِكْرَامٌ مَنْ يُكْرِمُكَ لِمَنَزَلَةٍ أَوْ لِسُلْطَانٍ، فَإِنَّ السُّلْطَانَ أَوْشَكَ^(٢) أُمُورَ الدُّنْيَا زَوَالاً. وَلَا يُعْجِبُكَ إِكْرَامٌ مَنْ يُكْرِمُكَ لِلْمَالِ، فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَلَوُّ السُّلْطَانُ فِي سُرْعَةِ الزَّوَالِ. وَلَا يُعْجِبُكَ إِكْرَامُهُمْ إِيَّاكَ لِلنَّسَبِ، فَإِنَّ الْأَنْسَابَ أَقْلُ مَنَاقِبٍ^(٣) الْخَيْرِ غَنَاءٌ عَنْ أَهْلِهَا فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا.

وَلَكِنْ إِذَا أَكْرِمْتَ عَلَى دِينٍ أَوْ مُرُوءَةٍ فَذَلِكَ فَلْيُعْجِبْكَ! فَإِنَّ الْمُرُوءَةَ لَا تُزَايِلُكَ^(٤) فِي الدُّنْيَا. وَإِنَّ الدِّينَ لَا يُزَايِلُكَ فِي الْآخِرَةِ.

= المثل: أدل فأمّل. وفي الحديث: «يمشي على الصراط مُدْبِلاً» أي منبسطاً لا خوف عليه، وهو في الإدلال والدَّالَّةِ على من لك عنده منزلة.

(١) يستطيلوا: من فعل طول، والمطاوله في الأمر هو الاستطالة على الناس إذا هو رَفَعَ رأسه ورأى أن له عليهم فضلاً في القَدْرِ واستطال عليه أي تطاول عليه وغلبه وقهره. وفي الحديث: «أزبى الرُّبَا الاستطالة في عِزِّ النَّاسِ» أي استحقاقهم والترُّفُّ عليهم والوقية فيهم.

(٢) أوشك: من فعل وَشَكَ. والوشيك: السريع، وأمر وشيك: سريع. ومن أمثالهم: «لَوْشَكَانَ ذَا إِهَالَةٍ». يُصْرَبُ مثلاً للشيء يأتي قبل حينه. وَعَجِبْتُ من وشك ذلك الأمر أي من سُرْعته.

(٣) مَنَاقِب: من فعل نَقَبَ، والمناقب: فضائل الخير الحقيقية. وقيل: النَّقَبُ: الطرق المستقيمة. والنَّقَابُ: الرجل العالم بالأشياء المبحث عنها، الْفَيْطُنُ الشَّدِيدُ الدُّخُولُ فِيهَا. وَالْأَنْسَابُ أَقْلُ هَذِهِ الْأُمُورِ.

(٤) تُزَايِلُكَ: من فعل زَايَلَ؛ وَزَلْتُ الشيء من مكانه، وَزَالَ الشيء: فَرَقَ. ومنه قوله تعالى: ﴿فَزَايِلُنَا﴾

الجبن والحرص مقتلة ومحرمه

اعْلَمْ أَنَّ الْجُبْنَ مَقْتَلَةٌ، وَأَنَّ الْحِرْصَ مَحْرَمَةٌ.

فَانْظُرْ فِي مَا رَأَيْتَ أَوْ سَمِعْتَ: أَمِنْ قُتِلَ فِي الْقِتَالِ مُقْبِلًا أَكْثَرُ أَمْ مَنْ قُتِلَ مُدْبِرًا؟ وَانْظُرْ أَمِنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالْإِجْمَالِ^(١) وَالتَّكْرَمِ أَحَقُّ أَنْ تَسْخُو نَفْسُكَ لَهُ بِطَلَبِيَّتِهِ أَمْ مَنْ يَطْلُبُ إِلَيْكَ بِالشَّرِّ وَالزَّيْغِ^(٢)؟

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ مَنْ كَانَ لَكَ فِيهِ هَوًى، فَذَكَرَهُ ذَاكِرٌ بِسَوْءٍ وَذَكَرْتَهُ أَنْتَ بِخَيْرٍ يَنْفَعُهُ ذَلِكَ. بَلْ عَسَى أَنْ يَضُرَّهُ.

فَلَا يَسْتَخِفَّنَكَ ذَكَرُ أَحَدٍ مِنْ صَدِيقِكَ أَوْ عَدُوِّكَ إِلَّا فِي مَوَاطِنٍ دَفَعٍ أَوْ مُحَامَاةٍ. فَإِنَّ صَدِيقَكَ إِذَا وَثَّقَ بِكَ فِي مَوَاطِنِ الْمُحَامَاةِ لَمْ يَحْفِلْ بِمَا تَرَكْتَ مِمَّا سِوَى ذَلِكَ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عَلَيْكَ سَبِيلٌ لِائِمَّةٍ.

وَأَنَّ مِنْ أَحْزَمِ الرَّأْيِ لَكَ فِي أَمْرِ عَدُوِّكَ أَلَّا تَذْكُرَهُ إِلَّا حَيْثُ تَضُرُّهُ. وَأَلَّا تَعْدَّ يَسِيرَ الضَّرَرِ لَهُ ضَرَرًا.

احترس ممَّا يقال فيك

اعْلَمْ أَنَّ الرَّجُلَ قَدْ يَكُونُ حَلِيمًا، فَيَحِمِلُهُ الْحِرْصُ عَلَى أَنْ يَقُولَ النَّاسُ جَلِيدًا^(٣)، وَالْمَخَافَةُ أَنْ يَقَالَ مَهِينًا^(٤) عَلَى أَنْ يَتَكَلَّفَ الْجَهْلَ. وَقَدْ يَكُونُ الرَّجُلُ

= يَبْتَهُمُ أَيُ فَرَقْنَا بَيْنَهُم. وَالزُّيَالُ: الْفِرَاقُ، وَالتَّزَايُلُ: التَّبَايُنُ.

(١) الإِجْمَالُ: مَنْ فَعَلَ جَمَلٌ، وَقِيلَ: «إِلْزَمَ تَجَمُّلَكَ وَحَيَاءَكَ وَلَا تَجْزَعْ جِزْعًا قَبِيحًا» وَالْمَقْصُودُ هُنَا مِنْ كَلَامِ ابْنِ الْمَقْفَعِ: إِنَّ مَنْ يَطْلُبُ أَمْرًا يَتَنَدَّ ثِقَةً مِنْهُ بِبَاسِهِ وَكِرْمِهِ عَلَى حَيَاءٍ مِنْهُ هُوَ أَحَقُّ أَنْ تَسْخُو نَفْسُكَ لَهُ بِمَا طَلَبَ مِنْ أَمْرٍ.

(٢) الزَّيْغُ: مَنْ فَعَلَ زَيْغٌ، وَالزَّيْغُ: الْمَيْلُ. يُقَالُ: زَاغَ عَنِ الطَّرِيقِ يَزِيغُ: إِذَا عَدَلَ عَنْهُ. وَفِيهِ حَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَخَافُ إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ» أَيُ أَجُورَ وَأَعْدِلَ عَنْ الْحَقِّ.

(٣) جَلِيدٌ: مَنْ فَعَلَ جَلَدٌ. وَالْجَلَدُ: الْقُوَّةُ وَالشِّدَّةُ. وَفِي حَدِيثِ الطَّوْافِ: «لَيْسَ الْمَشْرُوكُونَ جَلْدَهُمْ» الْجَلْدُ: الْقُوَّةُ وَالصَّبْرُ. وَقِيلَ: كَانَ أَخَوْفَ جَلْدًا، أَيُ قَوِيًّا فِي نَفْسِهِ وَجَسَدِهِ وَالْجَلْدُ: الصَّلَابَةُ =

رَمِيَتْ^(١) فَيَحْمِلُهُ الْحِرْصُ عَلَى أَنْ يُقَالَ لَسِنْ^(٢)، وَالْمَخَافَةُ مِنْ أَنْ يُقَالَ عِيِيَ عَلَى أَنْ يَقُولَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ فَيَكُونُ هَذِرًا^(٣).

فَاعْرِفْ هَذَا وَأَشْبَاهَهُ، واحترس مِنْهُ كُلَّهُ.

نزاهة العرض وبقاء العز

إِذَا بَدَّكَ أَمْرَانِ لَا تَدْرِي أَيُّهُمَا أَصَوَّبُ فَانْظُرْ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى هَوَاكَ فَخَالِفْهُ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الصَّوَابِ فِي خِلَافِ الْهَوَى.

وَلْيَجْتَمِعْ فِي قَلْبِكَ الْإِفْتِقَارُ إِلَى النَّاسِ وَالِاسْتِغْنَاءُ عَنْهُمْ، وَلْيَكُنْ افْتِقَارُكَ إِلَيْهِمْ فِي لَبِنِ كَلِمَتِكَ لَهُمْ، وَحُسْنِ بَشْرِكَ بِهِمْ. وَلْيَكُنْ اسْتِغْنَاؤُكَ عَنْهُمْ فِي نَزَاهَةِ عِرْضِكَ^(٤) وَبَقَاءِ عِزِّكَ.

= وَالْجَلَادَةُ. يُقَالُ؛ جَلَّدَ الرَّجُلَ بِالضَّمِّ، فَهُوَ جَلْدٌ جَلِيدٌ وَبَيْنَ الْجَلْدِ، وَالْجَلَادَةُ وَهُوَ الْمَقْصُودُ.
(٤) مَهِينٌ: مَنْ فَعَلَ مَهَنَ، وَامْتَهَنَتُ الشَّيْءَ: ابْتَدَلْتُهُ، وَالْمَهْنَةُ وَالْمِهْنَةُ: الْخِدْمَةُ وَالِابْتِدَالُ. وَامْتَهَنَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ: ابْتَدَلَهَا. وَالْمَهِينُ مِنَ الرِّجَالِ: الضَّعِيفُ وَمِنْ صِفَتِهِ ﷺ: «لَيْسَ بِالْجَافِي وَلَا بِالْمَهِينِ». وَيُرْوَى بِفَتْحِ الْمِيمِ وَضَمِّهَا. وَالْفَتْحُ مِنَ الْمَهَانَةِ الْحَقَارَةِ وَالضُّفْرُ وَالْمِيمُ أَصْلِيَّةٌ فِي الْكَلِمَةِ.

(١) رَمِيَتْ: مِنْ فَعَلَ رَمَتَ؛ وَالرَّمِيَتْ: الْحَلِيمُ السَّاكِنُ، الْقَلِيلُ الْكَلَامِ. وَفِي صِفَةِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَرْزَمِيهِمْ فِي الْمَجْلِسِ» أَيُّ مِنْ أَرْزَمِهِمْ وَأَوْقَرِهِمْ.

(٢) لَسِنْ: مِنْ فَعَلَ لَسَنَ، وَرَجُلٌ لَسِنْ: بَيِّنُ اللَّسَنِ إِذَا كَانَ ذَا بَيَانَ وَفَصَاحَةٍ. وَلَا سَنَهُ: نَاطِقَهُ بِالْفَصَاحَةِ. وَاللَّسَنُ: جَوْدَةُ اللِّسَانِ وَسُلَاطَتُهُ. وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَجَعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ أَيُّ اجْعَلْ لِي ثَنَاءً حَسَنًا بَاقِيًا إِلَى آخِرِ الدَّهْرِ.

(٣) هَذِرًا: مِنْ فَعَلَ هَذَرَ؛ وَالهَذَرُ: الْكَلَامُ الَّذِي لَا يُعْبَأُ بِهِ. وَهَذَرَ كَلَامَهُ هَذَرًا: كَثَرَ فِي الْخَطَا وَالْبَاطِلِ وَحَادَ عَنِ الْحَقِّ وَالْعَدْلِ.

(٤) عِرْضِكَ: مِنْ فَعَلَ عَرَضَ، وَالْعِرْضُ: نَفْسُ الرَّجُلِ، وَشَرَفُهُ وَجَوْهَرُهُ وَعِرْضُ الرَّجُلِ: حَسَبُهُ. وَقِيلَ: خَلِيقَتُهُ الْمَحْمُودَةُ. وَقِيلَ: مَا يُمَدُّحُ بِهِ وَيُذَمُّ. وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّ أَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحَرَمَةِ مَا مَكَّمْ هَذَا».

كيف تجالس الناس

لا تجالس امرأً بغير طريقتيه، فإنك إن أردت لقاء الجاهل بالعلم، والجافي^(١) بالفقه^(٢)، والعبي بالبيان لم تزد على أن تضع علمك وتؤدي جليستك بحملك عليه ثقل ما لا يعرف وعلمك إياه بمثل ما يغتم به الرجل الفصيح من مخاطبة الأعجمي الذي لا يفقه عنه.

واعلم أنه ليس من علم تذكره عند غير أهله إلا عابوه، ونصبوا له^(٣) ونقصوه عليك وحرصوا على أن يجعلوه جهلاً حتى إن كثيراً من اللهو واللعب الذي هو أخف الأشياء على الناس ليحضره من لا يعرفه فيثقل عليه ويغتم به.

وليعلم صاحبك أنك تشفق عليه وعلى أصحابه، وإياك إن عاشرَكَ امرؤ أو رافقَكَ أن لا يرى منك بأحد من أصحابه وإخوانه وأخذانه رافةً، فإن ذلك يأخذ من القلوب مأخذاً. وإن لطفك بصاحب صاحبك أحسن عنده موقفاً من لطفك به في نفسه.

واتق الفرح عند المحزون، واعلم أنه يحقد على المنطلق^(٤) ويشكر للمكتئب.

اعلم أنك ستسمع من جلسائك الرأي والحديث تنكره وتستجفيه وتستشيعه من المتحدث به عن نفسه أو غيره، فلا يكونن منك التكذيب ولا التسخيف لشيء

(١) الجافي: من فعل جَفَا، وجَفَا الشيءُ يَجْفُو: لم يلزم مكانه. يقال: رجل جافي الخلقه وجافي الخلق: إذا كان كزاً غليظ العشرة، والخزق في المعاملة والتعامل عند الغضب. ومنه الحديث: «ليس بالجافي المهيمن» أي ليس بالغليظ الخلقه ولا الطبع أو ليس بالذي يجفو أصحابه ويبعد عنهم.

(٢) الفقه: من فعل فَقَّه، والفقه في الأصل الفهم. يقال: أوتي فلان فقهاً في الدين أي فهماً فيه. ومنه قوله تعالى: ﴿لِيَفْقَهُوا فِي الدِّينِ﴾.

(٣) نصبوا له: من فعل نَصَبَ، والنَّصَبُ: البلاء والشَّرُّ والعداء والتناهُض.

(٤) المنطلق: من فعل طَلَّقَ؛ وَوَجْهٌ طَلَّقَ وَطَلَّقَ: ضاحك مُشْرِق، وقد طَلَّقَ الرجلُ طَلَاقَةً فهو طَلَّقُ وَوَجْهٌ مُنْطَلِقٌ: مستبشر منبسط الوجه مُتَهَلِّلٌ.

مِمَّا يَأْتِي بِهِ جَلِيسُكَ. وَلَا يُجَرِّتُكَ عَلَى ذَلِكَ أَنْ تَقُولَ: إِنَّمَا حَدَّثَ عَنْ غَيْرِهِ، فَإِنَّ كُلَّ مَرْدُودٍ عَلَيْهِ سَيَمْتَعِضُ^(١) مِنَ الرَّدِّ وَإِنْ كَانَ فِي الْقَوْمِ مَنْ تَكَرَّرَهُ أَنْ يَسْتَقِرَّ فِي قَلْبِهِ ذَلِكَ الْقَوْلُ، لَخَطَأٍ تَخَافُ أَنْ يُعَقَّدَ عَلَيْهِ^(٢)، أَوْ مَضَرَّةٍ تَخْشَاهَا عَلَى أَحَدٍ فَإِنَّكَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ تَنْقُضَ ذَلِكَ فِي سِتْرٍ، فَيَكُونَ ذَلِكَ أَيْسَرَ لِلتَّنْقِضِ وَأَبْعَدَ لِلْبَغْضَةِ.

ثُمَّ اعْلَمْ أَنَّ الْبَغْضَةَ خَوْفٌ، وَأَنَّ الْمَوَدَّةَ أَمْنٌ، فَاسْتَكْثِرْ مِنَ الْمَوَدَّةِ صَامِتًا، فَإِنَّ الصَّمْتَ سَيَذْغُوهَا إِلَيْكَ. وَإِذَا نَاطَقْتَ فَنَاطِقٌ بِالْحُسْنَى، فَإِنَّ الْمَنْطِقَ الْحَسَنَ يَزِيدُ فِي وَدِّ الصَّدِيقِ وَيَسْتَلِ^(٣) سَخِيمَةَ^(٤) الْوَعْرِ^(٥).

وَاعْلَمْ أَنَّ خَفْضَ الصَّوْتِ وَسُكُونَ الرِّيحِ^(٦) وَمَشْيَ الْقَصْدِ^(٧) مِنْ دَوَاعِي الْمَوَدَّةِ، إِذَا لَمْ يُخَالِطْ ذَلِكَ بَأَوْ^(٨) وَلَا عُجْبٌ. أَمَّا الْعُجْبُ فَهُوَ مِنْ دَوَاعِي الْمَقْتِ وَالشَّنَانِ^(٩).

-
- (١) سَيَمْتَعِضُ: مِنْ فِعْلِ مَعِضَ. وَمَعِضَ مِنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ وَامْتَعِضَ مِنْهُ: غَضِبَ وَشَقَّ وَأَوْجَعَهُ.
 - (٢) يُعَقَّدُ عَلَيْهِ: مِنْ فِعْلِ عَقَدَ، وَالْجَمْعُ أَغْقَادٌ وَعُقُودٌ. وَعَقَدَ: بَنَى عَقْدًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾.
 - (٣) يَسْتَلِ: مِنْ فِعْلِ سَتَلَ. وَالسَّتَلُ: الضِّيْقُ وَسَتَلٌ: ضَيْقٌ. وَفِي حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: «كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ فَبَيْنَا نَحْنُ لَيْلَةً مُتَسَائِلِينَ عَنِ الطَّرِيقِ نَعَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ».
 - (٤) سَخِيمَةٌ: مِنْ فِعْلِ سَخِمَ. وَالسَّخَمُ مَصْدَرُ السَّخِيمَةِ، وَالسَّخِيمَةُ: الْحَقْدُ وَالضَّغِينَةُ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «تَهَادَوْا تَذَهَبِ الْإِخْنُ وَالسَّخَائِمُ». أَيِ الْحَقُودِ.
 - (٥) الْوَعْرِ: مِنْ فِعْلِ وَعَرَ؛ وَالْوَعْرُ: ضِدُّ السَّهْلِ وَهُوَ الْمَكَانُ الْوَعِرُ وَالْحَزَنُ. وَالْوَعْرُ: الْمَكَانُ الصُّلْبُ. وَوَعَرَ الرَّجُلَ وَوَعَرَهُ: حَبَسَهُ عَنْ حَاجَتِهِ وَوَجْهَتِهِ.
 - (٦) الرِّيحُ: مِنَ الرِّوْحِ وَهِيَ الْفَرَحَةُ وَالِاسْتِرَاحَةُ وَالسَّكِينَةُ.
 - (٧) الْقَصْدُ: مِنْ فِعْلِ قَصَدَ. وَالْقَصْدُ فِي الشَّيْءِ: خِلَافُ الْإِفْرَاطِ وَهُوَ مَا بَيْنَ الْإِسْرَافِ وَالتَّقْتِيرِ. وَاقْتَصَدَ فُلَانٌ فِي أَمْرِهِ: أَيِ اسْتَقَامَ. وَفِي الْحَدِيثِ: «مَا عَالَ مُقْتَصِدٌ وَلَا يَعْجِلُ» أَيِ مَا افْتَقَرَ مِنْ لَا يُسْرِفُ فِي الْإِنْفَاقِ وَلَا يَقْتَرُ.
 - (٨) بَأَوْ: مِنْ فِعْلِ بَايَ؛ الْبَأَوُ: الْعِظَمَةُ، وَبَايَ عَلَيْهِمُ: فَخَرَهُ. وَقِيلَ: الْبَأَوُ: الْكِبَرُ، يُقَالُ: بَايَ نَفْسَهُ: رَفَعَهَا وَفَخَرَ بِهَا.
 - (٩) الشَّنَانُ: بِالتَّحْرِيكِ وَالتَّسْكِينِ الْبَغْضُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُجَرِّمُكُمْ شَنْآنُ قَوْمٍ﴾ أَيِ بَغِيضِ قَوْمٍ.

المستشار ليس بضامن وجه الصواب

اعْلَمْ أَنَّ الْمُسْتَشَارَ لَيْسَ بِكَفِيلٍ ، وَأَنَّ الرَّأْيَ لَيْسَ بِمَضْمُونٍ . بَلِ الرَّأْيُ كُلُّهُ غَرَرٌ^(١) ، لِأَنَّ أُمُورَ الدُّنْيَا لَيْسَ شَيْءٌ مِنْهَا بِثِقَةٍ ، وَلِأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَمْرِهَا شَيْءٌ يُدْرِكُهُ الْحَازِمُ إِلَّا وَقَدْ يُدْرِكُهُ الْعَاجِزُ . بَلِ رُبَّمَا أَغْيَا الْحَزْمَةُ مَا أَمَكَّنَ الْعَجْزَةُ . فَإِذَا أَشَارَ عَلَيْكَ صَاحِبُكَ بِرَأْيٍ ، ثُمَّ لَمْ تَجِدْ عَاقِبَتَهُ عَلَى مَا كُنْتَ تَأْتُلُ فَلَا تَجْعَلْ ذَلِكَ عَلَيْهِ ذَنْبًا ، وَلَا تَلْزِمُهُ لَوْماً وَعَذَلاً بَانَ تَقُولُ : أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِي وَأَنْتَ أَمَرْتَنِي ، وَلَوْلَا أَنْتَ لَمْ أَفْعَلْ ، وَلَا جَرَمٌ^(٢) لَا أُطِيعُكَ فِي شَيْءٍ بَعْدَهَا . فَإِنَّ هَذَا كُلَّهُ ضَجَرٌ وَلَوْمْ وَخِيفَةٌ .

فَإِنْ كُنْتَ أَنْتَ الْمُشِيرَ ، فَعَمِلْ بِرَأْيِكَ أَوْ تَرَكْهُ ، فَبَدَا صَوَابُكَ فَلَا تَمْنُنْ بِهِ وَلَا تُكْثِرَنَّ ذِكْرَهُ إِنْ كَانَ فِيهِ نَجَاحٌ ، وَلَا تَلْمُهُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ قَدْ اسْتَبَانَ فِي تَرْكِهِ ضَرَرَ بِأَنْ تَقُولَ : أَلَمْ أَقُلْ لَكَ أَفْعَلْ هَذَا ، فَإِنَّ هَذَا مُجَانِبٌ^(٣) لِأَدَبِ الْحُكَمَاءِ .

حسن الاستماع

تَعَلَّمْ حُسْنَ الاسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْكَلَامِ . وَمِنْ حُسْنِ الاسْتِمَاعِ إِمْهَالُ الْمُتَكَلِّمِ حَتَّى يَنْقُضِيَ حَدِيثَهُ ، وَقَلَّةُ التَّلَقُّفِ إِلَى الْجَوَابِ ، وَالْإِقْبَالُ بِالْوَجْهِ^(٤) وَالنَّظَرُ إِلَى الْمُتَكَلِّمِ ، وَالْوَعْيُ لِمَا يَقُولُ .

وَأَعْلَمْ ، فِي مَا تُكَلِّمُ بِهِ صَاحِبَكَ ، أَنَّ مِمَّا يُهْجَنُ صَوَابَ مَا يَأْتِي بِهِ ، وَيَذْهَبُ بِطَعْمِهِ وَبِهَجْتِهِ وَيُزْرِي بِهِ فِي قَبُولِهِ ، عَجَلَتَكَ بِذَلِكَ ، وَقَطْعَكَ حَدِيثَ الرَّجُلِ قَبْلَ أَنْ

(١) غَرَرٌ: من فعل غَرَرَ، وغَرَّرَ بنفسه وماله تَغَرُّراً: عَرَّضَهُمَا لِلْهَلَكَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ، وَالْغَرَرُ: الْخَطَرُ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «غَرَّرَ فُلَانٌ فُلَانًا»: قَالَ بَعْضُهُمْ عَرَّضَهُ لِلْهَلَكَةِ وَالْبَوَارِ.

(٢) لَا جَرَمَ: مِنْ فِعْلِ جَرَمَ، وَلَا جَرَمَ: أَيْ لَا بُدَّ وَلَا مُحَالَةَ. وَقِيلَ: حَقًّا.

(٣) مُجَانِبٌ: مِنْ فِعْلِ جَنَبَ، وَالْجَنَابَةُ: ضِدُّ الْقَرَابَةِ. وَقِيلَ: عَنْ جَنَابَةِ أَيْ بُعْدٍ وَغُرْبَةٍ. وَجَنَبَهُ وَجَنَبَهُ إِيَّاهُ: نَحَّاهُ عَنْهُ. وَيُقَالُ: لَجَّ فُلَانٌ فِي جَنَابِ قَبِيحٍ إِذَا لَجَّ فِي مُجَانِبَةِ أَهْلِهِ.

(٤) بِالْوَجْهِ: مِنْ فِعْلِ وَجَّهَ. وَالْوَجْهُ: مَعْرُوفٌ. وَوَجَّهَهُ كُلُّ شَيْءٍ: مُسْتَقْبَلُهُ. وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ أَرَادَ إِلَّا إِيَّاهُ إِذْ كُنِيَ بِالْوَجْهِ عَنْ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ بَابِ دَلَالَةِ الْجُزْءِ عَنِ الْكُلِّ كُنْيَاةً. وَالْقَصْدُ إِقْبَالَكَ عَلَى الْمُتَكَلِّمِ كَأَنَّكَ لَا تَرِيدُ غَيْرَهُ.

يُفْضِي إِلَيْكَ بِذَاتِ نَفْسِهِ^(١).

كيف يكون الزهد

إِنْ رَأَيْتَ نَفْسَكَ تَصَاغَرَتْ إِلَيْهَا الدُّنْيَا، أَوْ دَعَتْكَ إِلَى الزَّهَادَةِ فِيهَا عَلَى حَالٍ تَعَذَّرٍ مِنَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ فَلَا يُعَزِّنُكَ ذَلِكَ مِنْ نَفْسِكَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِزَهَادَةٍ، وَلَكِنَّهَا ضَجَرٌ وَاسْتِخْذَاءٌ^(٢) وَتَغَيَّرُ نَفْسٌ عِنْدَمَا أَعْجَزَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَغَضَبُ مِنْكَ عَلَيْهَا مِمَّا التَّوَى^(٣) عَلَيْكَ مِنْهَا. وَلَوْ تَمَّتْ^(٤) عَلَى رَفْضِهَا وَأَمْسَكَتَ عَنْ طَلِبِهَا أَوْشَكَتَ أَنْ تَرَى مِنْ نَفْسِكَ مِنَ الضَّجَرِ وَالْجَزَعِ أَشَدَّ مِنْ ضَجَرِكَ الْأَوَّلِ بِأَضْعَافٍ. وَلَكِنْ إِذَا دَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى رَفْضِ الدُّنْيَا وَهِيَ مُقْبِلَةٌ عَلَيْكَ، فَاسْرِعْ إِلَى إِبْجَائِهَا.

حسن المجالسة وسوؤها

اعْرِفْ عَوْرَاتِكَ. وَإِيَّاكَ أَنْ تُعَرِّضَ بِأَحَدٍ فِي مَا ضَارَعَهَا^(٥). وَإِذَا ذُكِرَتْ مِنْ أَحَدٍ خَلِيقَةٌ فَلَا تَنَاضِلْ عَنْهُ مُنَاضِلَةَ الْمُدَافِعِ عَنْ نَفْسِهِ الْمُصَغَّرِ لِمَا يَعْيبُ النَّاسُ مِنْهُ فَتَتَّهَمَ بِمِثْلِهَا. وَلَا تُلِحْ كُلَّ الْإِلْحَاحِ. وَلَيْكُنْ مَا كَانَ مِنْكَ فِي غَيْرِ اخْتِلَاطٍ، فَإِنَّ الْاِخْتِلَاطَ مِنْ مُحَقِّقَاتِ الرَّيْبِ.

إِذَا كُنْتَ فِي جَمَاعَةٍ قَوْمٍ أَبَدًا فَلَا تَعْمَنْ جِيلًا^(٦) مِنَ النَّاسِ أَوْ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ.

(١) ذات نفسه: قصد هنا من النفس ومعناها جملة ما في الإنسان وحقيقته، ويفضي إليك بذات نفسه

أن يحدث عن كربه وما يعاني من مكنوناته في صدره فيعرب عنها ويفرج عن ذاته ونفسه.

(٢) الاستخذاء: من فعل أَخَذَ، واستأخَذَ إِذَا أَصْبَحَ مُسْتَكِينًا وَمُسْتَرْحًا يُقَالُ: لِفَلَانَةٍ أَخَذَتْ تُؤْخَذُ مِنْ حَالَةٍ إِلَى حَالَةٍ عِنْدَ نَوَائِبِ الدَّهْرِ، كَالْأَسِيرِ الْمُنْقَادِ وَالْمَغْتَصِبِ.

(٣) التوى: من فعل لَوَى وَتَلَوَى: انعطف ولم يجر على الاستقامة، ولوت الدنيا عنك: مالت عنك فيما ترغب من تحقيقه والوصول إليه.

(٤) تَمَّتْ: من فعل تَمَّمَ، ورجل متمم أي فاز مرة بعد مرة وأنفذ أمره فيما مضى إليه.

(٥) ضارعها: من فعل ضَرَعَ، وَضَرَعَ إِلَيْهِ: خَضَعَ وَذَلَّ فَهُوَ ضَارِعٌ وَمِنَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا﴾ أي تَذَلَّلُوا وَخَضَعُوا، وَضَرَعَ فُلَانٌ لِفُلَانٍ إِذَا مَا تَخَشَّعَ لَهُ.

(٦) الجيل: الجيل: كل جنس من الناس، فالترك جيل والصين جيل والعرب جيل، والجمع أجيال. وقيل: «ما أعلم من جيل كان أحبب منكم» فالجيل: الصنف من الناس، وقيل: الأمة، وقيل: كل-

يَشْتَمُ وَلَا دَمَ . فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : لَعَلَّكَ تَتَنَاوَلُ بَعْضَ أَعْرَاضِ جُلَسَائِكَ مُخْطِئاً ، فَلَا تَأْمَنُ مُكَافَأَتَهُمْ . أَوْ مُتَعَمِّداً فَتَنْسَبَ إِلَى السَّفَةِ . وَلَا تَذَمَّنْ مَعَ ذَلِكَ أَسْماً مِنْ أَسْمَاءِ الرِّجَالِ أَوْ النِّسَاءِ بِأَنْ تَقُولَ أَنَّ هَذَا لَقَبِيحٌ مِنَ الْأَسْمَاءِ . فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي ، لَعَلَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُوَافِقٍ لِبَعْضِ جُلَسَائِكَ ، وَلَعَلَّهُ يَكُونُ بَعْضُ أَسْمَاءِ الْأَهْلِيِّينَ وَالْحُرُمِ . وَلَا تَسْتَصْغِرَنَّ مِنْ هَذَا شَيْئاً ، فَكُلَّ ذَلِكَ يَجْرَحُ فِي الْقَلْبِ . وَجُرْحُ اللِّسَانِ أَشَدُّ مِنْ جُرْحِ الْيَدِ .

وَمِنَ الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ عَلَى كُلِّ حَالٍ مُغَالَبَةُ الرَّجُلِ عَلَى كَلَامِهِ وَالْإِعْتِرَاضُ فِيهِ وَالْقَطْعُ لِلْحَدِيثِ .

وَمِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي أَنْتَ جَدِيرٌ بِتَرْكِهَا إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ حَدِيثاً تَعْرِفُهُ ، أَلَّا تُسَابِقَهُ إِلَيْهِ وَتَفْتَحَهُ عَلَيْهِ وَتُشَارِكَهُ فِيهِ ، حَتَّى كَأَنَّكَ تُظْهِرُ لِلنَّاسِ أَنَّكَ تُرِيدُ أَنْ يَعْلَمُوا أَنَّكَ تَعْلَمُ مِثْلَ الَّذِي يَعْلَمُ وَمَا عَلَيْكَ أَنْ تُهَنِّئَهُ بِذَلِكَ وَتُقِرَّهُ بِهِ . وَهَذَا الْبَابُ مِنْ أَبْوَابِ الْبُخْلِ . وَأَبْوَابُهُ الْغَامِضَةُ كَثِيرَةٌ .

إِذَا كُنْتَ فِي قَوْمٍ لَيْسُوا بِلُغَاءٍ وَلَا فُصَحَاءَ ، فَدَعِ التَّطَاوُلَ عَلَيْهِمْ بِالْبِلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ .

واعْلَمْ أَنَّ بَعْضَ شِدَّةِ الْحَذَرِ عَوْنٌ عَلَيْكَ فِي مَا تَحْذَرُ وَأَنَّ بَعْضَ شِدَّةِ الْإِتْقَانِ مِمَّا يَدْعُو إِلَيْكَ مَا تَتَّقِي .

واعْلَمْ أَنَّ النَّاسَ يَخْدَعُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالتَّعْرِيزِ وَالتَّوْقِيعِ ^(١) بِالرِّجَالِ فِي التِّمَاسِ مِثَالِيهِمْ وَمَسَاوِيهِمْ وَنَقِصَتِهِمْ . وَكُلَّ ذَلِكَ أَتَيْنُ عِنْدَ سَامِعِيهِ مِنْ وَضَحِ الصَّبْحِ . فَلَا تَكُونَنَّ مِنْ ذَلِكَ فِي غُرُورٍ وَلَا تَجْعَلَنَّ نَفْسَكَ مِنْ أَهْلِهِ .

اعْلَمْ أَنَّ مِنْ تَنَكُّبِ ^(٢) الْأُمُورِ مَا يُسَمَّى حَذَرًا . وَمِنْهُ مَا يُسَمَّى خَوْرًا . فَإِنْ

= قوم يختصون بلغة جيل .

(١) التَّوْقِيعُ : مِنْ فَعَلَ وَقَعَ . وَأَوْقَعَ ظَنَّهُ عَلَى الشَّيْءِ وَوَقَّعَهُ كِلَاهِمَا : قَدَّرَهُ وَأَنْزَلَهُ . وَالتَّوْقِيعُ بِالظَّنِّ وَالْكَلَامِ يَعْتَمِدُ لِيَقَعَ عَلَيْهِ وَهَمُّهُ . وَوَقَّعَ بِهِ مَا كَرِهَ وَقَعًا وَوَقِيعَةً : نَزَلَ عَلَى الظَّنِّ وَالتَّخْمِينِ وَالتَّوَهُّمِ .

(٢) تَنَكُّبُ الْأُمُورِ : مِنْ فَعَلَ نَكَبَ : أَيَّ عَدَلَ وَبَعُدَ ، وَنَكَبَ فُلَانٌ عَنِ الصُّلُوبِ : عَدَلَ عَنْهُ وَاعْتَزَلَ =

اسْتَطَعْتَ أَنْ يَكُونَ جُنُوكَ مِنَ الْأَمْرِ قَبْلَ مُوَاقِعَتِكَ^(١) إِيَّاهُ فَافْعَلْ. فَإِنْ هَذَا الْحَذَرُ. وَلَا تَنْغِمَسْ فِيهِ ثُمَّ تَهَيَّئُهُ. فَإِنْ هَذَا هُوَ الْخَوَرُ^(٢). فَإِنَّ الْحَكِيمَ لَا يَخَوْضُ نَهْرًا حَتَّى يَعْلَمَ مِقْدَارَ غَوْرِهِ.

قَدْ رَأَيْنَا مِنْ سَوْءِ الْمُجَالَسَةِ أَنَّ الرَّجُلَ تَثْقُلُ عَلَيْهِ النِّعْمَةُ يَرَاهَا بِصَاحِبِهِ، فَيَكُونُ مَا يَشْتَفِي بِصَاحِبِهِ فِي تَضْغِيرِ أَمْرِهِ وَتَكْدِيرِ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ، أَنْ يَذْكَرَ الزَّوَالَ وَالْفَنَاءَ وَالذَّوْلَ، كَأَنَّهُ وَاِعْظُ وَقَاصٌ. فَلَا يَخْفَى ذَلِكَ عَلَى مَنْ يُعْنَى بِهِ وَلَا غَيْرِهِ. وَلَا يُنْزَلُ قَوْلُهُ بِمَنْزِلَةِ الْمَوْعِظَةِ وَالْإِبْلَاحِ، وَلَكِنْ بِمَنْزِلَةِ الضَّجَرِ مِنَ النِّعْمَةِ، إِذَا رَأَاهَا لِغَيْرِهِ، وَالْاِعْتِمَامِ بِهَا وَالْاِسْتِرَاحَةِ إِلَى غَيْرِ رَوْحٍ^(٣).

وَإِنِّي مُخْبِرُكَ عَنْ صَاحِبٍ لِي كَانَ مِنْ أَعْظَمِ النَّاسِ فِي عَيْنِي، وَكَانَ رَأْسُ مَا أَعْظَمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ: كَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ، فَلَا يَتَشَهَّى مَا لَا يَجِدُ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ. وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ فَرْجِهِ، فَلَا يَدْعُو إِلَيْهِ رِيَّةً، وَلَا يَسْتَخِفُّ لَهُ رَأْيًا وَلَا بَدَنًا. وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ لِسَانِهِ، فَلَا يَقُولُ مَا لَا يَعْلَمُ، وَلَا يُنَازِعُ فِي مَا يَعْلَمُ. وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ الْجَهَالَةِ، فَلَا يُقَدِّمُ أَبَدًا إِلَّا عَلَى ثِقَةٍ بِمَنْفَعَةٍ.

كَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتًا. فَإِذَا نَطَقَ بَدَأَ^(٤) النَّاطِقِينَ.

= وَتَجَنَّبَ. وَالنُّكْبُ بِالْتَحْرِيكِ: الْمِيلُ فِي الشَّيْءِ. وَفِي حَدِيثِ حِجَّةِ الْوِدَاعِ: «فَقَالَ بِأَصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيُنْكِبُهَا إِلَى النَّاسِ» أَيُ يُمِيلُهَا إِلَيْهِمْ يَرِيدُ أَنْ يُشْهِدَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ.

(١) قَبْلَ مُوَاقِعَتِكَ: الْمَوَاقِعَةُ مِنْ فَعَلَ وَقَعَ، وَوَقَعَ الْأُمُورُ مُوَاقِعَةً دَانَاهَا، وَالتَّوَقُّعُ: تَنْتَظَرُ الْأَمْرَ: يُقَالُ: تَوَقَّعْتُ مَجِيئَهُ وَتَنْتَظَرُهُ. قَبْلَ حُصُولِهِ وَمُبَاشَرَتِهِ.

(٢) الْخَوَرُ: مِنْ فَعَلَ خَوَرَ بِالْتَحْرِيكِ بِمَعْنَى الضَّعْفِ. وَخَارَ الرَّجُلُ: ضَعُفَ، وَالْخَوَارُ الضَّعِيفُ الَّذِي لَا بَقَاءَ لَهُ عَلَى الشَّدَةِ. وَخَارَ الرَّجُلُ يَخْوَرُ وَالْخَوَارُ فِي كُلِّ شَيْءٍ عَيْبٌ.

(٣) رَوْحٌ: مِنْ فَعَلَ رَوَّحَ، وَأَرَاخَ الرَّجُلُ: إِذَا رَاحَتْ عَلَيْهِ إِبْلُهُ وَمَالُهُ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بَعْدَ الزَّوَالِ. وَأَرْحَتْ عَلَى الرَّجُلِ حَقَّهُ إِذَا عَدَلَتْ عَنْ إِعْطَائِهِ، وَرَوَّاحُ الرَّجُلِ بَيْنَ جَنْبَيْهِ إِذَا ثَقُلَ مِنْ حَالَةٍ إِلَى أُخْرَى أَوْ مِنَ النِّعْمَةِ إِلَى الزَّوَالِ وَمِنَ الرَّاحَةِ إِلَى الْاِعْتِمَامِ.

(٤) بَدَأَ: مِنْ فَعَلَ بَدَأَ، وَبَدَأَ فُلَانٌ فُلَانًا بَدَأَ إِذَا مَا عَلَاهُ وَفَاقَهُ فِي حَسَنِ أَوْ عَمَلٍ كَانَتْهُمَا مَا كَانَ. وَقِيلَ: بَدَأَ الْقَاتِلِينَ أَوْ سَبَقَهُمْ وَغَلِبَهُمْ. وَمِنْهُ صِفَةُ مَشْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ: يَمْشِي الْهُوَيْنَا بَدَأَ الْقَوْمَ إِذَا سَارَعَ إِلَى خَيْرٍ =

كَانَ يُرَى مُتَضَاعِفًا مُسْتَضْعَفًا، فَإِذَا جَاءَ الْجِدُّ فَهُوَ اللَّيْثُ عَادِيًا^(١).
كَانَ لَا يَدْخُلُ فِي دَعْوَى، وَلَا يَشْتَرِكُ فِي مِرَاءٍ، وَلَا يُذَلِّي بِحُجَّةٍ^(٢) حَتَّى يَرَى
قَاضِيًا عَدْلًا وَشَهِودًا عُدُولًا.
وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا قَدْ يَكُونُ الْعُدْرُ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَعْلَمَ مَا اعْتِدَارُهُ.
وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا إِلَى مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ الْبِرَّاءَ.
وَكَانَ لَا يَسْتَشِيرُ صَاحِبًا إِلَّا مَنْ يَرْجُو عِنْدَهُ النَّصِيحَةَ.
وَكَانَ لَا يَتَبَرَّمُ^(٣)، وَلَا يَتَسَخَّطُ، وَلَا يَتَشَهَّى^(٤)، وَلَا يَتَشَكَّى.
وَكَانَ لَا يَنْقِمُ عَلَى الْوَلِيِّ^(٥)، وَلَا يَغْفُلُ عَنِ الْعَدُوِّ، وَلَا يَخْصُ نَفْسَهُ دُونَ
إِخْوَانِهِ بِشَيْءٍ مِنْ اهْتِمَامِهِ وَجِيلَتِهِ وَقُوَّتِهِ.
فَعَلَيْكَ بِهِذِهِ الْأَخْلَاقِ إِنْ أَطَقْتَ، وَلَنْ تُطِيقَ، وَلَكِنْ أَخَذَ الْقَلِيلَ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ
الْجَمِيعِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ خَيْرَ طَبَقَاتِ أَهْلِ الدُّنْيَا طَبَقَةُ أَصْفُهَا لَكَ: مَنْ لَمْ تَرْتَفِعْ عَنِ
الْوَضِيعِ وَلَمْ تَتَضَعْ عَنِ الرَّفِيعِ.

- = أَمْسَى إِلَيْهِ.
- (١) عَادِيًا: مِنْ فَعَلَ عَدَا، وَالْعَدَاءُ: الشَّدِيدُ الْعَدُوِّ وَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَرَسٌ عَدَوَانٌ إِذَا كَانَ كَثِيرَ الْعَدُوِّ، وَمِنْ
الْعَدُوِّ: الْحُضْرُ حَتَّى يُلْحَقَهُ وَتَعَادَى الْقَوْمُ: تَبَارَزُوا فِي الْعَدُوِّ، وَالْعَدْيُ أَوَّلُ مَنْ يَحْمِلُ مِنَ الرُّجَالَةِ.
وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَسْرِعُونَ الْعَدُوَّ.
- (٢) الْحُجَّةُ: مِنْ فَعَلَ حَجَجَ، وَالْحُجَّةُ الْبِرْهَانُ عَلَى صِحَّةِ أَقْوَالِ الْمُتَكَلِّمِ. وَالْحُجَّةُ مَا دُفِعَ بِهِ الْخَصْمُ
وَهِيَ الرَّجْعَةُ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الظُّفْرُ عِنْدَ الْخُصُومَةِ. وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: «فَحَجَّ آدَمُ مُوسَى» أَيِ غَلَبَهُ
بِالْحُجَّةِ. وَسَمِيَتِ الْحُجَّةُ لِأَنَّهُ تَقْصِدُ لِأَنَّ الْقَصْدَ لَهَا وَإِلَيْهَا.
- (٣) يَتَبَرَّمُ: مِنْ فَعَلَ بَرَّمَ. وَالتَّبَرُّمُ بِالتَّحْرِيكِ مَصْدَرُ بَرَّمَ بِالْأَمْرِ: إِذَا سَيَّمَهُ، فَهُوَ بَرَّمَ صَجَرٍ، وَقَدْ أَبْرَمَهُ فَلَان
إِبْرَامًا أَيْ أَمَلَهُ وَأَضْجَرَهُ فَبَرَّمَ وَتَبَرَّمَ بِهِ تَبَرُّمًا. وَيُقَالُ لَا تُبَرِّمْنِي بِكَثْرَةِ فُضُولِكَ.
- (٤) يَتَشَهَّى: مِنْ فَعَلَ شَهَا، وَشَهَى الشَّيْءُ: أَحَبَّهُ وَرَغِبَ فِيهِ. وَالتَّشَهَّى: اقْتِرَاحُ شَهْوَةٍ بَعْدَ شَهْوَةٍ.
وَرَجُلٌ شَهَوَانٌ إِذَا كَانَ شَدِيدَ الشَّهْوَةِ. وَالْجَمْعُ شَهَاوَى.
- (٥) الْوَلِي: مِنْ فَعَلَ وَلَّى، وَالْوَلِيُّ وَالْمَوْلَى وَاحِدٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ وَالْمَوْلَى لَهُ مَوَاضِعٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ
مِنْهَا الْمَوْلَى فِي الدِّينِ وَهُوَ الْوَلِيُّ وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: «ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا» وَالْوَلِيُّ:
الْحَلِيفُ وَالصَّدِيقُ. وَهُوَ مَنْ انْضَمَّ إِلَيْكَ فَعَزَّ بِعِزِّكَ.

فهرس المراجع العربية

- ١ - ابن الأثير، الكامل في التاريخ، دار بيروت ودار صادر، ١٩٦٥ م.
- ٢ - أحمد أمين، ضحى الإسلام، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ١٩٣٣ م.
- ٣ - الأصبهاني أبو الفرج، الأغاني تحقيق لجنة من الأدباء، دار الثقافة بيروت لبنان، ط ٦، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٤ - الأصبهاني، الكاتب، خريدة القصر وجريدة العصر، تحقيق محمد بهجة الأثري، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٦٤ م.
- ٥ - البغدادي، أبو بكر أحمد، تاريخ بغداد، المكتبة السلفية، المدنية المنورة، لات.
- ٦ - البغدادي، عبد القادر عمر، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب على شرح شواهد الكافية، دار صادر، بيروت، ط ١، لات.
- ٧ - بكري، حسين، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس، مطبعة مصر، ١٢٨٣ هـ.
- ٨ - البلاذري، أحمد بن يحيى، فتوح البلدان، تحقيق صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، لات.
- ٩ - ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، لات.
- ١٠ - الثعالبي، عبد الملك، يتيمة الدهر، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٥٦ م.
- ١١ - جرجي زيدان، تاريخ آداب اللغة العربية، تحقيق د. شوقي ضيف، مطبعة دار الهلال، القاهرة، ١٩٥٧ م.
- ١٢ - جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي، منشورات دار الحياة، بيروت لبنان.
- ١٣ - الخصري، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق علي محمد البجاوي، مصر، ١٩٥٣ م.
- ١٤ - الخنيلي، عبد الحي بن العماد، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، دار الآفاق الجديدة بيروت. لات.
- ١٥ - ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لات.
- ١٦ - الزركلي خير الدين، الاعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، مطبعة دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٠ م.
- ١٧ - ابن الساعي، الجامع المختصر من عنوان التواريخ وعيون السير «أخبار الخلفاء» لات.

- ١٨ - ابن شاکر الکتبی، الوافی بالوفیات، تحقیق د. إحسان عباس، دار صادر، بیروت ١٩٧٣ م.
- ١٩ - شاکر مصطفى، التاريخ العربي والمؤرخون، دار العلم للملايين، بیروت ١٩٧٩ م.
- ٢٠ - شوقي ضيف، التطور والتجديد، دار المعارف بمصر، ١٩٧٧ م.
- ٢١ - الصفدي، خليل بن أيبك الوافي بالوفيات، اعتناء دوروتيا كرافولسكي، دار فرانز ستايز بقیسادن، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م. ج السابع عشر.
- ٢٢ - الطبري أبو جعفر محمد، تاريخ الأمم والملوك، تحقیق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٧ م.
- ٢٣ - ابن الطقطقي، الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، طبعة مصر، سنة ١٣٤٠ هـ.
- ٢٤ - ابن عبد ربه، العقد الفريد، تحقیق عبد المجید الترحيني، دار الكتب العلمية، بیروت، ط الأولى، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م.
- ٢٥ - فوال، عزيزة، الإطار الأدبي في مطلع العصر العباسي، دار الشمال، طرابلس - لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٦ م. .
- ٢٦ - فيليب حتى وغيره، تاريخ العرب، دار غندور، ط الخامسة ١٩٧٤ م.
- ٢٧ - كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس ومنير البعلبكي، مطبعة دار العلم للملايين، بیروت لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٦٨ م.
- ٢٨ - المسعودي، علي بن الحسين، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقیق محمد محي الدين عبد الحميد، دار عالم الكتب، بیروت، ١٩٤٧ م.
- ٢٩ - المسعودي، أخبار الأمم من العرب والعجم، لات.
- ٣٠ - ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بیروت، الطبعة الأولى، ١٣٠٠ هـ / ١٨٨٢ م.
- ٣١ - اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، تاريخ اليعقوبي، طبعة النجف، ١٣٥٨ هـ / ١٩٣٩ م.

فهرس المراجع الأجنبية

- 1 - Constantine. Porphyrogenitens. De Administraudo-imperio caput. XV in Migne Patrologita, Gracca. Vol CXIII.
- 2 - Noldké, Orientalische Skizzen, Berlin, 1892.
- 3 - N. Abbott, Two Queens, of Bayhd, New-York, 1951 ad-chicago. 1946.
- 4 - Oman, Art of war. 2nd Ed. Vol. 2.
- 5 - Tactica, Constitutio XVIII & 123, in Migne, Patrologia Gracca. Vol CVII.

فهرس الموضوعات

٥ المقدمة
٧ مولد ابن المقفع
٧ إسلامه
٨ أسرته ووالده
٨ نشأته وصفاته
٩ مقتله
١٠ مؤلفاته
١١ عصره

الأدب الصغير

١٥ مقدمة ابن المقفع
١٦ الأدب ينمي العقول
١٧ الاقتداء بالصالحين
٢٠ ما وضع في هذا الكتاب
٢٠ أنظر أين تضع نفسك
٢١ جماع الصواب وجماع الخطأ
٢١ الباب الأول من ذلك
٢٢ الباب الثاني من ذلك
٢٢ الباب الثالث من ذلك
٢٣ محاسبة النفس
٢٤ ذكر الموت
٢٤ إحصاء المساويء
٢٥ الخصال الصالحة
٢٥ من نسي وتهاون خسر
٢٦ إيتاس ذوي الألباب

٢٦	ساعة عون على الساعات
٢٧	الرغبات الثلاث
٢٧	الناس طبقتان متباينتان
٢٨	الصغير يصير كبيراً
٢٨	الرأي والهوى عدوان
٢٩	علم نفسك قبل تعليم غيرك
٢٩	أعمدة السلطان
٣١	بماذا يستطيع السلطان
٣٢	الدنيا دول
٣٢	المثل أوضح للمنطق
٣٢	لا مال أفضل من العقل
٣٣	كن ستوراً
٣٣	الحارس والمحروس
٣٤	الأدب العظيم
٣٤	أجناس الناس
٣٥	لا تغتر بالدنيا
٣٦	كيف تطلع الشيطان على عورتك
٣٦	زخرف الدنيا
٣٧	القيام على الثقة
٣٨	الدين أفضل الفواهب
٣٨	أحق الناس
٣٩	العجب آفة العقل
٤٠	حكمتان
٤١	العلم زين لصاحبه
٤٢	الدليل على معرفة الله
٤٣	حق السلطان المقسط
٤٤	الدليل على علم العالم
٤٤	علم الآخرة
٤٤	ماذا يجب على المرء
٤٥	نصائح سيئة
٤٦	رأس الذنوب
٤٧	دين المرء

٤٧	علامات اللثيم
٤٧	اشتغل بالأعظم
٤٨	الرجال أربعة
٤٨	حكم متفرقة
٥٠	غير المغتبطين
٥٠	ماذا ينفع
٥٠	أموه من تبع لأموه
٥١	أصول وثمرات
٥١	الذكر السيء
٥١	من توأخي
٥١	بم يروح المرء عن نفسه
٥٢	لا تفرح بالبطالة
٥٢	ضياع العقل
٥٢	ذو العقل لا يستخف بأحد
٥٢	أزواج
٥٣	سلامة العقول
٥٤	ذو العقل
٥٤	سعيد ومرجؤ
٥٤	السعيد يرغب الله والشقي يرغب الشيطان
٥٥	الرجال أربعة
٥٥	أغنى الناس وخير ما يؤتى المرء
٥٥	أشد العيوب
٥٦	الخصال المذمومة
٥٦	سخافة المتكلم
٥٧	القائد إلى النار وخازن الشيطان
٥٧	أخوف ما يكون
٥٨	ماذا يعمل الحازم
٥٨	فائدة المشورة
٥٩	الطمع
٥٩	صرعة اللين
٥٩	أربعة أشياء
٥٩	أحق الناس بالتوقير

٦٠ العاجز والحازم
٦٠ أهل العقل والكرم
٦١ المال كل شيء
٦١ الفقر مجمعة للبلايا
٦٢ الموت راحة
٦٢ البلايا في الحرص والشره
٦٢ ماذا قال العلماء
٦٣ تمام حسن الكلام
٦٣ صاحب المروءة
٦٣ تعاهد نفسك
٦٤ أشياء غير ثابتة
٦٤ أولى الناس
٦٤ شراء العظيم بالصغير
٦٥ المشاركة في المال
٦٥ المعونة على تسلية الهموم
٦٥ من بلاء الى بلاء
٦٥ تغلب الأحوال وتعاقبها

الأدب الكبير

٦٧ مقدمة
٦٩ يا طالب الأدب في السلطان
٧٢ إذا ابتليت تعوذ بالعلماء
٧٣ إياك وحب المرح
٧٤ ما ينبغي للسلطان نحو رعيته
٧٥ مباشرة الصغير تضيع الكبير
٧٦ إياك والإفراط في الغضب
٧٧ الملك ثلاثة
٧٧ الاعتدال في الكلام والسلام
٧٩ بأي شيء تكون الثقة
٧٩ تجنب الغضب والكذب
٨٠ التفويض إلى الكفاة
٨٠ ما يزين الجور ويحمل على الباطل
٨١ تفقد الوالي لرعيته وتجنبه الحسد

٨٣	كيف يكسد الفجار والدناءة
٨٣	ما يحتاج إليه الوالي من أمر الدنيا
٨٤	ماذا على المبتلي بصحبة السلطان وصحبة الوالي
٨٧	لا تسأل السلطان ولا تتدلل عليه
٨٩	احذر سخط السلطان واخضع له
٩٢	الكذب يبطل الحق ويرد الصدق
٩٢	لا تجب إلا إذا سئلت وأحسن الإصغاء
٩٤	رفق الوزير بنظرائه
٩٥	لكل أليف وجليس
٩٧	احتمل ما خالفك من رأي السلطان
٩٨	تصحیح النصيحة للسلطان
٩٩	الطاعة للملوك
١٠٢	في الاصدقاء
١٠٢	ابذل لصديقك دمك ومالك
١٠٣	تمام إصابة الرأي والقول
١٠٣	لا تخلط الجد بالهزل
١٠٤	لا تتناول على الأصحاب
١٠٥	ادعاء العلم فضيحة
١٠٨	العدل نحو العدو والرضى نحو الصديق
١٠٨	كيف تختار صديقك
١١٠	لباس انقباض ولباس انبساط
١١١	صُن لسانك
١١١	مؤاساة الصديق
١١٢	إلى من تعتذر
١١٢	إخوان الصدق
١١٣	الاستطالة تهدم الصنيعة وتكدر المعروف
١١٣	احترس من سورة الغضب
١١٤	ذلل نفسك على الصبر
١١٥	حبب العلم إلى نفسك
١١٦	في السخاء كمال الجود والكرم
١١٦	لا تكن حسوداً
١١٧	كيف تعامل عدوك

١٢٠	الشهود العدل
١٢١	حاذر الغرام بالنساء
١٢٢	كن متواضعاً سكوتاً واحذر المراءات
١٢٤	الصبر على الأعمال يخففها
١٢٥	لا تجاوز الغاية
١٢٥	إحفظ الملبح والرائع من الاحاديث
١٢٦	من تصاحب من الناس
١٢٧	لا تصاحب أحداً إلا بمروءة
١٢٨	أي إكرام يعجب
١٢٩	الجبين والحرص مقتلة ومحرمة
١٢٩	احترس ممّا يقال فيك
١٣٠	نزاهة العرض وبقاء العزّ
١٣١	كيف تجالس الناس
١٣٣	المستشار ليس بضامن وجه الصواب
١٣٣	حسن الاستماع
١٣٤	كيف يكون الزهد
١٣٤	حسن المجالسة وسوؤها
١٣٨	فهرس المراجع
١٤٠	فهرس الموضوعات